

عبد الرحمن الرافعي

شعراء الوطنيات
ومصر

تراجمهم وشعرهم الوطني
والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم



دار المعارف

شعراء الوطنيت ومصر

تراجمهم وشعرهم الوطنى
والمناسبات التى نظموا فيها قصائدهم

بقلم

عبد الرحمن الرافعى

«أن فى قيشارة الشعر سلوى للقلب»
«وغذاء للروح، وأنها لتوحى إلى النفوس»
«أسمى معانى الانسانية، وما أجمل هذه»
«القيشارة حينها تغرد للناس ألحان الوطنية»

الطبعة الثالثة



دار المعارف



عبد الرحمن الرافعي

ولد في ٨ من فبراير سنة ١٨٨٩ - وتوفي في ٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٦

مقدمة الطبعة الثالثة

هذه الطبعة الثالثة من كتاب المغفور له والدنا عن شعراء الوطنية في مصر تطابق تماما الطبعة الأولى التي ظهرت سنة ١٩٥٤ ، ولاشك أن جهد دار المعارف بأعضائها جميعا كان له أثره في ظهور الطبعة الثالثة التي هي الآن في متناول القارئ ..

والله ولي التوفيق ..

كريمات المؤلف

عبدالرحمن الراجحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

أقدم الطبعة الثانية لهذا الكتاب طبق الأصل للطبعة الأولى التي أخرجتها سنة ١٩٥٤ وهى ضمن ما أخرجته من سلسلة تاريخ حركتنا الوطنية - أحمد الله وأشكره على نعمائه، وكم كنت أتمنى أن أضيف إلى تراثنا الشعرى الوطنى ما جادت به قرائح شعرائنا الجدد فى المناسبات الوطنية تمشيًا مع روح الاشتراكية والتطور فى عهدنا الحديث خاصة وقد لا يست الأمة المصرية ظروف وضحت فيها معالم القومية والوطنية والكفاح والجهاد، وليس أدل على ذلك مما ظهر عقب الاعتداء الثلاثى من قصائد لشعراء وطنيين وغير ذلك من المناسبات الوطنية المعروفة لولا - مرضى الذى معنى عن جمع وتسجيل قصائد هؤلاء الشعراء فلهم منى صادق اعتذارى.

والله ولى التوفيق..

عبد الرحمن الرافعى

يوليه سنة ١٩٦٦

مقدمة

عندما أرخت الحركة القومية في أدوارها المتعاقبة، تبينت مبلغ ما للشعر الوطني من أثر عميق في التمهيد لها وبعثها، وإذكاء الروح الوطنية في نفوس المواطنين، وتسجيل الحوادث الهامة في تاريخ مصر القومي، ومن يومئذ وأنا تَوَاق إلى أن أخصص لشعراء الوطنية سفرًا منفردًا، يجمع معظم ماجادت به قرائهم من الشعر الوطني، مع التعريف بشخصياتهم، وذكر المناسبات التي أنشأوا فيها قصائدهم الوطنية.

ولقد كنت أرجو أن أضْمَن ما أخرجته من سلسلة تاريخ الحركة الوطنية قصائد أولئك الشعراء، وعانيت فعلاً بأن أقتبس في شتى المناسبات، ولكنني وجدت أن هذا الاقتباس لا يكفي للتويع بفضلهم، وإبراز مبلغ مساهمتهم في غرس الشعور الوطني في نفوس الأجيال المتعاقبة، فواعدت نفسي أن أفرغ يوماً لإخراج كتاب خاص بهم وبأشعارهم الوطنية، وها أنذا أوفى بوعدي.

وإني لأشعر أني بإخراج هذا الكتاب، أؤدي واجباً نحو أولئك الشعراء، ونحو الحركة الوطنية ذاتها، فالشعراء الذين استلهموا وحى الوطنية في قصائدهم، واهتزت لها مشاعرهم، واستجابوا إلى نداء الوطن في عالم الشعر والفن والخيال، وتجاوبوا مع الحركة الوطنية، وكانوا مرآة صادقة لعصرهم، ومصدر إلهام وتوجيه لمواطنيهم، وترجمانا لهم في آمالهم وآلامهم، وأحاسيسهم وأهدافهم، هؤلاء خليقون جميعاً بتقدير الوطن وثنائه، وإن من أبسط علامات التقدير لهم أن تجمع قصائدهم في سجل واحد.

على أني لا أقصد تقديرًا لهم فحسب، بل أقصد إلى تغذية الروح الوطنية بمدد من شعرهم وإلهامهم، وإذا كان مما تعتمد إليه الأمم أن تغذي نفوس أبنائها بالأناشيد الوطنية، فأجدر بنا أن نشيع الشعر الوطني ونجعله في متناول المواطنين جميعاً، رجالاً ونساء، شبياً وشباناً، فكلنا في حاجة إلى أن نستذكر تلك القصائد الغر التي تملأ النفوس وطنية وإيماناً، وتغرس فيها فضائل الصدق والإخلاص والشجاعة، والتفاني في أداء الواجب الوطني، فلعلها تدفعنا إلى السير دائماً إلى الأمام، غير متوانين ولا متناذرين، مستمسكين بالمثل العليا في حياتنا القومية.

إن حياة هؤلاء الشعراء وقصائدهم الوطنية - إلى جانب أنها عماد للأدب وتاريخه - هي قطعة من تاريخ الحركة الوطنية، وعنصر من عناصر بعثها وتطورها، ولا غرو فالشعر فرع من دوحة الأدب، والأدب الوطني له الأثر الذي لا ينكر في تكوين المواطن الصالح، والشعر بما

بطبع في نفس الشاعر من التحليق في سماء الخيال، والتطلع إلى المل العلياء، يمهّد للنهضات الوطنية ويغذيها، إذ يهيب بالأمة أن تتمسك بالحرية والكرامة، ويستحيها على النفور من الذل، وإباء الضيم، ويحبب إليها الثورة على الاستعمار والاستبداد، وسعراء الوطنية في مصر لهم في هذه الناحية فضل عميم، فكم ناصروا الحركة الوطنية في مختلف عهودها، وغذوها بقصائدهم وروائع شعرهم، وسجلوا حوادثها الهامة، وأشادوا بمفاخر الشعب، وأهابوا به أن ينهض ويستعيد مجده القديم، وكم استصرخوا الإنسانية أن تهب لنصرتهم، وتنتصف له من المظالم التي حاقت به، وإن كثيراً من روائع الأدب التي جادت بها قرائح أولئك الشعراء كانت معالم للحركة الوطنية، وكان السبب يحفظها عن ظهر قلب، فتذكى في نفوسه روح الوطنية والإخلاص والإقدام والتضحية.

وكم من قصيدة أو بيت من الشعر قد حركت المشاعر في نفوس المواطنين وستحركها على الدوام، مهما تقادمت عليها الأعوام، ألفت ترى إلى نشيد المارسليلز؟ كيف أنه رغم تقادم العهد على وضعه لا يزال يلهب شعور الفرنسيين ويتير في نفوسهم روح الجهاد والفداء، ويفدرون له قدسيته الفنية والوطنية.

ولعل في جمع عيون الشعر الوطني في كتاب واحد ما يبرز لنا فضل أولئك الشعراء في إمدادهم الروح الوطنية بغذاء معنوي يتجدد على تعاقب العهود والعصور، ولعلنا بذلك نكون أكثر عرفاناً لفضلهم، وتقديراً لذكرياتهم، وما أجل وفاء الأمم للمجاهدين السابقين من بنينا، في مختلف الميادين، ولا غرو فالحركة الوطنية ليست وليدة الجيل الحاضر، ولا هي وفت عليه، بل هي مرة الجهود المتواصلة التي يتوارثها المواطنون جيلاً بعد جيل، وما أضعف الروح الوطنية إذا حدد مولدها بجيل واحد، لأنها بذلك تكون رخوة البناء، مقفرة المعالم، أما الوطنية الوطيدة الأساس، العالية الذرى، فهي التي تجمع بين مجد الماضي، وجهاد الحاضر، وأمل المستقبل.

إن في قينارة الشعر سلوى للقلب، وغذاء للروح، وإنها لتوحى إلى النفوس أسمى معاني الإنسانية، وما أجل هذه القيتارة حينما تغرد للناس ألحان الوطنية.

هذه المعاني والخواطر هي التي ألهمتنى إخراج هذا الكتاب، وكم يطيب لى أن أنسر فيه صفحات لشعراء تكاد أحداث الزمان تنسينا شعرهم، بل تنسينا أسماء بعضهم، في حين أن فضلهم لا يصح أن ينسى وآثارهم في بعث الوطنية لا تحصى، والأدب في حاجة إلى استذكار أسعارهم، فإنها حقاً عماد الأدب الرفيع وكيانه، وهذه الأسعار هي في ذاتها سبيل لنسر النفاة الوطنيه بن أفراد السبب في مختلف طبقاته.

من أين نبدأ

لقد ساءلت نفسي قبل أن أرسـم. خطوط الكتاب: من أين نبدأ تاريخ الشعر الوطنى ؟ أنبدأه من يوم أن قرأنا قصائد سوفى وحافظ وسمعناها ووعيناها وكان لها صداها فى أحياء مناعرنا الوطنية ؟ إننا إذ نحدد هذه البداية نكون قد اجتزأنا تاريخ الشعر الوطنى، وأغفلنا مرحلة سبقت سوفى وحافظ، وهذا ما لا يقره الحق والإنصاف ولا يرضاه تنوفى وحافظ، على علو كعبهما وبلوغهما الذروة بين شعراء الوطنية.

فلنبحث إذن عن بداية سابقة على سوفى وحافظ.

إننى عندما أرخت مصطفى كامل بحثت فى بداية الحركة الوطنية الحديثة، وتساءلت هل تبدأ هذه الحركة بظهور مصطفى كامل فيكون تاريخه تاريخاً لها، أم أن لها بداية سبقت ظهوره؟ وعلى أننى تلميذ لمصطفى كامل وكان تتلمذى له هو من البواعث على إخراجى لتاريخه، كما نوهت إلى ذلك فى مقدمة كتابى عنه، فإنى قد وجدت من الإنصاف أن أبحث عن الأدوار التى تقدمت عصر مصطفى كامل، لأفـف عند حدّ يصح اعتباره مبدأ الحركة القومية الحديثة، وانتهى بى البحث إلى أن بدايتها - فى تاريخ مصر الحديث - ترجع إلى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، وأن أول دور من أدوارها هو عصر المقاومة الأهلية التى اعترضت الحملة الفرنسية فى مصر، ومن ثم تطورت الفكرة عندى من تأريخ لمصطفى كامل إلى تأريخ للحركة القومية، وعلى هذا الأساس أخرجت سلسلة هذا التاريخ.

وأرانى فى تأريخ الشعر الوطنى أميل إلى سلوك مثل هذا المنهج، فرجعت فى بدايته إلى الماضى، ووجدت أن روح الوطنية - بمعناها الحديث - قد بدأت تدخل الشعر المصرى، وتبعث فيه من حياتها وهائها، وتضفى عليه من جماها، وجلالها منذ أوائل القرن التاسع عشر، وأول رائد لهذه النهضة هو رفاعة رافع الطهطاوى، فالى هذا العهد يجب أن نرجع ظهور الشعر الوطنى فى مصر، وهكذا يبدو التقارب بين ظهور الحركة الوطنية وظهور الشعر الوطنى فى تاريخنا الحديث.

فلنبدأ إذن برفاعة رافع الطهطاوى ولندرس تطور الشعر الوطنى من بعده إلى وقتنا الحاضر. ويطيب لى فى صدد التنويه بشعراء الوطنية، أن أعتذر عما فاتنى من تأريخهم، وأعوزنى الحديث عنهم، فأنى أفصد من شاعر الوطنية من تغلب عليه النزعة الوطنية فى شعره، فإذا كان فاتنى أن أتحدث عن بعض الشعراء الممتازين، فالأمر لا يعدو أن يكون رأياً تقديرياً، وأن يكون شعرهم الوطنى قد بدا لى مغموراً فى بحر شعرهم الفياض، وهذا لا يغض بدهاة من

منزلتهم في عالم الشعر والأدب، وحسبى عذرا لى أن رأى التقديرى في تحيّر شعراء الوطنية كان نتيجة دراسات مستفيضة، عكفت عليها سنين عديدة، ولم أقتصر على ما وعته ذاكراتى من الشعر الوطنى في مختلف المناسبات، ولا على دواوين الشعراء، بل ذهبت أستقصى الشعر الوطنى في مجاميع الصحف والمجلات، عاما بعد عام، قرابة نصف قرن من الزمان، بحيث اكتملت لدى مجموعة من أشعار الوطنية، بعضها لم ينشر من قبل في كتاب أو ديوان، ومع ذلك فإذا نيهى القارئ الكريم إلى شاعر فاتنى الحديث عنه، ضمن شعراء الوطنية، فانى على أتم الاستعداد لتدارك هذا النقص في الطبعة التالية من الكتاب، لأنى أود حقاً أن أستكمل أى نقص بدا منى في هذه الناحية، وليس أحب إلى نفسى من أن أسجل في كتابى كل قصيدة بل كل بيت من الشعر الوطنى.

والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة ما يعين على نشر الأدب الوطنى وإذاعته، وتعميمه بين المواطنين، والحمد لله أولاً وأخيراً.

لله سنة ١٩٥٤

عبد الرحمن الرافعى

رفاعة رافع الطهطاوى

١٨٠١ - ١٨٧٣



مصري صميم، من أقصى الصعيد، ساء نشأة عادية، من أبوين فقيرين، قرأ القرآن، وبنى العلوم الدينية كما يتلقاها عامة طلبة العلم في عصره، ودخل الأزهر كما دخله غيره، وصار من علمائه كما صار الكثيرون، ولكنه بذو الأقران، وتفرد بالسبق عليهم، وتسامت شخصيته إلى عليا المراتب، ذلك أنه كان يحمل بين جنبيه نفساً عالية، وروحاً متوثية، وعزيمة ماضية، وذكاء حاداً، وشغفاً بالعلم، وإخلاصاً للوطن وبنيه، تهيأت له أسباب الجد والنبوغ، فاستوفى علوم الأزهر في ذلك العصر، ثم صحب البعثة العلمية الأولى من بعثات محمد علي، وارتحل إلى معاهد

علم في باريس، واستروح نسيم الثقافة الأوروبية، فزادت معارفه، واتسعت مداركه، ونفذت بصيرته، لكنه احتفظ بشخصيته، واستمسك بدينه وقوميته، فأخذ من المدنية الغربية أحسنها، ورجع إلى وطنه كامل الثقافة، مهذب الفؤاد، ماضى العزيمة، صحيح العقيدة، سليم الوجدان، عاد وقد اعتزم خدمة مصر من طريق العلم والتعليم، فبرّ بوعده، ووفى بعهده، واضطلع بالنهضة العلمية تأليفاً وترجمة، وتعليماً وتربية، فملأ البلاد بمؤلفاته ومعارفاته، وتخرج على يديه جيل من خيرة علماء مصر، وحمل مصباح العلم والعرفان يضيء به أرجاء البلاد، وينير به البصائر والأذهان، وظل يحمله نيافاً وأربعين سنة، وانتهت إليه الزعامة العلمية والأدبية في عصر محمد علي، وامتدت زعامته إلى عهد اسماعيل، ذلك هو رفاعة رافع الطهطاوى^(١).

ولد في طهطا بمديرية جرجا سنة ١٨٠١ (١٢١٦ هـ)، وبدت عليه مخايل الذكاء والنباهة منذ صباه، ودخل الأزهر سنة ١٨١٧، ولم يمض عليه به بضع سنوات حتى صار من طبقة العلماء، وتولى التدريس فيه سنتين، وصنف وألف ودرس وهو في الحادية والعشرين من سنه، ثم عين واعظاً وإماماً في أحد أليات الجيش المصري، ولما جاء عهد البعثات العلمية كان من حسن

(١) عن ترجمته في كتابنا تاريخ الحركة القومية الجزء الثالث - عصر محمد علي.

التوفيق أن اختاره محمد على ضمن أعضاء البعثة الأولى التي سافرت إلى فرنسا سنة ١٨٢٦، فجمع إلى ثقافته الأزهرية ثقافة أوروبا وعلومها وآدابها، فاقتبس منها الشيء الكثير، وازدهرت روحه الأدبية على ضوء الحضارة الغربية، ولما عاد إلى مصر سنة ١٨٣١ تولى عدة مناصب في التعليم، وأنشأ مدرسة الألسن سنة ١٨٣٦ وكانت أنشبه ما تكون بكلية الآداب والحقوق في مصر، وكان رفاة يتولى نظارتها ويلقى فيها دروسه على الطلبة، فكانت أكبر معهد لنشر الثقافة في مصر، وتنقل في المناصب العلمية، وكان لا يفتأ يؤلف ويخرج من حين لآخر مصنفاته ومعارفاته في العلوم والآداب إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٨٧٣^(٢).

وهو أول رائد لنهضة العلم والأدب في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كان شاعراً رقيقاً بالقياس إلى عصره، أشربت نفسه الوطنية منذ نعومة أظفاره، تلقاها من إيمانه الصادق (وحب الوطن من الإيمان)، ومن فطرته السليمة، وخلص نيته، وقد استثار رحيله عن مصر إلى فرنسا. عاطفته الوطنية العميقة المتأصلة في نفسه الحساسة، فجادت قريحته وهو في باريس بقصيدة عبر فيها عن الحنين إلى الوطن وأهله، والإشادة بمفاخره، قال في مطلعها:

ناح الحمام على غصون البان فأباح شيمة مغرمٍ ولَّهانٍ

وانتقل إلى التغنى بمصر وذكر محاسنها وقال:

هذا لعمري إن فيها سادة قد زُينوا بالحسن والإحسان
يا أيها الخافي عليك فخارها فإليك أن الشاهد الحسنان
ولئن حلفت بأن مصر لجنة وقطوفها للفائزين دوان
والنيل كوثرها الشهي شرايه لأبرُّ كل البرِّ في أيام

وله قصائد ومنظومات وطنية قالها في مناسبات مختلفة.

فانظر إلى القصيدة الآتية تجدها تعبر عما يجيش في نفسه من أكرم العواطف وأنبهها، وقد قدمها هو بقوله «وقلت أيضاً وطنية»، فالروح الوطنية تتمشى حتى في تقديمه لفصائده، قال:

يا صاح حب الوطن جلية كل فطين

محبَّة الأوطان من شُعب الإيما

(٢) راجع ترجمته تفصيلاً في كتابها الحركة القومية الجزء الثالث - عصر محمد علي

في أفخر الأديان آية كل مؤمن

مساقط السُّرُوس تُلذِّدُ لِلنَّفُوسِ
تذهب كل بوس عنا وكلُّ حزن

ومصر أبهى مولدٍ لنا وأزهى متحدٍ
ومربعٍ ومعهدٍ للروح أو للبدن

شُدَّتْ بِهَا الْعِزَائِمُ نِيطَتْ بِهَا التَّمَائِمُ
لَطَبَعْنَا تَلَائِمَ فِي السِّرِّ أَوْ فِي الْعَلَنِ

مصرُها أيادُ عُليا على البلادِ
وفخرها ينادى ما المجد إلاَّ ديدنى

الكونُ من مصرٍ اقتبسُ نورًا وما عنه احتبسُ
فخرٌ قديمٌ يؤنرُ عن سادةٍ ويُنسرُ
زهورٌ مجدٌ تنُرُ منها العقولُ تجتنى

دارُ نعيمٍ زاهيةٌ ومعدنُ الرفاهيةِ
آمرةٌ ونَهايةٌ قَدَمًا لكلِ المدنِ
فوةُ مصرِ القاهرةِ على سواها ظَاهِرَةٌ
وبالعمارِ زاهره حُصَّتْ بِذِكْرِ حَسَنِ

أبناؤها رجالُ لم يسمنهم محال

وَجُنْدُهُمْ صَنْدِيدٌ وَقَلْبُهُ حَدِيدٌ
وخصمه طريد بل مُدْرَجٌ فِي كَفَنِ

وقال من قصيدة أخرى يدعو إلى افتداء الوطن بالنفس والمال:

وعزیز الوطن نخدمه برضا في النفس نحكمه
سأل المصرى كذا دمه مبدول في شرف الوطن
تفديه العين بناظرها والنفس بخير ذخائرها
تهدى في نيل نظائرها بشرا العليا أعلى ثمن

وقال يصف الجيش المصرى ويشيد بمفاخره:

تَنْظُمُ جُنْدَنَا نَظْمًا عَجِيْبًا يُعْجِزُ الْفَهْمَا
بِأَسَدٍ تُرْعِبُ الْخَصْمَا فَمَنْ يَقْوَى يَنَاضِلُنَا؟

رجالٌ ما لها عددٌ كمال نظامها العددُ
حُلاها الدرع والزرْدُ سنان الرمح عاملنا

وهل لخيولنا شبةٌ كرائم ما بها شبةٌ
إليها الكل منتبهٌ وهل تخفى أصائلنا؟

لنا في الجيش فرسان لهم عند اللقاء شان
وفي الهيجاء عنوان تهيم به صواهلنا
فها الميدان (والشقرا) سَقَتْ أذن العدا وَقْرا
كأنا نرسل الصقرا فمن يبغى يرسلنا

مَدَافِعُنَا الْقُضَا فِيهَا وَحُكْمُ الْحَتَفِ فِي فِيهَا
وَأَهْوَتْهَا وَجَافِيهَا تَجَوَّدُ بِهِ مَعَامِلُنَا

لنا في المدن تحصين وتنظيم وتحسين
وتأييد وتمكين منيعات معاقلنا

وهذه الأبيات لمن خير ما قيل في وصف الجيش المصري، ولا شك أن رفاعة قد استلهم شعره من مفاخر الجيش في عهده، فهو يصور العصر الذي عاش فيه تصويراً صحيحاً، لا مبالغة فيه ولا إغراق، وإن قصيدته لتشبه أن تكون لوحة فنية بخيل لمن ينظر إليها أنه يلمح فيها كتائب الجيش المصري تسير إلى ميادين الحرب، تحف بها أعلام النصر والظفر، تخوض غمار القتال، بقلوب ملؤها الشجاعة والإقدام، وتجاهه الأخطار قوية الإيمان، ثابتة الجنان، مجهزة بالسلاح والمدافع «تجود به معاملنا»، ولو لم يشهد رفاعة مفاخر الجيش المصري في ذلك العصر، لما جادت قريحته بهذا الشعر، وهكذا يتأثر الشاعر والأديب بالعصر الذي يعيش فيه، والبيئة التي تحيط به، ويصور الحياة على عهده فكأنما هو قطعة من عصره، أو امرأة تنطبع فيها مشاهد الحياة السياسية والاجتماعية، ومظاهر الحالة الفكرية والأخلاقية.

وإنك لتلمح أيضاً عظمة الجيش المصري من قول رفاعة في قصيدة أخرى يخاطب فيها الجنود:

| | |
|----------------------|----------------------|
| يا أيها الجنودُ | والفداة الأسود |
| إنَّ أمَّكم حسودُ | يعودُ هَامِي المدَّع |
| فكم لَكُمْ حروبُ | بنصركم تؤوبُ |
| لم تَثْبِكُمْ خُطوبُ | ولا اقتحامُ مَقَمع |

| | |
|------------------|-------------------|
| وكم شهدتم من وغي | وكم هزتم من بغى |
| فمن تعدَّى وطفى | على جِماكم يُصرعُ |

وتتجلى روحه الوطنية المتطلعة إلى الحرية في تعرييه نشيد الحرية (المارسلين)، فإن النفس لا تميل إلا إلى ما هو محبوب إليها، فهذا النشيد قد استثار ولا شك إعجاب رفاعة رافع، حتى مالت نفسه إلى تعرييه، وإظهار ما احتواه من العواطف الوطنية الفدائية في حلة عربية قشبية. وإذا تأملت في شعر رفاعة رافع الذي نقلنا طرفاً منه وجدت فيه تقدماً نسبياً إذا قارنته بأسلوب شعراء المدرسة القديمة التي سبقتها، كالشبراوى والطار والحشاش وغيرهم، ويعد شعره دور الانتقال إلى دولة الشعر الحديثة التي حمل لواءها البارودى، وإسماعيل صبرى، وشوقي، وحافظ.

حفاً إننا إذا وضعناه إلى جانب شعر شوقي منلا، لجاء في المرتبة الثالثة، أو الرابعة، ولكن
يجب ألا ننسى أن رفاعة رافع نساً في عصر كانت اللغة العربية وآدابها في دور تأخرها
واضحلالها، فله على نهضة الشعر والأدب فضل لا ينكر.

عبد الله نديم

١٨٤٥ - ١٨٩٦



ظل الشعر في مصر بعد وفاة رفاعة رافع الطهطاوى
خلوًا من المعانى الوطنية، إلى أن تجددت في شعر عبد الله
نديم.

هو خطيب السورة العربية، وهو أيضًا شاعرها،
انطبعت في خطبه وقصائده روح الوطنية المتدفقة، وروح
النورة.

ولد سنة ١٨٤٥ بالإسكندرية، وبدأت عليه منذ صباه
مخايل الذكاء اللامع، وظهرت مواهبه في الترسل في
الكتابة والشعر والزجل، والقدرة الخطابية، مع خفة في
الروح، وميل إلى الفكاهة، وجرأة وإقدام، واستخفاف
بأحداث الزمان.

ولما ظهرت النورة العربية أوائل ١٨٨١، انضم إليها بطبعه، إذ كانت نفسه تتأجج وطنية،
وتتطلع إلى الحرية والمجد، وتجلت مواهبه الخطابية، فصار خطيب النورة العربية.

ومما يذكر عنه في صدد الحديث عن شعره الوطنى أنه لما سافر الألاى السودانى الذى كان
يقوده الأميرالاي عبد العال حلمى أحد زعماء النورة من القاهرة إلى دمياط، فى أوائل أكتوبر
سنة ١٨٨١. كان سفره يومًا مشهودًا، فاحتشدت الجموع فى محطة العاصمة لتحية الألاى حين
سفره. وكان من بين المودعين عرابى والبارودى وعبد الله نديم، فوقف النديم وسط هذا الجمع
الحاسد وألقى خطبة حماسية فىاضة، بدأها بقوله مخاطبًا رجال الجيش:

«حماة البلاد وفرسانها

«من قرأ التواريخ وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقدار ما وصلتم
إليه من السرف وما كتب لكم فى صفحات التاريخ من الحسنات.

إلى أن قال: وهذا وطنكم العزيز أصبح ينادىكم ويناجيكم ويقول:

إليكم يُرَدُّ الأمر وهو عظيم فإنى بكم طول الزمان رحيم
إذا لم تكونوا للخطوب وللردى فمن أين يأتى للديار نعيم؟
وإن الفقى إن لم ينازل زمانه تأخر عنه صاحبٌ وحميم
فرُدُّوا عنان الخيل نحو مخيم تقلبه بين البيوت نسيم
وشدوا له الأطراف من كل وجهة فمشدود أطراف الجهات قوي
إذا لم تكن سيفاً فكن أرض وطأة فليس لمغلول اليدين حريم

وختم خطبته بقوله: وأحسن ما يؤرخ به اسم الجهادية عند النوازل أن يقال (مات شهيد الأوطان!)، فنادى الجميع (رضينا بالموت فى حفظ الأوطان!).

ولما شبت الحرب العراقية لازم النديم عراقى كفر الدوار ثم فى التل الكبير، وكانت مجلته (الطائف)، تصدر فى معسكر الجيش المصرى.

وبعد أن وقعت الهزيمة، ظل مخلصاً للثورة فى محتتها، قبرهن على وفاء نادر ووطنية أصيلة عميقة، وكان ممن أمرت الحكومة باعتقالهم، وعجزت عن التعرف إلى مقره والقبض عليه، وظل مخفياً عن عيونها وجواسيسها نحو تسعة أعوام، وأعياء الحكومة أمره، وجعلت ألف جنيه لمن يرشد عنه، ولكنها لم تهتد إليه.

وقد وصف ما لقيه من الشدائد أثناء اختفائه فى قصيدة تفيض وطنية وإيماناً وفخراً وشجاعة، وهى من غرر قصائده. قال:

أتحسبنا إذا قلنا بلىنا بلىنا أو يروم القلب لينا
نعم للمجد نفتحم الدواهى فيحسب خامل أنا دُهينا
تناوشنا فتقهرنا خطوب ترى ليث العرين لها قرينا
سواء حربها والسلم إننا أناس قبل هدنتها هدينا

إلى أن قال:

إذا ما الدهر صافانا مرضنا فإن عدنا إلى خطب شفينا
لنا جلد على جلد يقينا فإن زاد البلا زدنا يقينا
ألقنا كل مكروه تفدى له فرسانه بالراجلينا
فأعيا الخطب ما يلقاه منا ولكننا صحاح ما عينا

سلينا يا خطوب فقد عرفنا
 وقرى فوق عاتقنا وقول:
 علينا للعلا دين وضعنا
 فهل يمسي رهين في سرور
 إذا ما المجد نادانا أجبنا
 يغنيننا فيلهينا التغنى
 ولسنا الساخطين إذا رزئنا
 فلنا في عداد الناس قوم
 إذا طاش الزمان بنا حلمنا
 إلى أن قال:

سلوا عنا (منابرنا) فلنا
 لحكمتنا تقول إذا هذرتم
 سرى فينا من الآباء سر
 فلن عشنا منحنا سائلينا
 تركنا في منصتها فطينا
 ألا هبى بصحيتك فاصبحينا
 يسوق البر نحو المعوزينا
 وإن متنا نفحننا الزائرينا

وقال يصف إحاطة الجند بالمنزل الذي كان فيه يريدون اعتقاله فنجاه الله من شرهم:

أنسى يوم مصر والبلايا
 فكنت^(١) القوث في يوم كربه
 مدحنا فيه في إشراق شمس
 وهل أنسى هجوم الجند عمراً
 أحاطوا بي وسدوا كل باب
 وكان السطح مملوءاً بجند
 فأدركت الوحيد وكان صيداً
 وأرشدت التديم إلى مكان
 وأعمى الله عنا كل عين
 وصرنا فوق سطح فيه علو
 تطاردني ولا ألقى معينا
 أخاف الشهم والحبر السمين
 فلما جاء مغربه هجيناً!
 بلا علم وقد كنا فجينا
 وصرنا بين أيدي الباحثينا
 وخلف البيت كم وضعوا كميناً
 قريباً من فخاخ الطالبينا
 رآه بعد حيرته مكيناً
 وكنا للعساكر ناظرينا
 يحطم هاوياً منه متينا

(١) الخطاب هنا وفي الآيات التالية موجهة إلى الرسول ﷺ، والتديم شريف النسب

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| فلم أرهب ونوبى من طمار | ولم أنظر شمالا أو يمينا |
| ويوم الغيظ كنت لنا مجيرا | بسطوته من البلوى حمينا |
| فقد كنا بلا ستر يرانا | أمام العين كل القاصدينا |
| وكم سرنا بلا خوف جهارا | ركبنا الخيل أو جئنا السفينا |
| وإني الآن فى خطب عظيم | أرى فى طيئه داء دفيننا |
| أتانا مخبرٌ عن قوم سوء | أرادوا وصفنا للحاكمينا |
| وخاف الضّرُّ أحبائى جميعًا | وقالوا لى بالوشاية قد رمينا |
| فعجل بالرحيل بلا توان | ولا تخبر صديقا أو خدينا |
| فأدرك يا أبى نجلا دهاه | من الأهوال ما يوهى البدينا |
| فما خفت المنون ولا الأعادى | نعم خفت انشراح الشامتينا |

* * *

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| فسرتُ الليل يصحبنى نبات | لجِلّ نحو منزله دُعينا |
| ورافقنى خليل كان قبلا | يوافى حين كنا ظاهرينا |
| وأدر كنا القطار بغير خوف | وكنا بالنياب منكرينا |
| وألقى الله ستر الحفظ فضلا | فلم ترنا عيون الملبسنا |
| وكان الخل منتظرا قدومى | بخيل أوصلتنا سالمينا |
| ونجى الله بعد اليأس عبدا | يرى الرحمن خير المنقذينا |

وإنك لترى هذا الشعر أقوى فى الروح والأسلوب من شعره فى إبان الثورة. وهكذا يبدو أن الهزيمة لم تنل منه، بل زادت قوة وحيوية، وصلابة وبلاغة، وأن السدائد صقلت مواهبه كما تصقل المعادن ونجلى جواهرها فى لهب النار، فاحتفظ النديم فى سنى المحنة بما حباه الله من إيمان صادق، وعزم ثابت، وصمود على الأيام، وكذلك السدائد والمحن، يختلف أنرها فى نفوس الناس، فبينما تبعت اليأس والجزع فى النفوس الضعيفة، نراها على العكس تزيد النفوس الكبيرة تباتاً وصبراً، وسجاعة وإيماناً، ومن هنا جاء شعر النديم بعد هزيمة الثورة أقوى منه فى أوج انتصارها.

وفى الحق أن النديم هو الزعيم الوحيد بين الزعماء العربيين الذى استمر فى جهاده ضد الانجليز ونضاله عن مصر فى عهد الاحتلال، وتلك لعمري ميزة كبرى جدية بأن تحيط اسمه بهالة من المجد والخلود، وقد اهتمت الحكومة إلى مكانه سنة ١٨٩١ وقررت نفيه إلى خارج

القطر، وفي أوائل عهد الخديو عباس الثاني عُفى عنه ورخص له بالعودة إلى مصر، فعاد إليها، وأنشأ مجلة (الأستاذ) سنة ١٨٩٢ فتجلت فيها روحه الوطنية التي لم تضعفها الهزيمة ولم تنل منها السدائد، مما أحفظ عليه الإنجليز وصنائعهم، فتدخل اللورد كرومر، وأمر بإبعاده عن مصر ثانية، فاضطر إلى تعطيل صحيفته سنة ١٨٩٣، وودع قراءه وداعاً مؤثراً في آخر عدد صدر منها (في ١٣ يونيه سنة ١٨٩٣) قال :

« ما خلقت الرجال إلا لمصابرة الأهوال ومصادمة النوائب، والعاقِل يتلذذ بما يراه في فصول تاريخه من العظمة والجلال، وإن كان المبدأ صعبة وكدرا في أعين الواقفين عند الظواهر، وعلى هذا فإني أودع إخواني قائلاً :

أودعكم والله يعلم أننى أحب لقاءكم والخلود إليكم
وما عن قلى كان الرحيل وإنما دواعٍ تبدت فالسلام عليكم !

وانتهى به المطاف في منفاه إلى الآستانة حيث توفى سنة ١٨٩٦، وشيعت جنازته في احتفال مهيب متى فيه كثير من العلماء والكبراء، يتقدمهم السيد جمال الدين الأفغانى، ودفن هناك.

بالأمس كان غريباً في ديارهم واليوم صار غريب اللحد والكفن !

* * *

محمود سامى البارودى

١٨٤٠ - ١٩٠٤



محمود سامى البارودى هو إمام الشعراء المحدثين قاطبة، وباكورة الأعلام فى دولة الشعر الحديث، وأول من نهض به وجارى فى نظمه فحول الشعراء المتقدمين، فبعث النهضة الشعرية من مرقدتها بعد طول الخمود.

ولد سنة ١٨٤٠، وهو ابن حسن بك حسنى من ضباط المدفعية فى الجيش المصرى، وحفيد عبد الله الجركسى أحد الكشاف فى عهد محمد على، وسمى البارودى نسبة إلى إيتاى البارود التى كان أحد أجداده الأمير مراد البارودى ملتزماً لها فى عهد الالتزام.

وقد تلقى العلم أول ما تلقاه على أيدي أساتذة

خصوصيين فى سراى والده بغيط العدة (القريبة من باب الخلق) والمعروفة بسراى البارودى. ولما بلغ الثانية عشرة من عمره انتظم فى المدرسة الحربية، وتخرج منها سنة ١٨٥٥، والتحق بخدمة الجيش المصرى، وأخذ يترقى حتى بلغ رتبة أميرالاي، وخاض غمار الحروب فى ثورة كريد سنة ١٨٦٦، إذ كان ضابطاً فى الجيش الذى أنفذته مصر لإخماد تلك الثورة وانتصر على الثوار فى مواقع عدة.

ولما شبت الحرب بين تركيا والروسيا سنة ١٨٧٧ أنفذت مصر جيشاً لنجدة تركيا كان البارودى من ضباطه، وأبلى فى الحرب بلاء حسناً، وصقلت المعارك مواهبه الشعرية، ولما عاد إلى مصر رقى إلى رتبة اللواء، وعين مديراً للشرقية، وكان محافظاً للعاصمة حين أُلِفَ شريف باشا وزارته الثانية سنة ١٨٧٩ فى أوائل عهد الخديو توفيق، فاختره فيها وزيراً للمعارف والأوقاف، واشترك فى حوادث الثورة العرابية، وكان من زعمائها المشار إليهم بالبنان، وتولى رئاسة وزارة الثورة سنة ١٨٨٢، ثم كانت الهزيمة، ونفى مع زملائه إلى جزيرة سيلان (سرنديب) وظل فى منفاه تيقاً وسبعة عشر عاماً، وإسبغ عليه النفى سمات التضحية والبطولة^(١).

(١) راجع ترجمته تفصيلاً فى كتابنا (الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى).

الحنين إلى الوطن

كانت حياة زعماء الثورة العراقية في منفاهم حياة ألم وحزن، إذ انقطعت صلتهم بالناس، وطال اغترابهم عن أرض الوطن، وبعدت الشقة بينهم وبين أهليهم ومواطنيهم، ولم يكثر لهم أحد، ولم يعطف عليهم أحد (والناس مع الغالب!)، وجادت قريحة البارودي بشعر مؤثر في الحنين إلى الوطن، والحزن على فراقه، مما يعد آية في البلاغة، وبلغت سليقته الشعرية في منفاه ذروة العظمة والجلال.

قال يصف الرحيل عن أرض الوطن:

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عَيُونُ الْمَهَا مَنِي
عَنَاءٌ وَيَأْسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ
فَشِبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سَنِي
أَلَا شَدُّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبْنِ

إلى أن قال:

ولما وقفنا للوداع وأسبيلت
أهبت بصبري أن يعود فيزني
وما هي إلا خطوة ثم أقبلت
فكم مهجة من زفرة الشوق في لظى
وما كنت جربت النوى قبل هذه
ولكني راجعت حلمي وَرَدَّنِي
ولولا بنيات وشيب عواطل
مدامعنا فوق الترائب كالمزن
وناديت حلمي أن يثوب فلم يغن
بنا عن خطوط الحَيِّ أَجْنَحَةُ السَّفْنِ
وكم مقلة من غرزة الدمع في دجن
فلما دهنتي كدت أقضى من الحزن
إلى الحزم رأي لا يحوم على أفن
لما قرعت نفسي على فائت سني

الصبر على الشدائد

وتجلت في منفاه صفاته العالية من الشمم، وعلو النفس واحتمل آلام النقي بشجاعة وإباء، وصبر وإيمان، وله في ذلك شعر يفيض بهذه المعاني السامية.

قال وهو في سرنديب (سيلان):

لم أقترف زَلَّةً تقضى علىَّ بما
فهل دفاعي عن ديني وعن وطني
فلا يظن بي الحساد مندمة
أصبحت فيه فعاذا الويل والحرب؟
ذنب أدان به ظلمًا وأغترب؟
فإنني صابر في الله محتسب

أَيْدِي الْحَوَادِثِ مَنِي فَهُوَ مَكْتَسَبٌ
وَلَا يَتَبَدَّدُ بِذِكْرِ الْخَامِلِ النَّشَبِ^(١)

أَنْزَيْتُ مَجْدًا فَلَمْ أَعْبَأْ بِمَا سَلَبْتُ
لَا يَخْفُضُ الْبُؤْسُ نَفْسًا وَهِيَ عَالِيَةٌ
وَقَالَ مُسْتِيرًا إِلَى مُصَادَرَةِ أَمْلَاكِهِ:

خُذْ لِي بِحَقِّي مِنْ يَدِي مَا طَلِي
مِنْ كَسْبِي الْحَرْبَ بِلَا نَاطِلِ^(٢)
ذِي رَوْنَقٍ كَالصَّارِمِ الْقَاطِلِ^(٣)
فَفَضَّلَ رَبِّي حَلِيَّةَ الْعَاطِلِ

يَا نَاصِرَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
أَخْرَجْنِي عَمَّا حَوْتَهُ يَدِي
مِنْ غَيْرِ مَازِنٍ سِوَى مَنْطِقِ
فَإِنْ أَكُنْ جُرِّدْتُ مِنْ ثَرَوَتِي

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى فِي مَقَاوِمَةِ الظُّلْمِ وَالصُّمُودِ أَمَامَ الْمُحَنِ وَالْخُطُوبِ:

عَلَيْهِ فَلَا يَأْسُفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ
أَضُرَّ عَلَيْهِ مِنْ حَمَامٍ يَوْدُهُ
يَسِئُ وَيُتَلَّى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدَهُ
أَيَفْرَحُ فِي الدُّنْيَا بِيَوْمٍ يَعُدُّهُ؟
بِهَا بَطَلَا يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شَدُّهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَّتْ
وَمِنْ ذَلِكَ خَوْفُ الْمَوْتِ كَانَتْ حَيَاتُهُ
وَأَقْتُلْ دَاءَ رُؤْيَا الْعَيْنِ ظَالِمًا
عَلَامَ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلًا
عَفَاءً عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ
وَقَالَ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

ب) وَفِيضِي آبَارَ (تَكَرُّور) تَبْرَا
وَإِذَا مِتَ لَسْتُ أَعْدِمُ قَبْرًا
نَفْسٌ حَرٌّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كَفْرًا

أَمْطَرِي لَوْلَا جِبَالِ (سَرَنْدِيدِ)
أَنَا إِنْ عَشْتُ لَسْتُ أَعْدِمُ قَوْتًا
هَمَّتْ هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي

وَمِنْ قَوْلِهِ فِي الْحَنِينِ إِلَى الْوَطَنِ وَالصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ:

وَيَا بَنَاتِ الْأَيْكِ نُوحِي مَعِي
مُرِّي بِرِيَاكَ عَلَى مَرْبَعِي
بِاللَّهِ غَنَى طَرْبًا وَاسْجَعِي
بِذَمِّهِ الدَّمْعَ فَلَا تَهْجَعِي

فِيَا دَمُوعَ الْقَطْرِ سِيلِي دَمًا
وَأَنْتِ يَا نَسَمَةَ (وَادِي) الْغَضَا
وَأَنْتِ يَا عَصْفُورَةَ الْمُنْحَى
وَأَنْتِ يَا عَيْنَ إِذَا لَمْ تَفْنَى

(١) النَّشَبُ: الْمَالُ وَالْعَقَارُ.

(٢) النَّاطِلُ: الشَّيْءُ الْقَلِيلُ.

(٣) الْقَاطِلُ: الْقَاطِعُ.

أبيت أرى النجم في سدفه ضلّ بها الصبح فلم يطلع

فهل إلى الأنسواء من غاية أم هل إلى الأوطان من مرجع؟
لا تأس يا قلبُ على ما مضى لا بد للمحنة من مقطع

يتمنى أن يرى مصر

وقال في منفاه يتمنى أن يرى مصر:

يا حبذا جرعة من ماء محنية وضجة فوق برد الرمل بالقاع^(١)
ونسمة كسيم الخلد فد حملت ريًا الأزاهر من ميث وأجرع^(٢)
ياهل أراني بذاك الحى مجتمعاً بأهل ودى من قومي وأساعى؟

وفال في هذا المعنى:

أبيت حزيناً في (سرنديب) ساهراً طوال الليالي والخليون هججاً
إذا خطرت من نحو (حلوان) نسمة نزت بين قلبي شعلة تتوفد
شباب وإخوان رزئت ودادهم وكل امرئ في الدهر يشقى ويسعد!

ومن قصيدة له في هذا المعنى قالها في منفاه يتشوق إلى الوطن:

هل من طبيب لداء الحب أوراقي يتشفى عيلاً أخا حزن وإيراق^(٣)
قد كان أبقى الهوى من مهجن رمقا حتى جرى الين فاستولى على الباقي
وفيها يقول:

باروضة النيل لأمسّك بائقة ولا عدتك سماء ذات إغداق^(٤)
ولا برحت من الأوراق في حلل من سندس عبقرى الوشى برّاق
يا حبذا نسّم من جوها عبقّ يسرى على جدول بالماء دفان
مرعى جيادى وماوى جيرقى وجهى قومي ومنسبت آدابى وأعراقى

(١) المحنية. ما اتحنى من الأرض

(٢) الميث. جمع ميناء الأرض اللينة

(٣) الراعى. اسم فاعل من رقاها يرفيه أى عوده فهو راق.

(٤) البائقة الداهية والبلية ولا عدتك أى لا يجاوزتك

أصبوا إليها على بُعدٍ ويعجبنى أنى أعيش بها فى ثوب إملاق
وكيف أنسى دياراً قد تركتُها أهلاً كراماً لهم ودى وإشفاقى

* * *

فيا بريد الصبا^(١) بلغ ذوى رحى أنى مقيم على عهدى وميثاقى
وأنت يا طائراً ييكى على فنن نفسى فداؤك من ساقٍ إلى ساقٍ
أذكرتني ما مضى والشمل مجتمع بعصر والحرب لم تنهض على ساقٍ
وقال أيضاً فى منفاه:

ردوا على الصبا من عصرى الخالى وهل يعود سواد اللمة البالى؟
ماض من العيش مالاحت مخايله فى صفحة الفكر إلا هاج بلبالى
أدهى المصائب غدر قبله ثقة وأقبح الظلم صد بعد إقبال

* * *

لا عيب فى سوى حرية ملكت أعتنى عن قبول الذل بالمال
قلبى سليم ونفسى حرة وىدى مأمونة ولسانى غير ختال
بلوت دهرى فما أحمدت سيرته فى ابق من لياليه ولا تالى
حليت شطريه من يسر ومعسرة وذقت طعميه من خصب وإمحال
لم يبق لى أرب فى الدهر أطلبه إلا صحابة حر صادق الخال
وأين أدرك ما أبغيه من وطر؟ والصدق فى الدهر أعياء كل محتال
لا فى (سرنديب) لى إلف أجاذبه فضل الحديث ولاخل فيرعى لى
أبيت منفرداً فى رأس شاهقة مثل القطامى فوق المربأ العالى
إذا تلفت لم أبصر سوى صور فى الذهن برسمها نقاش آمالى

* * *

علام أجزع والأيام تشهد لى بصدق ما كان من وسمى وإغفالى
راجعت فهرس آثارى فما لمحت بصيرتى فيه مأزرى بأعمالى
فكيف ينكر قومى فضل بادرقى وقد سرت جكمى فيهم وأمثالى

(١) الصبا بالفتح. ربح معروفة.

وإن غدوت كريم العم والخال
تلوح في وجنة الأيام كالخال
وهتدى بسناها كل قوال
في صفحته فقولى خط تمثالي
بين الأنام فليس النبع كالضال
مركب من عظام ذات أوصال

فميلا إلى (المقياس) إن خفتما فقدى
شفائي من سقى ويرئى من وجدى

أين من (مصر) من أقام (بكندى)^(١)
رونق السيف واهتزاز الفرند
كالعذارى يسحبن وشى الفرند
هى أبهى من كل عقد وبند
وهى تسقى به سلافة قند
قدح الشوق فى الفؤاد بزند

الحنين إلى الأهل والولد

وقال فى منفاه وقد رأى فى المنام ابنته الوسطى:

وما الطيف إلا مأتريه الخواطر
بأوراقه والنجوم بالأفق حائر
محيط من البحر الجنوى زاهر
سوى نزوات الشوق حادٍ وزاجر
أقام ولو طالت على الدياجر

أنا ابن قولى وحسبى فى الفخار به
ولى من الشعر آيات مفصلة
ينسى لها الفاقد المحزون لوعته
فانظر لقولى تجدد نفسى مصورة
ولا تغرنك فى الدنيا مشاكلة
إن ابن آدم لولا عقله شبح

ومن قصيدة له يتشوق إلى مصر:

خليلى هذا الشوق لاشك قاتلى
ففى ذلك (الوادى) الذى أنبت الهوى
وقال فى هذا المعنى:

طال شوقى إلى الديار ولكن
حبذا (الليل) حين يجرى فيدى
تتثنى الغصون فى حافته
قلبتها يد الغمام عقودا
كيف لا تهتف الحمام عليه
كلما صورته نفسى لعينى

(١) كندى مدينة صغيرة فى جزيرة سيلان (سرنديب).

(٢) تأوب. أى أتى ليلا.

(٣) السدقة. السر.

تحمل أهوالَ الظلام مخاطرا
«خماسية^(١)» لم تدر ما الليل والسرى
فيا بُعْدَ ما بينى وبين أحيى
ولولا أمانى النفس وهى حياتها
فان تكن الأيام فرّقن بيننا
إلى أن قال:

فلا يشمت الأعداء بى فلربما
فقد يستقيم الأمر بعد اعوجاجه
ولى أمل فى الله تحيا به المنى
إذا المرء لم يركن إلى الله فى الذى
وإن هو لم يصبر على ما أصابه
ومن لم يذق حلو الزمان ومُرّه
على طُلاب العِز من مستقره
إلى أن قال:

فان كنت قد أصبحت فل^(٢) رزية
فكم بطل فل الزمان شبّاته
فسوف يبين الحق يوما لناظر
وما هى إلا غمرة ثم تتجلى
فقد حاطنى فى ظلمة الحبس بعدما

وعهدى بمن جادت به لا تخاطر
ولم تنحسر عن صفحتها الستائر
وياقرب ما التفت عليه الضمائر
لما طار لى فوق البسيطة طائر
فكل امرئ يوما إلى الله صائر

وصلت لما أرجوه بما أحاذر
وتنهض بالمرء الجدد العوائر
ويُشرق وجه الظن والخطب كاشر
يحاذره من دهره فهو خاسر
فليس له فى معرض الحق ناصر
فما هو إلا طائش اللب نافر
ولا ذنب لى إن عارضتنى المقادر

تقاسمها فى الأهل بإدٍ وحاضر
وكم سيّد دارت عليه الدوائر
وتنزو^(٣) بعوراء الحقود السرائر
غيايتها والله من شاء ناصر
ترامت بأفلاذ القلوب الخناجر



إلى غاية تنفّت فيها المرائر
على فلكة الساقين فيها المآزر

فمهلاً بنى الدنيا علينا فإننا
تطول بها الأنفاس بهراً^(٤) وتلتوى

(١) أى بنت خمس سنوات.

(٢) فل. أى منهزم.

(٣) تنزو: تطمح يقال: نزا به عليه طمح.

(٤) هرا بالضم تنابع الأنفاس من الإعياء فى اللسان.

هنالك يعلو الحق والحق واضحٌ ويسفُل كعب الزور عانر
وعما قليل ينتهى الأمر كله فما أولٌ إلا ويتلوه آخر

يشيد بعظمة الأهرام

قال يصف (الأهرام) ويشيد بعظمتها:

سل (الجيزة) الفيحاء عن (هرمى) مصر
بناءً إن رَدًّا صولة الدهر عنها
أقاما على رغم الخطوب ليشهدا
فكم أمم في الدهر بادت وأعصر
تلوح لآثار العقول عليها
رموز لو استطلعت مكنون سرها
فما من بناء كان أو هو كائن

وختمها بقوله:

فيا نسمات الفجر أذى تحيى
وبالمعات البرق إن جزت بالحمى
عليها سلام من فؤاد متيم
ولا برحت في الدهر وهى خوالد

إلى ذلك البرج المطل على النهر
فصوبى عليها بالشار من القطر
بها لا بربات القلائد والشذر^(١)
خلود الدراى والأوابد من شعرى

شعر القتال

ومن قصيدة له فى إحدى المعارك التى خاضها، ويبدو منها مبلغ شجاعته وصبره على أهوال القتال.

ولما تداعى القول واشتبك القنا
وَزَيْنٌ للناس الفرار من الردى
ودارت بنا الأرض الفضاء كأننا
صبرت لها حتى تجلت سماؤها

ودارت كما تهوى على قطبها الحرب
وماجت صدور الخيل والتهب الضرب
سقيناً بكأس لا يفيق لها شرب
وإنى صبور إن ألم بى الخطب

(١) الشذر: صفار اللؤلؤ.

الفساد فى عهد إسماعيل

وقال من قصيدة يصف سوء الحكم وظلم الحكام فى عهد إسماعيل، وينصح قومه بالمطالبة بحقوقهم والمبادرة بإصلاح شؤونهم قبل أن تسوء العقبي، وهى من شعره السياسى الوطنى الرائع:

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| قامت به من رجال السوء طائفة | أدهى على النفس من يؤس على ثكل |
| من كل وغد يكاد الدست يدفعه | بغضا ويلفظه السديوان من ملل |
| ذلت بهم مصر بعد العز واضطريت | قواعد الملك حتى ظل فى خلل |

إلى أن قال:

| | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| فبادروا الأمر قبل الفوٲ وانترعموا | شكالة الريث فالدينيا مع العجل |
| وطالبوا بحقوق أصبحت غرضاً | لكل منتزع سهماً ومختل |
| حتى تعود سماء الأمن ضاحية | ويرفل العدل فى ضفاف من الحلل |

الجيش والدستور

وقال فى أوائل عهد الخديو توفيق يدعو إلى الشورى وتقوية الجيش:

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| أمران ما اجتماعاً لقائد أمة | إلا جنى بهما ثمار السؤدد |
| (جمع) يكون الأمر فيما بينهم | (شورى) وجند للعدو بمصرصد |

يندد بالدسائس

وقال من قصيدة يشكو فيها من الدسائس التى كانت تحت حوله:

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| نقموا على حميتى فتألبوا | حزباً على وجمعوا ما أجمعوا |
| وسعوا بفريتهم فلما صادفوا | سمعا يميل إلى الملام توسعوا |
| لا عيب فى سوى حمية ماجد | والسيف يغلبه المضاد فيقطع |

يحث على الاعتدال، ويستنكر الذل

قال فى هذا المعنى:

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| إذا شئت أن تحيى سعيداً فلا تكن | لدوداً ولا تدفع يد اللين بالقسر |
| ولا تحتقر ذا فاقة فربما | لقيت به شهماً يبرّ على المشرى |

فَرُبُّ فَقِيرٍ يَمْلَأُ الْقَلْبَ حِكْمَةً وَرُبُّ غَنِيٍّ لَا يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي^(١)
وَكُنْ وَسْطًا لَا مَشْرَبًا إِلَى السُّهَى وَلَا قَانِعًا يَغْنَى التَزْلِفَ لِلصُّفَرِ^(٢)
فَأَحْمَدُ أَخْلَاقَ الْفَقِي مَا تَكَافَأَتْ بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ التَّوَاضُعِ وَالْكِبَرِ
وَلَا تَعْتَرِفُ بِالذَّلِّ فِي طَلَبِ الْغِنَى فَإِنَّ الْغِنَى فِي الذَّلِّ شَرٌّ مِنَ الْفَقْرِ

العودة إلى الوطن

وقد عاد إلى الوطن سنة ١٩٠٠ بعد أن فقد نور عينيه في منفاه، فاستقبل مصر بقصيدته التي مطلعها:

أَبَابِلُ مَرَأَى الْعَيْنِ أُمَ هَذِهِ مِصْرَ فَإِنِّي أَرَى فِيهَا عِيُونًا هِيَ السَّحَرِ
فَإِن يَكُ مُوسَى أَبْطَلَ السَّحَرَ مَرَّةً فَذَلِكَ عَصْرُ الْمَعْجَزَاتِ وَذَا عَصْرِ
إِلَى أَنْ قَالَ:

وَإِنِّي أَمْرُو تَأْتِي لِي الضِّيمُ صَوْلَةً مَوَاقِعُهَا فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ حَمَرِ
أَبِي عَلَى الْحَدَثَانِ لَا يَسْتَفْزِنِي عَظِيمٌ وَلَا يَأْوِي إِلَى سَاحَتِي ذَعَرِ

عميرة الحوادث

ومن قصيدة له قالها بعد عودته من المنفى تفيض توجعًا لحالة البلاد بعد أن جثم الاحتلال على صدرها، وقد تذكر عندما مر بقصر الجزيرة أيام إسماعيل حين كان في أوج سلطانه، وما انتهى إليه أمره من خلع وخسران، وتذكر أخطائه التي كان لها أثرها في التمهيد للاحتلال، فلم يترحم على عهده، وتنظم هذه القصيدة معتبرًا ومذكرًا، وهي من آيات الشعر في العظة والاعتبار، وقال:

هَلْ بِالْحَمَى عَنْ سَرِيرِ الْمَلِكِ مِنْ يَزْعٍ؟ هِيَهَاتَ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَبَوِّعُ وَالتَّبَعُ!
هَذِي (الجزيرة) فَانْظُرْ هَلْ تَرَى أَحَدًا يَتَأَى بِهِ الْخَوْفُ أَوْ يَدْنُو بِهِ الطَّمَعُ؟
أَضَحَتْ خِلَاءُ وَكَانَتْ قَبْلَ مَنْزِلَةٍ لِلْمَلِكِ مِنْهَا لَوْفَدِ الْعِزِّ مَرْتَبَعُ
فَلَا مَجِيبَ يَرُدُّ الْقَوْلَ عَنْ نَبَأٍ وَلَا سَمِيعَ إِذَا نَادَيْتَ يَسْتَمِعُ
كَانَتْ مَنَازِلُ أَمْلَاقٍ إِذَا صَدَعُوا بِالْأَمْرِ كَادَتْ قُلُوبُ النَّاسِ تَتَصَدَعُ
عَاشُوا بِهَا حَقِيقَةً حَتَّى إِذَا نَهَضَتْ طَيْرُ الْحَوَادِثِ مِنْ أَوْكَارِهَا وَقَعُوا

(١) أى لا ينعم ولا يضر.

(٢) القانع هنا: السائل المتذل، والصفر: الذهب.

لو أنهم علموا مقدار ما فغرت دارت عليهم رحى الأيام فانشعبوا كانت لهم عصب يستدفعون بها يد الحوادث ما شادوا ولا رفعوا أيدي سبا وتخلت عنهم التسيع كيد العدو فما ضرروا ولا نفعوا

* * *

أين المعادل بل أين الجحافل بل لا شيء يدفع كيد الدهر إن عصفت زالوا فما بكت الدنيا لفرقتهم والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر لو كان للمرء فكر في عواقبه وكيف يدرك ما في الغيب من حدث دهر يغمر وآمال تسر وأعد يسعى الفتى لأمر قد تضر به أين المناصل والخطية الشرع؟ أحداثة أو بقى من شر ما يقع ولا تعطلت الأعياد والجمع وإنما صفوه بين الورى لمع ما شاب أخلاقه حرص ولا طمع من لم يزل بغرور العيش ينخدع حمار تمر وأيام لها خدع وليس يعلم ما يأتى وما يدع

* * *

يا أيها السادر المزورّ من صلف دع ما يريب وخذ فيما خلقت له إن الحياة لثوب سوف تخلعه مهلا فإنك بالأيام منخدع لعل قلبك بالإيمان ينتفع وكل ثوب إذا مارت ينخلع وظل البارودى بعد عودته من المنفى في عزلة من الناس، لا يجتمع إلا بالصفوة المختارة من الأدباء والشعراء والمحافظين لعهد، إلى أن كانت وفاته سنة ١٩٤٠، فخلف مجداً لا يبلى على الزمان.

* * *

اسماعيل صبرى

١٨٥٤ - ١٩٢٣



شاعر بطبعه وسليقته، وطنى بفطرته وحسن سريرته، أدرك عهد الاحتلال فى إبان قوته وسطوته، فتحرّكت شاعريته، تجاهد الاستعمار، وتجدد المعانى الوطنية، وتخلدها فى قصائد غرّ تشبه أن تكون تغاريد من نبع القلب الصافى وفيض الإحساس المرفه والذوق الرفيع.

كان شاعراً رقيقاً مجيداً، عميق الوجدان، مقلاً فى شعره، محتاطاً فى نشر ما تجود به قريحته، كان علماً من أعلام الطبقة الأولى من شعراء العصر الحديث، وثانيهم بعد البارودى.

ولد سنة ١٨٥٤ بمدينة القاهرة، والتحق بمدرسة المبتدیان سنة ١٨٦٦، ثم بمدرستى التجهيزية والإدارة (الحقوق)، وأتم دراسته بمصر سنة ١٨٧٤، ثم ألحق بالبعثة المصرية إلى فرنسا، ونال شهادة الليسانس فى الحقوق من كلية «اكس» سنة ١٨٧٨، ولما عاد إلى مصر التحق بالمناصب القضائية حتى عين وكيلًا لوزارة الحفانية (العدل) سنة ١٨٩٩، واعتزل الخدمة فى سنة ١٩٠٧.

ظهرت مواهبه الشعرية منذ نعومة أظفاره، وظلت تنمو وتزدهر طول حياته، وكانت شاعريته ووطنيته عنوان مجده وموضع فخاره.

كان معاصروه يلقبونه (شيخ الشعراء)، واعترف له بذلك زملاؤه، شوقى وحافظ ومطران وعبد المطلب ونسيم وغيرهم، وإنك لتلمح تقدير شوقى لزعامته من قوله فى رثائه:

أيام أُمّرح فى غبارك ناشئاً تهج المهار على غبار خصاص^(١)
أتعلّم الغايات كيف ترام فى مضمار فضل أو مجال قواف

(١) المهار: جمع مهرة وخصاص فرس مسهور فى العرب

ومن قول حافظ في رثائه أيضًا:

لقد كنت أغشاه في داره وناديه فيها زها وازدهر
وأعرض شعري على مسمع لطيف يحس نبو الوتر

تتجلى في شعره القومي روح الحب الخالص للوطن، والشجوة الحزين على مآسيه، والاستمسك بالعزة والكرامة، والشم والإباء، ولقد عبر بأرق القصائد عن شعور مواطنيه، وترجم عن آمالهم وآلامهم.

كانت وطنيته عميقة الجذور، عاش حياته لم يزر إنجليزياً قط، ولم يذهب يوماً إلى الوكالة البريطانية، في حين أنها كانت مع الأسف مقصد الكبراء والعظماء في ذلك العهد، وطالما استماله اللورد كرومر إلى زيارته ليكسبه إلى صف المناصرين للاحتلال، فاستعصم وأبى، ولما قيل له لعلك لو فعلت كنت اليوم رئيساً للوزارة، قال: وماذا تفيدني رئاسة الوزارة غير اغضاب ضميري وإرضاء ذوى المطامع وأصدقاء الجاه^(١).

كان صديقاً صدوقاً للزعيم مصطفى كامل، أيده في جهاده منذ الساعة الأولى ولم يكن يكتف مناصرته إياه في أى منصب تولاه.

كان محافظاً للاسكندرية سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٩، وأراد مصطفى كامل أن يلقي بها خطبة من خطبه الوطنية الكبرى، فأوعزت إليه الحكومة أن يمنع إقامة الاجتماع الذي أعد لإلقاء الخطبة، بحجة المحافظة على الأمن والنظام، فأبى صبرى على الحكومة ما أرادت، ورخص بإقامة الاجتماع، وصارح الحكومة بأنه مسئول عن الأمن والنظام، وألقى مصطفى كامل خطبته.

ولما عين وكيلًا لوزارة الحفانية (العدل) في نوفمبر سنة ١٨٩٩ ظل على مودته لمصطفى، وكان في غالب الأيام يخرج من الوزارة ويعرج بدار اللواء المقابلة لها ليزور صاحب اللواء ويقضى معه الوقت الطويل، ولم يمنعه منصبه من المجاهرة بصداقته له ومناصرته إياه في الوقت الذي كان الكبراء من الموظفين وغيرهم يخشون عواقب الاتصال به، وإلى ذلك يشير شوقي في رثائه لاسماعيل صبرى إذ يقول:

وَبَحَّ الشَّبَابُ وَقَدْ تَخْطُرُ بَيْنَهُمْ هَلْ مَتَعُوا بِتَمَسُّحٍ وَطَوَافٍ؟
لَوْ عَاشَ قَدَوْتُهُمْ وَرَبُّ (لَوَائِهِمْ) نَكَسَ (اللَّوَاءَ) لِثَابِتٍ وَقَافٍ
فَلَكُمْ سَقَاهُ الْوَدَّ حِينَ وَدَادِهِ جَرَّبَ لِأَهْلِ الْحُكْمِ وَالْإِشْرَافِ

(١) ذكر هذه الواقعة الأستاذ أحمد الزين في مقدمته لديوان إسماعيل صبرى ص ٣٢.

دعوته إلى الدستور

وإنك لتجد في شعر إسماعيل صبرى انسجاماً مع سياسة مصطفى كامل وتمجيدها للوطنية ومناصرة للأمة في جهادها للحرية والاستقلال.

قال في قصيدة وجهها إلى الخديو عباس حلمى الثانى يوم عيد جلوسه سنة ١٩٠٨ يدعو إلى الدستور.

سدد سهام الرأى (بالشورى) يحط بك منه فى ظلم الحوادث فيلق
واسبق به واضرب به وأفتح به ما شئت من باب أمامك يغلُق

حادثة دنشواى

وقال فيها بـصور حادثة دنشواى ويصف فظائع الإنجليز فيها والعفو الذى أصدره الخديو عن مسجونيهـا.

وأقلت عشرة قرية حكم الهوى إن أن فيها بائس مما به
وارحمنا لجناتهم ماذا جنوا؟ ما زال يُقذى كل عين ما رأوا
حتى حكمت فجاء حكمك آية نزلت ترفرف حول كاتب نصها
شكرتك مصرٌ على سلامة بعضها ذكرت لك الصفح الجميل ولم تزل
قانون (دنشواى) ذاك صحيفة هل يرتجى صفو ويهدأ خاطر
ومضاجع القوم النيام أواهل في أهلها وقضى قضاء أخرق
أورن جاوبه هناك مطوق^(١) وقضاتهم^(٢) ما عاقهم أن يتقوا؟
فيها ويؤذى كل سمع ما لقوا للناس طي صحيفة تتألق
زمرًا ملائكة الرضى وتحلق شكرًا يغرب فى السورى ويشرق
ترمى إلى أمر أجل وترمق^(٣) تتلى فترتاع القلوب ونخفق
والموت حول نصوصها يترقرق؟ بمعذب يردى وآخر يرهق

(١) المطوق. السجين.

(٢) قضاتهم أى قضاة المحكمة المختصة التى حكمت عليهم.

(٣) يريد الدستور.

لن تبلغ الجرحى شفاء كاملاً ما دام جارحها المهند يبرق
فاحكم بغير العنف واكسر سيفه فالحلم أجمل والمكارم أليق

رثاؤه لمصطفى كامل

وقد جزع لوفاة مصطفى كامل جزعاً شديداً، وشيع جثمانه إلى مرقدّه الأخير (يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٨)، ووقف على قبره يلقي قصيدته في وداعه، ولم يكد يلقي البيت الأول منها وهو:

أداعى الأسى في مصر وبحك داعياً هددت القوى إذ قمت بالأمس ناعياً
حتى ظهر عليه التأثير الشديد والإعياء، ولم يستطع أن يتم القصيدة، وقد ألقاها في حفلة تأبينه، وتدل هذه القصيدة على مبلغ حبه له وإخلاصه لصداقته، وإعجابه به، وشدة حزنه عليه، فجاءت آية في بلاغة الرثاء، ورقة التعبير عن الحزن والألم، وكأن كل بيت فيها دمة وفاء تذرفها عين الصديق على صديقه الحميم. قال:

أجل أنا من أرضاك خلا موافياً وبرضيك في الباكين لو كنت واعياً
وقلبي ذاك المورد العذب لم يزل كما ذقت منه الحبّ والود صافياً
يسوى أنه يعتاده الحزن كلما رآك عن الخوض المهدّد نائياً
ويعثر في بعض الخطوب إذا مشى إلى بعض ما يهوى فيرجع دامياً
وإن رامه سرب المسرات لم يجد محلاً به من لالعج الهّم خالياً
ألا عللاني بالتعازي وأقنعا فؤادي أن يرضى بهن تعازياً
وإلا أعيناني على النوح والبكا فشأنكما شأنى وما بكما بيا
وما نافعى أن تبكيا غير أننى أحبّ دموع البر والمرء وافياً

أيا (مصطفى) تالله نومك رابنا أمثلك يرضى أن ينام اللياليا
تكلم فإن القوم حولك أطارقوا وقلّ ياخطيب الحىّ رأيك عالياً
لقد أوشكت من طول صمت وهجرة تخالك أعواد المنابر فانياً
وتبكيك لولا أن فيها بقية تعللها من ذلك الصوت داوياً
فهل ألفت ما بين جفئك والكرى محالفة أم قد أمنت الأعاديأ؟

وسارى الدياجى كوكب القطب هاديا
سقاها الحيا^(١) نستبطىء الدمع هاميا
كريمٌ بكينا إذ بكينا الأمانيا
صحائفه من كل فخر معانيا
غضبنا إذا سّاك قوم يمانيا
على الأفق ليلا فاحم اللون داجيا
ذكرناهما حتى نجيد التقاضيا
قنعت فلم تعى الطبيب المداويا
مع الحبر قلبًا يعلم الله غاليا

فقدناك فقدان الكمى سلاحه
وبتنا وقد باتت رفاتك فى الثرى
ولولا ترات من أمانيك عندنا
طواك الردى طوىء الكتاب تضمنت
مضاءً إذا البيض انتمت لأصولها
ورأى يجلى اليأس واليأس ضارب
إذا ما تقاضينا ولم تك بيننا
فليتك إذ أعيت كل مساجل
وليتك إذ ناضلت عن مصر لم تفض

* * *

سدى فبكى الفخر الذى كان راجيا
ترى الناس فيها فضل (بقراط) باديا
تقلده فيما مضى الحق ماضيا

لقد ضاع إخلاص الطبيب وحذقه
ولم تنتهز تلك العقاقير فرصة
نحييك سيفاً بات فى الترب مغمداً

مواساته لجرحى الحرب

ولقد كان له شعر حماسى يملأ القلوب أملاً وشجاعة.
قال من قصيدة له مخاطباً الأمير عمر طوسون يشكره على مواساته لجرحى الحرب:
وكم تعهدت جرحى من أسود وغى إن يكشر الدهر عن أحداثه كشروا
مستنجداً من بنى مصر إلى شمم إذا رأوا ثلثة فى حوضهم جبروا
مستهمياً هامياً و (النيل) فى وجل من أن تجود به أيمانكم حذر

الوحدة بين العنصرين

وقال داعياً إلى الوحدة الوطنية بين عنصرى الأمة:
عنى فيك اليوم قبضية تروى الأسى عن مسلم موجع
ويأخذ البر وآى الوفا عن الكتاب الطيب المشرع

ومن قصيدة له حين اشتد الخلاف بين المسلمين والأقباط سنة ١٩١١ يدعو إلى الوحدة الوطنية:

خففوا من صياحكم ليس في مصر لأبناء مصر من أعداء
دين عيسى فيكم ودين أخيه أحمد يأمراننا بالإخاء
مصر أنتم ونحن إلا إذا قا مت بتفريقنا دواعي الشقاء
مصر ملك لنا إذا تماسكنّا وإلا فمصر للغرباء

تنديده بصنائع الاحتلال

وقال في نوفمبر سنة ١٩٠٨ يندد بسياسة مصطفى فهمي حين سقطت وزارته وكان مواليا للاحتلال خاضعا له:

عجبت لهم قالوا سقطت ومن يكن مكانك يأمن من سقوط ويسلم
فأنت امرؤ ألصقت نفسك بالثرى وحرمت خوف الذل ما لم يحرم
فلو أسقطوا من حيث أنت زجاجة على الصخر لم تصدع ولم تتحطم^(١)

في الإباء وعزة النفس

ومن قوله في الإباء وعزة النفس، والزراية بالمتكبرين:

أيها التائه^(٢) المدلّ علينا ويك قل لي من أنت؟ إني نسيت
لو فرشت الطريق درًّا لأخطو فوقه نحو داركم ما رضيت
أنا أغنى من أن يقال فلان وفلان تزاورا ما حييت

وقال في الاستمساك بالكرامة:

لكسرة من رغيف خبز تؤدم بالملح والكرامة
أشهى إلى الحرّ من طعام يُختم بالشهد والملامة

(١) أى أن مصطفى فهمي كان في منزلة دانية لا يؤله السقوط منها، بحيث لو أسقطوا زجاجة من ذلك المكان المنخفض لم تنكسر.

(٢) التائه: المتكبر من التيه بكسر التاء.

يستنكر تعدد الزوجات

وقال يذم تعدد الزوجات:

يا من تزوج باثنتين ألا اتندُ ألقيت نفسك ظالما في الهاوية
ما العدل بين الضرتين بممكن لو كنت تعدل ما أخذت الثانية!

التوحيد والحرية

وله في تمجيد التوحيد والحرية كلمات بليغة وإن لم تكن شعرا إلا أنها تشبهه في النغم والرنين
وقوة الأثر، وهي من الشعر المنتور البليغ. قال:

أحب التوحيد في ثلاثة: الله. والمبدأ. والمرأة.
وأحب الحرية في ثلاثة:

حرية المرأة في ظل زوجها
وحرية الرجل تحت راية الوطن
وحرية الوطن في ظل الله.

تنديده بالظلم والاستعمار

قال في قصيدة له يخاطب (الدواة):

وإذا الظلم والظلام استعانا يوم نحس بأجهل الجاهلينا
واستعدا من الشرور مدادا فاجعليه في قسمة الظالمينا

إلى أن قال:

وإذا كان فيك نقطة سوء كونت من خيانة تكويننا
فاجعليها قسط الذين استباحوا في السياسات حرمة الأضعفينا

تنديده بالمستعمرين

قال ينعى على إيطاليا عدوانها على طرابلس (ليبيا) سنة ١٩١١ ويندد بما في فعلتها من الغدر
ونقض العهود والمواثيق:

بعضُ هذا الجفاء والعدوان راقبى الله أمة الطليان!

قد ملأت الفضاء غدرًا وجهلاً
وبعثت السفين ترمى طرابل
تخرق البحر والمواثيق والعـ
سَّيرتها أضغان قوم لقوم
من رآها تجرى توهم أن الـ
لا وربَّ الأسطول ما حمل الأسد
إن قوم الطليان أحرص من أن
وتسمنت غارب الطفيان
سر بحرب مشبوبة النيران
هَدَّ جهارا وذمة الجيران
سَلِمُوا من دناءة الأضغان^(١)
قوم هموا للشار للأوطان
طول جيشًا إلى حمى الحبشان^(٢)
يُفضحوا مرتين في ميدان

الامتيازات الأجنبية

وقال في هذه القصيدة يشير إلى الامتيازات الأجنبية التي منحتها الدول الشرقية للأوروبيين فقابلوها بالغدر والعقوق واتخذوها وسيلة للعدوان على هذه الدول:

ويجهم ما لصنهم أبطر القو
ولماذا تمخض السلم عن حر
منحٌ قد بذرن في نسر أيدي
هكذا فلتك المروءات في عصـ
م فعقوا ما كان من إحسان؟
ب لظاها يشوى الوجوه عوان؟
كن مذكّن منبت الكفران
ر البهاليل من بني الرومان!

القوة سياج الاستقلال

وقال فيها يدعو إلى التسليح بالقوة للدفاع عن الزمار وصد مطامع الاستعمار ويحذر أمم الشرق من غدر الدول الاستعمارية وعدوانها وتبقيتها الشر تحت ستار الود والصداقة:

لا ينق بعضنا ببعض وهذا
إن تسلّم على الغريب فسلم
ربما أصبح العناق صراعًا
ما أعد الإنسان للإنسان
في ظلال السيوف والمران^(٣)
في زمان الآداب والعرفان^(٤)

(١) يريد بالذين سلموا من دناءة الأضغان العرب وهم المعتدى عليهم في هذه الحرب.

(٢) يشير بهذا البيت والذي يليه إلى هزبه الطليان أمام الأحباش في معركة عدوه المشهورة سنة ١٨٩٦ ويعيرهم بالسكوت عن الأخذ بتأرهم في هذه المعركة.

(٣) يريد المران الرماح أى القوة المسلحة.

(٤) في هذا البيت يتهم بالدول الأوروبية وما تنطوى عليه من الغدر ونقض العهود في عصر المدنية والعلوم والآداب.

التغنى بعظمة مصر

وله قصيدة خالدة يتغنى فيها بعظمة مصر ومفاخرها، ويستحث مصر الحديثة على إحياء مجدها، قالها سنة ١٩٠٩ على لسان فرعون مصر يخاطب قومه ويبعث فيهم روح العمل لبناء مجد الدولة قال:

لا القوم قومي ولا الأعوان أعواني إذا ونى يوم تحصيل العلاء وإنى
إلى أن قال:

لا تقربوا (النيل) ان لم تعملوا عملا فمآؤه العذب لم يخلق لكسلان
ردوا المجرّة كدًا دون مورده أو فاطلبوا غيره ريًا لظمآن
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكم لا تتركوا بعدكم فخراً لإنسان
لا تتركوا مستحيلًا في استحالاته حتى يئس لكم عن وجه إمكان
مقالة هبطت من عرش قائلها على مناكب أبطال وشجعان
مادت لها الأرض من دعر ودان لها ما في المقطم من صخر وصوان
ينون ما تقف الأجيال حائرة أمامه بين إعجاب وإذعان
من كل مالم يلد فكر ولا فتحت على نظائره في الكون عينان
ويشبهون إذا طاروا إلى عمل جنا تطير بأمر من (سليمان)

(أهرامهم) تلك حيّ الفن متخذًا من الصخور بروجًا فوق كيوان
قد مر دهر عليها وهي ساخرة بما يضعضع من صرح وإيوان
لم يأخذ الليل منها والنهار سوى ما يأخذ النمل من أركان نهلان
جاءت إليها وفود الأرض قاطبة تسعى اشتياقًا إلى ما خلد الفاني
فصغرت كل موجود ضخامتها وغض بنيانها من كل بنيان
وعاد منكر فضل القوم معترفًا يثنى على القوم في سرٍّ وإعلان
تلك الهياكل في الأمصار شاهدة بأنهم أهل سبق. أهل إمعان
إذا أقام عليهم شاهدًا حجر في هيكल قامت الأخرى بيرهان

كأثما هى والأقوام خاشعة
تستقبل العين فى أثنائها صور
لو أنها أعطيت صوتا لكان له
وختمها بقوله:

أين الأولى سجلوا فى الصخر سبرتهم
بادوا وبادت على آثارهم دول
وخلفوا بعدهم حربا مخلدة
وُزُحزحوا عن بقايا مجدهم وسطا
ويل له هتك الأستار مقتحما
للجهل أرجح منه فى جهالته

وصغروا كل ذى ملك وسلطان
وأدرجوا طيَّ أخبار وأكفان
فى الكون ما بين أحجار وأزمان
عليهم العلمُ ذاك الجاهل الجانى
جلال أكرم آثار وأعيان
إذا هما وزنا يوما بميزان

إلى شوقى فى منفاه

وكان على ود صميم مع شوقى، وحينما نفى شوقى من مصر خلال الحرب العالمية الأولى ظل على صلته به، وكان شوقى قد أرسل إليه من منفاه بالأندلس سنة ١٩١٧ بيتين من قصيدة له مشهورة^(١) قال فيها:

يا سارى البرق يرمى عن جوانحننا
لما ترقرق فى دمع السماء دما
فأجابه صبرى بهذه الأبيات:

يا وامض البرق كم نُبَّهت من شجن
فالماء فى مقل، والنار فى مهج
لولا تذكر أيام لنا سلفت
يا آل ودى عودوا لا عدمتكم
يا نسمة ضمخت أذيالها سحرا

بعد الهدوء وبهمى من مآقينا^(٢)
هاج البكا فخضبنا الأرض باكيننا
فى أضلع ذهلت عن دائها حيننا
قد حار بينهما أمر المحبيننا
مابات ييكى دما فى الحى باكيننا
وشاهدوا ويحكم فعل النوى فينا
أزهار أندلس هبى بواديننا^(٣)

(١) سيرد ذكرها فى الحديث عن شوقى.

(٢) يريد شوقى أن البرق قد اقتبس اشتغاله من نار جوانحه وتحيل أن ما يرمى به البرق من المطر مشتق من دموعه.

(٣) يخاطب صبرى نسمة الأندلس التى عطرته أزهاره ويعيش فى جوها شوقى ويناجيها أن تهب عليه فى مصر.

وقد عاش اسماعيل صبرى كريم الخلق، صادقا عيوفا، أيبا وفيا لوطنه وأصدقائه، معتزا بكرامته، صريحا محبا للحق، بعيدا عن الزهو والخيلاء، وظل على هذه الأخلاق الفاضلة إلى أن توفى في ٢١ مارس سنة ١٩٢٣ بعد مرض طويل، وخلف كنوز من الشعر والوطنية، والفضائل النفسية، أضفت على اسمه هالة من المجد والخلود.

* * *

أحمد شوقي

شاعر الوطنية الأكبر
١٨٧٠ - ١٩٣٢



بلغ الشعر الوطني ذروته على لسان شوقي وحافظ،
فلقد حملا لواء النهضة الشعرية في العصر الحديث، وتغنيا
بالوطنية، وكان للحوادث الكبرى التي وقعت في مصر
والشرق صداها في شعرهما، وكلاهما كان له أثره وفضله في
تغذية الحركة الوطنية بعبون الشعر الوطني، سطع نجمهما
في عصر واحد، وغردا في جيل واحد، وانتقلا إلى جوار
ربهما في عام واحد (١٩٣٢) ولم تمض على وفاة حافظ ثلاثة
أسهر حتى لحق به شوقي في الرفيق الأعلى.

سمى شوقي أمير الشعراء، ولقب الأمير لم يعد يتفق
والروح الديمقراطية، ولم تعد الامارة تضيف على صاحبها
منزلة محترمة، هذا إلى أن شوقي أكبر من أن يمجّد بهذا اللقب، فهل نسميه (سيد الشعراء)؟ إن
كلمة السيادة لغير الأمة لم تعد أيضاً تتفق والأوضاع الديمقراطية، فهل نسميه (زعيم الشعراء)؟
إنه ولا ريب أقدر شعراء عصره، ولم يكن ينازعه في زعامة الشعر أحد من أئداده ومعاصريه،
فلقد عقدوا له لواء الزعامة وباعوه عليها في المهرجان الذي أقيم له بمصر سنة ١٩٢٧ وجمع
أقطاب الشعراء من العالم العربي وخاطبه فيه صنوه حافظ بقوله:

أميرَ القوافي قد أتيتُ مبايعاً وهذى وفود الشعر قد بايعت معي
على أن لقب (زعيم الشعراء) لا يكفي للتعريف به والتثنية بمكانته، وخير لقب له أن يسمى
(شاعر العربية الأكبر) وأن نسميه في هذا الكتاب (شاعر الوطنية الأكبر)

ولد أحمد شوقي في ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٠^(١) وتعلم في المدارس النظامية، ودخل مدرسة

(١) عن التاريخ الثابت في شهادة الليسانس التي نالها الفقيه من كلية الحقوق بباريس

الإدارة (الحقوق)، في أوائل عهد الاحتلال، وفي سنة ١٨٨٧ سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق والأدب، وأتم دراسته سنة ١٨٩٣.

أدرك شوقي الاحتلال الإنجليزي وهو شاب مهذب مثقف، وعرف كيف عصف الاحتلال باستقلال البلاد، وإذ كانت عبقرية الشعرية قد خلقت وولدت معه ولازمته منذ صباه، فقد قترنت بشعوره الوطني الذي تولد في نفسه بالفطرة، وزاده توهجاً ورسوخاً رؤيته الاحتلال لأجنبي يجثم على صدر البلاد، فامتزجت شاعريته بوطنيته، وكان لمصر وآلامها صدى بعيد وأثر عميق في شعره، وظل حبه للوطن يوجهه في قصائده ويلهمه التغريد له والحنو عليه. التحق منذ عودته إلى مصر بديوان المعية الخديوية، وعلت مكانته لدى الخديو عباس الثاني حتى سمي (شاعر الأمير) ولكن روحه الوطنية لم تتأثر كثيراً من صلته بالقصر هذا إلى أن للخديو عباس كان في أول عهده بالعرش يناوئ الاحتلال والاحتلال يناوئه، حتى إذا جنح بهادنة الاستعمار، لم يكن لهذا التحول أثر كبير في شعر شوقي، اللهم إلا هدأة وقتية في الحرب لمشبوبة بين الأمة والاحتلال، على أن تأصل روح الوطنية في نفسه جعله لا يجارى الخديو عباس، انصرافه عن الحركة الوطنية، ثم في تنكره لها، فبقى شعره ينهل من منبع الوطنية الصافي. وانفصل عن منصبه في القصر بعد خلع الخديو عباس عن العرش في ديسمبر سنة ١٩١٤ بتحرر من المنصب الحكومي، فزادته الحرية قوة وإنتاجاً وتحليقاً في سماء الشعر والفن والخيال، استهدف لاضطهاد السلطة العسكرية البريطانية، إذ قررت نفيه وتركت له اختيار البلد الذي نفى إليه، فاختار أسبانيا (الأندلس)، وبقي على عهده للوطن، ثم عاد من منفاه في فبراير سنة ١٩٢٠، والبلاد في غليان الثورة، فاستقبلت مصر شاعرها الملهم استقبالا حافلا رائعاً.

ويمتاز شعر شوقي بقوة البيان، وروعة الموسيقى الشعرية، وسعة الأفق، والتعمق في استيعاب الحوادث التاريخية، قديمها وحديثها، ولقد جرى فحول الشعراء المتقدمين، وبذمهم في كثير من صائده، وجدد بعض التجديد في الشعر العربي بما اقتبسه عن شعراء الغرب، وعن الثقافة لأوروبية، وسار في التجديد شوطاً بعيداً وخاصة بعد عودته من المنفى، إذ وضع عدة مسرحيات معربة بلغت مبلغاً عظيماً من الفن والموسيقى والجمال، كمصرع كليوباتره، ومجنون ليلى، عنتره، وغيرها، وظل ينتج ويشدو ويبعد، إلى أن توفي في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢.

الوطنية في شعر شوقي

في قصائد شوقي يسطع نور الوطنية، ويتأجج لهيبها، وهو أغزر الشعراء مادة وأوسعهم نتاجاً في هذه الناحية، ولقد ظل يستلهم روح الوطنية طول حياته، شاباً وكهلاً وشيخاً، بل إن

سعره الوطني في شبخوخته كان أقوى منه في شبابه، وقد يكون مرجع ذلك إلى تجرده من الاتصال بالقصر بعد خلع الخديو عباس حلمي، كما أسلفنا، ثم إلى نفيه من مصر في أوائل الحرب العالمية الأولى، فأثار البعد عن الوطن شاعريته، وجاد بأبداع قصائده في الحنين إلى مصر وحبها والهيام بها إلى درجة التقديس، ومرجع ذلك أيضا إلى تأصل عبقرية الشعر في نفسه، فلم تضعفها السن، ولم ينل منها الزمن وظلت قوية تتدفق حيوية ونشاطا.

والوطنية في شعر شوقي هي فيض الفطرة والإلهام، وليست من صنع الظروف أو التكلف، ولذلك جاءت قوية جارفة، عميقة رائعة.

فتأمل في أول قصيدة له في ديوانه وهي التي قالها في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد بمدينة جنيف عام ١٨٩٤ ومطلعها.

هَبَّتِ الْفَلَكُ واحْتَوَاهَا الْمَاءُ وحداها بمن تُقَلُّ الرُّجَاءُ

تجدها آية في شعر الملاحم أو الشعر التاريخي، وتحس وأنت تقرؤها أنها قبس من نور الوطنية، فهي سجل ناطق (لكبار الحوادث في وادي النيل)، وقد بلغ عدد أبياتها ثلثمائة بيت إلا قليلا (تسعين ومائتي بيت)، عرض فيها عرضا أخاذا بديعا تاريخ مصر من أقدم العصور إلى عام نظمها، أشاد بعظمتها ومجد مفاخرها، وحنى عليها في كبواتها، واستنزل السخط على كل من اعتدى عليها.

فانظر إلى قوله عن عظمة مصر:

قُلْ لِبَنِي بَنَى فَشَادَ فَعَالِي لَمْ يَجْزُ مِصْرَ فِي الزَّمَانِ بِنَاءِ
لَيْسَ فِي الْمَكْنَاتِ أَنْ تُنْقَلِ الْأَجْبَالُ^(١) شُماً وَأَنْ تُنَالَ السَّمَاءُ

ولما انتهى في سرد الحوادث إلى الحملة الفرنسية سجل إخفاقها وارتدادها عن مصر، قال:

وَأَتَى النَّسْرُ^(٢) يَنْهَبُ الْأَرْضَ نَهَبًا يَشْتَهِي النَّيْلَ أَنْ يَشِيدَ عَلَيْهِ
حُلُمْتُ رُومَةً بِهَا فِي اللَّيَالِي فَأَنْتَ مِصْرُ رُسُلُهُمْ تَتَوَالِي
وَلَوْ اسْتَشْهَدَ الْفَرَنْسِيْسُ رُومًا لَأَتَتْهُمْ مِنْ رُومَةٍ الْأَنْبِيَاءُ
عَلِمْتُ كُلَّ دَوْلَةٍ قَدْ تَوَلَّتْ أَنَا سَمَهَا وَأَنَا الْوَبَاءُ

(١) الأبحال: جمع جبل.

(٢) يقصد نابليون.

قاهر العصر والممالك نابليون ولَّتْ قِوَادُهُ الكبراء
جاء طيشًا وراح ومن قبل أطاشت أناسها العليا
وانظر كيف يصور في البيتين الآتين سكوت الأهرام وهى تواجه نابليون بأنه سكوت
السخرية والاستهزاء وكأنها تتنبأ له بالهزيمة فى ختام معاركه، قال:

سكتت عنه يوم عيَّرها الأهرام لكن سكوتها استهزاء
فهى توحى إليه أن تلك (واتر لو) فأين الجيوش أين اللواء؟
وتأمل كيف يعبر عن قناة السويس بأنها نكبة على مصر قال:

جمع^(١) الزاخرين كَرَّها فلاكا نا ولا كان ذلك الالتقاء
أحمر عند أبيض للبرابا حصَّة القطر منها سوداء
والقصيدة كلها على هذا الغرار فى الإجادة والإبداع، ولقد نظمها وهو فى الرابعة والعشرين،
وكأنما رسم فيها منهجه فى الشعر، فهو يقتبس من عبقريته الشعرية، ومن روحه الوطنية معا،
وقد لازمه هذا الامتزاج فى شتى قصائده.

شوقى ومصطفى كامل

سارت نهضة الشعر فى مصر إلى جانب النهضة الوطنية التى هبت لمقاومة الاحتلال، ومن هنا
جاءت صلة الزعيم مصطفى كامل بشعراء عصره، وكانت دعوته الوطنية تلقى صدى وتأيدا فى
قصائدهم الغز، بحيث يمكن القول بأن الشعر لم يتألق فى سبأ مجده مثلما تألق فى عهد مصطفى
كامل ومحمد فريد.

وقد ظهر التجاوب بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقى، وزاد فى هذا التجاوب أن شوقى
كان صديقاً حميماً لمصطفى، وكلاهما معجب بصاحبه أياً إعجاب، ولا غرو فيها صنوان، وفرسا
رهان، هذا فى ميدان الوطنية والجهاد، وذلك فى دولة الشعر والبيان، وكان شوقى يعتز بصداقته
لمصطفى ومشاركته إياه فى تعهده الروح الوطنية وغرسها فى نفوس الجيل، وإلى ذلك يشير فى
قصيدته عن ذكرى مصطفى سنة ١٩٢٥ اذ يقول فيها مخاطباً الفقيد.

أتذكر قبل هذا الجيل جيلا سهرنا عن معلّمهم وناماً؟
مهار الحق بغضنا اليهم شكيم القيصريّة واللجاما^(٢)

(١) الإشارة هنا إلى سعيد الذى منح دلبس امتياز القناة، ويريد بالزاخرين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر.

(٢) مهار. جمع مهر، والمراد بالمهار هنا الشباب، والمراد بشكيم القيصريّة ولجامها. بطش الاحتلال وجبروته.

(الواؤك) كان يَسْقِيهِمْ بِجَامٍ وكان الشعرُ بين يديَّ جاما
من الوطنية استبقوا رحيقًا فضضنا عن معْتَقِهَا الختامَا

وكان مصطفى يصف شوقي بأنه «الغدير الصافي في القاف الغاب، يسقي الأرض ولا يبصره الناظرون»، وكان يخص لقصائده أسمى مكان في (اللواء)، وفي ذلك يقول شوقي في مرثاته الخالدة:

قد كنت تهتف في الورى بقصائدي وتجلّ فوق النّيرين مكاني
وزاره وهو على فراش مرضه الأخير، فطلب إليه مصطفى أن يرتيه إذ أحس بدنو أجله، وفي ذلك يقول شوقي:

وجعلت تسألني الرثاء فهأكه من أدمعي وسرائري وجناني
ويبدو الانسجام بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقي في كثير من قصائده.

قصيدة شوقي في وداع اللورد كرومر

فمن ذلك قصيدته المشهورة في وداع اللورد كرومر سنة ١٩٠٧ حين اضطر إلى الاستقالة على أثر حادثة دنشواي، ففي أبياتها تتجلى الروح الوطنية والنقمة على الاحتلال، قال:

أيامكم أم عهد اسماعيلًا أم أنت فرعونٌ يسوس النيلًا؟
أم حاكمٌ في أرض مصر بأمره لا سائلًا أبدًا ولا مسئولًا
يا مالكًا رقّ الرقاب بيأسه هلا اتخذت إلى القلوب سبيلًا؟
لما رحلت عن البلاد تشهدت فكأنك الداء العياء رحيلا
أوسعتنا يومَ الوداع إهانةً أدبٌ لعمرك لا يصيبُ مثيلًا^(١)

إلى أن قال:

أنذرتنا رقا يدوم وذلةً تبقى وحالا لا ترى تحويلا
أحسبت أن الله دونك قدرةً لا يملك التغيير والتبديلا؟
الله يحكم في الملوك ولم تكن دولٌ تنازعه القوى لتدولا

(١) يشير إلى خطبة اللورد كرومر في الحفلة التي أقامها صنائع الاحتلال بدار الأوبرا تكريمًا له وأمان فيها المصريين.

وعونٌ قبلك كان أعظم سطوةً وأعزّ بين العالمين قبلاً

اليوم أخلفت الوعود حكومةً كنا نظن عهدَها الانجيلاً
دخلت على حكما الوداد وشرعه مصراً فكانت كالسلاسل دخولا
هدمت معالمها وهدت ركنها وأضاعت اعتقالها المأمولا

وقال:

قد مدَّ إسماعيل قبلك للورى ظلّ الحضارة في البلاد ظليلاً
إن قيس في جود وفي سرف إلى ما تنفقون اليوم عدّ بخيلاً
أو كان قد صرع (المفتش) مرةً فلکم صرعت بدنشواي قتيلاً
لا تذكر الكرياج في أيامه من بعد ما أنبت فيه ذيولاً

قصيدته في ذكرى دنشواي

وقصيدته سنة ١٩٠٧ أيضاً عن (ذكرى دنشواي)، بعد مرور عام على حادثتها، في سبيل طلب العفو عن سجنائها، وفيها وصف مؤثر لهذه المأساة.

قال:

يادنشواي على رباك سلام ذهب بآنس ربوعك الأيام
شهداء حُكمك^(١) في البلاد تفرقوا هيهات للشمّل الشتيب نظام
مرّت عليهم في اللحد أهلة ومضى عليهم في القيود العام
كيف الأرامل فيك بعد رجالها وبأى حال أصبح الأيتام؟
عشرون بيتاً أقفرت وانتابها بعد البشاشة وحشة وظلام
ياليت شعري في البروج حمائم أم في البروج منية وحمائم؟
(نيرون) لو أدركت عهد (كرومر) لعرفت كيف تنفذ الأحكام!

نوحى حمائم دنشواي وروعى شعياً بوادي النيل ليس ينام
إن نامت الأحياء حالت بينه سحراً وبين فراشه الأحلام

(١) أي حكم المحكمة المختصة في قضية دنشواي.

متوجعٌ يتمثلُ البومَ الذى ضجتُ لشدةِ هولِهِ الأقدام
السوطُ يعملُ والمشائِقُ أربعُ متوحداً والجنودُ قيام
والمستشارُ^(١) إلى الفطائعِ ناظرُ تدمى جلودُ حولِهِ وعظام
فى كلِّ ناحيةٍ وكلِّ محلةٍ جزعاً من الملاءِ الأسيفِ زحام
وعلى وجوهِ الثاكليينِ كآبةٌ وعلى وجوهِ الثاكلاتِ رَغام

رثاء لمصطفى كامل

ولما توفى مصطفى كامل سنة ١٩٠٨ رثاه شوقي بقصيدته الخالدة التى تعد أكبر مرثاة فى تاريخ الأدب العربى، ترجم فيها عن شعوره بالحزن والألم بآيات بينات تجلت فيها حكمة الشعر وقوة الوطنية وروعة البيان، وقد نشرت يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٨ عقب وفاة الزعيم بثلاثة عشر يوماً، فأثرت فى النفوس تأثيراً عميقاً، وجدت أحران الأمة، وحفظناها وحفظها الشباب وقتئذ عن ظهر قلب، لأنها عبرت عن شعورنا جميعاً فى الرزء الفادح، ننشرها كاملة لأنها قطعة من الشعر الوطنى الخالد. قال فى مطلعها:

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما فى مأتم والدانى
يا خادماً للإسلام أجر مجاهد فى الله من خلد ومن رضوان
لما نعتت إلى الحجاز مشى الأسى فى الزائرين وروّع الحرمان
السكة الكبرى^(٢) حيال رباهما منكوسة الأعلام والقضبان
لم تألها عند الشدائد خدمةً فى الله والمختار والسلطان
يا ليت مكة والمدينة فازتا فى المحفلين بصوتك الرنان
ليرى الأواخر يوم ذاك ويسمعوا ما غاب من قس ومن سحبان^(٣)
جار التراب وإنك أكرم راحل ماذا لقيت من الوجود الفانى؟

وقال عن مرضه الذى أودى بحياته:
أبكى صباك ولا أعاتب من جنى هذا عليه كرامةٌ للجاني^(٤)
يتساءلون أبا لسلال قضيت أم بالقلب أم هل مت بالسرطان

(١) يريد الكتبتن ممثل مستشار وزارة الداخلية وكان يشرف على تنفيذ الحكم.

(٢) يريد سكة حديد الحجاز

(٣) قس وسحبان خطيبان من أبليغ خطباء العرب.

(٤) الجاني إشارة إلى مصطفى كامل أى أنه ضحى بحياته وشبابه فى سبيل مصر.

والجد والإقدام والعرفان

في هذه الدنيا فأنت الباقى
هل فيه آمال وفيه أمانى
ولرب حى ميب الوجدان

ومضلل يجرى لغير عنان
عليها المراتب لم تتح لجبان
ماتوا على دين ولا إيمان
جعلت لها الأخلاق كالعنوان
قصر يريك تقاصر الأقران
إن الحياة دقائق وثوان
فالذكر للإنسان عمر تانى
ما شاء من ربح ومن خسران
وهى المضيق لمؤثر السلوان

الله يشهد أن موتك بالحجا
وقال يشيد بأخلاق الفقيد:

إن كان للأخلاق ركن قائم
بالله فتش عن فؤادك فى الترى
وجدانك الحى المقيم على المدى
وقال فى فلسفة الحياة:

الناس جارى فى الحياة لغاية
والخلد فى الدنيا وليس بهين
فلو أن رسل الله قد جبنوا لما
المجد والشرف الرفيع صحيفة
وأحب من طول الحياة بذلة
دقات قلب المرء قائلة له
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
للمرء فى الدنيا وجم شؤونها
فهى القضاء لراغب متطلع

يشقى له الرحماء وهو الهانى
فى طيها شجن من الأشجان
نعمى الحياة وبؤسها سيان

خطرات والإسرار والإعلان
غاز بغير مهنند وسنان؟
أن العلوم دعائم العمران

الناس غاد فى الشقاوة رائح
ومنعم لم يلق إلا لذة
فاصبر على نعمى الحياة وبؤسها

وقال مخاطباً الزعيم:

يا طاهر الغدوات والروحات والد
هل قام قبلك فى المدائن فاتح
يدعو إلى العلم الشريف وعنده

وقال فى وصف الجنابة:

لَفُوكَ فى عَلمِ البلاد منكَسًا ، جَزَجَ الهلالُ على فقى الفتيان

ما احمرّ من خجل ولا من ريبة
يُزْجُون نَعشَكَ في السَّاءِ وفي السَّاءِ
وكأنه نَعش (الحسين) «بكر بلا»
في ذمّة الله الكريم وبره
ومشى جلال الموت وهو حقيقة
لكنما يبكى بدّمع قاني^(١)
فكأنما في نَعشك القمران
يختال بين بكى وبين حنان
ما ضم من عرف ومن إحسان
وجلالك المصدق يلتقيان

* * *

شَقَّتْ لِنَظْرِكَ الجيوبَ عقائلُ
والخلقُ حولك خاشعون كَمَهْدِهِمْ
يتساءلون بأى قلب تُرْتَقَى
فلو إن أوطاناً تُصَوِّرُ هيكلًا
أو كان يُحْمَلُ في الجوارح ميت
أو صيغ من غُرِّ الفضائل والعلَى
أو كان للذكر الحكيم بقية

وقال يصف الفقيد في مرضه الأخير:

ولقد نظرتك والردى بك محقق
يبغى وَيَطْفَى والطبيب مضلل
ونواظرُ العواد عنك أمالها
تملى وتكتب والمشاغل حمة
فهشّشتُ لى حتى كأنك عائدى
ورأيتُ كيف تموت آساد الشرى
ووجدتُ في ذاك الخيال عزائبًا
والداء ملء معالم الجثمان
قَنِطُ وساعات الرحيل دوانى
دمعُ تعاليج كتّمه وتعانى
ويداك في القرطاس ترتجفان
وأنا الذى هدّ السقام كيافى
وعرفتُ كيف مصارع الشجعان
ما للمنون بدكّهن يدان

* * *

وجعلتَ تسألنى الرثاء فهأكه
لولا مغالبة الشجون لخطايرى
من أدمعى وسرائرى وجناتى
لنظمتُ فيك يتيمة الأزمان

وأنا الذى أرى الشمس إذا هوت فتعود سيرتها من الدوران

قد كنت تهتف فى الورى بقصائدى وتُجَلُّ فوق النيرات مكاني
ماذا دهانى يوم يَنْتَ فعقنى فيك القريضُ وخائنى إمكاني
هَوْنٌ عليك فلا شمات ببيت إن المنية غاية الإنسان
من للحسود بيمتة بُلغتها عزّت على كسرى أنو شروان
عوفيت من حَرَب الحياة وحرّبا فهل استرحت أم استراح الشانى

وقال فى ختام القصيدة يذكر فضل مصطفى على مصر:

يا صَبَّ مصر ويا شهيدَ غرامها هذا ثرى مصرِ فتم بأمان
اخلع على مصر شبابك غالياً والبس شباب الحور والولدان
فلعل مصرًا من شبابك ترتدى مجداً تتيه به على البلدان
فلو أنا بالهرمين من عَزَماته بعض المضاء تحرك الهرمان
علّمت شبان المدائن والقرى كيف الحياة تكون فى الشبان
مصر الأسيفة ريفها وصعيدها قبرٌ أبرُّ على عِظامِك حانى
أقسمت أنك فى التراب طهارةً مَلَكٌ يهاب سؤاله المَلَكُان

شهيد الحق

وكان سوقي لا يفتأ يذكر مصطفى بعد وفاته:

فمن ذلك قصيدته التى نظمها سنة ١٩٢٥ لمناسبة ذكراه بعنوان (شهيد الحق)، تناول فيها ما أصاب البلاد من انقسام وتشاحن وتناحر، ثم انتقل من ذلك إلى ذكرى مصطفى كامل، فوفاه حقه من التمجيد، قال فى مطلعها:

إلامَ الخلفُ بينكمو إلا ما؟ وهذه الضجةُ الكبرى علاماً؟
وفيمَ يكيد بعضكم لبعضٍ وتُبدون العداوة والخصاماً؟
وأين الفوز؟ لا مصر استقرت على حالٍ ولا السودان داما

إلى أن قال:

ولينا الأمرَ حزباً بعد حزب فلم نَكُ مصلحين ولا كراماً

ولم نَعُدْ الجزاء والانتقاماً
بأهواء النفوس فما استقاماً

جعلنا الحكم توليةً وعزلاً
وسُسنا الأمر حين خلا إلينا

وقال ذاكرًا مناقب الفقيد:

بأرض ضُيِّعَتْ فيها اليتامى
ومرَّ على القلوب فما أقاماً^(١)
كأن بمهجة الوطن السقاما
فغطَّى الأرض وانتظم الأناما
وضمَّ مروءةً وحوى زماما
طلعت حياها قمرًا تماماً
بعينى من أحب ومن تعامى
إذا هو في عكاظٍ علا السناما
والطف حين تنطقه ابتساما
صراحاً ليس يتخذ اللثاماً

شهِدَ الحق قم تَره يتيماً
أقام على الشفاه بها غريباً
سَقِمَتْ فلم تَبِتْ نفسٌ بخير
ولم أر مثل نعشك إذ تهادى
تَحْمَلُ همةً وأقلَّ ديناً
وما أنساك في العشرين لما
يُشارُ إليك في النادى وتُرمى
إذا جثَّ المنابر كنت (قَساً)
وأنت ألدُّ للحق اهتزازاً
وتحمل من أديم الحق وجهاً

سهرنا عن معلّمهم وناماً؟
شكيم القيصرية واللجاما
وكان الشعر بين يديّ جاما
فَضُّضْنَا عن مَعْتَقِهَا الختاماً
بكل قرارة وزكا مُداماً
كنفخ الصوّر حركت الرجاماً^(٢)
بسوّرتها وساعت للندامى^(٣)
وكانت في حلاوتها بغماماً^(٤)

أتذكرُ قبل هذا الجيل جيلاً
مِهَارُ الحق بغَضُّنا إليهم
لواؤك كان يسقيهم بجامٍ
من الوطنية استبقوا رحيقاً
غرسنا كرمها فزكا أصولاً
جمعتهمو على نبرات صوت
لك الخطبُ التي غص الأعداى
فكانت في مرارتها زئيراً

(١) أى أن الحق تنطق به الأفواه ولا يستقر في القلوب.

(٢) الرجام: القبور.

(٣) السورة: الحدة والشدة؛ والندامى جمع نديم والمراد بهم والأنصار والأصدقاء.

(٤) البغام: صوت الظبي.

حديثاً من خرافة أو مناماً
وصيرت (الجللاء) لها دعاماً

بك الوطنية اعتدلت وكانت
بنيت قضية الأوطان منها

وله قصيدة في ذكره سنة ١٩٢٦ قال:

| | |
|---------------------------------|---------------------|
| وحياة من السير | لم يمت من له أثر |
| بعدت غاية السفر | أدعه غائباً وإن |
| آبت الشمس والقمر ^(١) | آيب الفضل كلما |
| قد أتانا من الحفر | رب نور مُتَمِّم |
| ميّت الحبر والخبر | إنما الميت من مشى |
| وإذا مات لم يضر | من إذا عاش لم يُفد |
| منه ظل ولا ثمر | ليس في الجاه والغنى |
| ور إذا ذلت القُصر | قُبْح العز في القص |

| | |
|-----------------------------------|-------------------------|
| وإلى (مصطفى) افتقر | أعوز الحق دائد |
| هبة الصارم الذكر | ومتنت حياضه |
| والذى يركب الخطر | الذى يُنفذ المدى |
| <u>واضع الأس والحجر</u> | <u>أبها القوم عظموا</u> |
| هى من آية الكبر | أذكروا الخطبة التى |
| منبراً تحت محتضر | لم ير الناس قبلها |
| وهو يمشى إلى الظفر | لست أنسى لوائه |
| زمرّاً إثرها زمر | حشر الناس تحته |
| لاترى البيض والسمر ^(٢) | وترى الحق حوله |
| نفخ الروح فى الصور | كلما راح أو غدا |

(١) أى يعود للفقيد فضل وتتجدد ذكره كلما آبت الشمس وعاد القمر

(٢) البيض: السيوف والسمر الرماح.

يَا آخَا النَّفْسِ فِي الصَّبَا لَذَّةَ الرُّوحِ فِي الصَّغَرِ
 وَخَلِيلَا ذَخَرْتُهُ لَمْ يَسْمُومَ بِمَدْخَرِ
 حَالِ بَيْنِي وَبَيْنِهِ فِي قُبْجَاءَاتِهِ الْقَدَرِ
 كَيْفَ أَجْزَى مَوَدَّةً لَمْ يَشُبْ صَفْوَهَا كَدَرِ
 غَيْرَ دَمْعٍ أَقُولُهُ قَلٌّ فِي الشَّأْنِ أَوْ كَثُرِ
 وَفَوَادٍ مَعْلَلٍ بِالْخَيَالَاتِ وَالذِّكْرِ
 لَمْ يَنْمِ عَنْكَ سَاعَةً فِي الْأَحَادِيثِ وَالسَّمَرِ
 قَمِ تَرِ الْقَوْمَ كَتَلَةً مِثْلَ مَلُومَةِ الصَّخَرِ
 جَدُّوا أُلْفَةَ الْهَوَى وَالْإِخَاءَ الَّذِي شَطَرِ
 لَيْسَ لِلْخُلْفِ بَيْنَهُمْ أَوْ لِأَسْبَابِهِ أَثَرِ
 أَلْفَتْهُمْ رَوَائِحُ غَادِيَاتٍ مِنَ الْغَيْرِ
 وَصَحُّوا مِنْ مَنْوَمٍ وَأَفْأَقُوا مِنَ الْخَدْرِ^(١)
 أَقْبَلُوا نَحْوَ حَقِّهِمْ مَا لَهُمْ غَيْرُهُ وَطَرِ
 جَعَلُوهُ خَلِيَّةً شَرَعُوا دُونَهَا الْإِبْرِ
 وَتَوَاصَوْا بِخَطَّةٍ وَتَدَاعَوْا لِمَوْثَرِ
 وَقَصَارَى أُولَى النِّهَى يَتَلَاقُونَ فِي الْفَكْرِ
 أَذْنُونَا بِمَوْقِفٍ مِنْ جَلَالِ وَمِنْ خَطَرِ
 نَسْمَعُ الْلَيْثَ عِنْدَهُ دُونَ آجَامِهِ زَارِ
 قَلْ لَهُمْ فِي نَدِيهِمْ^(٢) مَصْرٌ بِالْبَابِ تَنْتَظِرُ

شوقي وفريد

لم تكن صلة شوقي بفريد كصلته بمصطفى، وعندما تولى فريد زعامة الحركة الوطنية سنة ١٩٠٨، بعد وفاة الزعيم الأول، كانت سياسة (الوفاق) بين الخديوى عباس الثانى والمعتمد البريطانى قد ثبتت قواعدها، وتشكر عباس للحركة الوطنية، ومع صلة شوقي بالقصر واشتداد الجفاء بين الخديوى وفريد، فإنه لم يتعرض له بسوء فى أى قصيدة له، وكان هذا منه نعم الوفاء للوطنية.

(١) الخدر الكسل.

(٢) يريد البرلمان.

وبدا حب شوقي للحزب الوطني وتأييده له من رثائه لعمر بك لطفى أحد أقطاب هذا
الحزب ومؤسس التعاون في مصر، فقد نظم سنة ١٩١١ في رثائه قصيدة بديعة قال في مطلعها:
قَفُّوا بِالْقُبُورِ نُسَائِلَ عَمْرٍ متى كانت الأرضُ مَثْوَى القمَرِ؟
وفيهما يقول:

«نِقَابَاتُكَ» الغُرُّ تَبْكِي عَلَيْكَ وَيَبْكِي التَّعَاوُنُ مِنْ سَنَّتِهِ
وَيَبْكِيكَ (حِزْبُ) تَحْيِيرَتِهِ وَأَنْتِ غَرَسْتَ فَكَانُوا الثَّمَرِ

رثاؤه لفريد

ولما توفي فريد سنة ١٩١٩ رثاه بقصيدة من عيون شعره، ظهر فيها تقديره للزعيم الشهيد،
قال:

كُلُّ حَيٍّ عَلَى الْمَنِيَةِ غَادَى لَمْ يَدُمْ حَاضِرٌ وَلَمْ يَبْقَ بَادَى^(٢)
ذَهَبَ الْأَوَّلُونَ قَرْنًا فَقَرْنًا غَيْرَ بَاقِي مَآثِرٍ وَأَيَادَى^(٣)
هَلْ تَرَى مِنْهُمْ وَتَسْمَعُ عَنْهُمْ

كُرَّةَ الْأَرْضِ كَمْ رَمَتْ جَوَاجِئَنَا وَالْغُبَارُ الَّذِي عَلَى صَفْحَتَيْهَا
كُلُّ قَبْرِ مِنْ جَانِبِ الْقَفْرِ يَبْدُو وَزِمَامَ الرِّكَابِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
تَطْلُعُ الشَّمْسُ حَيْثُ تَطْلُعُ نَضْجًا إِلَى أَنْ قَالَ:

أَسَأَلْتُمْ حَقِيبَةَ الْمَوْتِ مَاذَا تَحْتَهَا مِنْ ذَخِيرَةٍ وَعَتَادِ؟

(١) نادى المدارس العليا وكان عمر لطفى رئيسه.

(٢) الحادى هو الذى يغنى للماملة فتتشط في سيرها.

(٣) الحاضر ساكن الحضر، والبادى ساكن البادية.

وحوارى نبيّة واعتقاد
وحدها بالشهيد دار الرشاد
حاسراً قد تجلّت بسواد
راعها أن تراه في الأصفاد
في سبيل الحقوق نضو سهاد
كان للحشد والندى والطراد
لم يدين بالقرار في الأغمار

إن في طيها إمام صُفوف
لو تركتم لها الزمام لجاءت
انظروا هل ترؤن في الجمع (مصرأ)
تاج أحرارها غلاماً وكهلاً
وسدوه التراب نضو سفار
واركزوه إلى القيامة رُحماً
وأقروه في الصفائح عَضْباً

وقال مستيراً إلى موته في منفاه:

وانتهت محنة وكفت عوادي
وشفى من أصادق وأعادى
غاية القرب أو قصارى البعاد
وافقد العمر لا تؤب من رقاد
في قديم من الحديث مُعاد
س ومعناه في صدور الصّعاد
كتحلّى القتال باسم الجهاد

نازح الدار أقصر اليوم بين
وكفى الموت ما تخاف وترجو
من دنا أو نأى فإن المنايا
يسر مع العمر حيث شئت تؤوبا
ذلك الحق لا الذى زعموه
وجرى لفظه على ألسن النسا
يتحلّى به القوى ولكن

وقياما على حقوق العباد
نزل الأقوياء فيه على الضّعفى وحلّ الملوك بالزهاد
صفحات نقيّة كقلوب الرسائل مغسولة من الأحقاد
قم إن أسطعت من سريرك وانظر
هل تراهم وأنت موفٍ عليهم
أمة هيئت وقوم الخير السدهر أو شره على استعداد
وتصوغ الرناء في كل ناد
غرّة البر في سواد الحداد
رجل مات في سبيل البلاد
للنجيب الجريء في الأولاد

هل ترى كالتراب أحسن عدلا
هل تراهم وأنت موفٍ عليهم
أمة هيئت وقوم الخير السدهر أو شره على استعداد
وتصوغ الرناء في كل ناد
غرّة البر في سواد الحداد
رجل مات في سبيل البلاد
للنجيب الجريء في الأولاد

(كفريد) وأين ثانی فرید
الرئيس الجواد فیما علمنا
أَكَلَتْ مَالَهُ الْحَقُوقُ وَأَبْلَى
لَكَ فِي ذَلِكَ الضَّيِّ رِقَّةُ الرُّو
عِلَّةٌ لَمْ تَصِلْ فِرَاشَكَ حَتَّى
صادفت قرحة يلائمها الصبر وتأبى عليه غير الفساد
وَعَدَ الدَّهْرُ أَنْ يَكُونَ ضِمَادًا لَكَ فِيهَا فَكَانَ شَرَّ ضِمَادٍ
وَإِذَا الرُّوحُ لَمْ تَنْفُسْ عَنِ الْجِسْمِ (فبقراط)^(١) نافعٌ في رَمَادٍ

قصيدته في ذكره

وفي سنة ١٩٢٤ نظم قصيدة في ذكره الخامسة، وهي من أبلغ شعره ومن أروع ما قيل في تمجيد فريد ووطنيته وتضحياته، قال:

نَجَّدْ ذِكْرِي عَهْدَكُمْ وَنَعِيدُ
وَلِلنَّاسِ فِي الْمَاضِي بَصَائِرُ يَهْتَدِي
إِذَا أَلَيْتَ لَمْ يَكْرُمُ بِأَرْضِ ثَنَائِهِ
وَنَحْنُ قَضَاةُ الْحَقِّ نَرعى قَدِيمَهُ
وَنَعْلَمُ أَنَا فِي الْبِنَاءِ دَعَائِمُ
فَرِيدُ ضَحَايَانَا كَنِيرٌ وَإِنَّمَا
فَمَا خَلَفَ مَا كَابَدْتَ فِي الْحَقِّ غَايَةً
تَقَرَّبْتَ عَشْرًا أَنْتَ فِيهِنَّ بَائِسُ
تَجْمُوعُ بَيْلِدَانِ وَتَعَرَّى بَغِيرَهَا
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَقِّ طَارِفُ
وَجُودِكَ بَعْدَ الْمَالِ بِالنَّفْسِ صَابِرَا

وَنَذْنِي خِيَالُ الْأَمْسِ وَهُوَ يَعِيدُ
عَلَيْهِنَّ غَاوٍ أَوْ يَسِيرُ رَشِيدُ
تَحْيِرٌ فِيهَا الْحَيُّ كَيْفَ يَسُودُ
وَإِنْ لَمْ يَفْتَنَّا فِي الْحَقِّوَقِ جَدِيدُ
وَأَنْتُمْ أَسَاسُ فِي الْبِنَاءِ وَطِيدُ
بِحَالِ الضَّحَايَا أَنْتَ فِيهِ فَرِيدُ
وَلَا فَوْقَ مَا قَاسَيْتَ فِيهِ مَزِيدُ
وَأَنْتَ بِأَفَاقِ الْبِلَادِ شَرِيدُ
وَتَرْزَحُ تَحْتَ الدَّاءِ وَهُوَ عَتِيدُ
مَنْ الْمَالُ لَمْ تَبْخُلْ بِهِ وَتَلِيدُ
إِذَا جَزَعَ الْمُحْضُورُ وَهُوَ يَجُودُ

(١) بقراط هو أبو الطب.

فلا زلت تَمَنَّا من الحق خالصًا على سرِّه نَبِيَّ العِلا ونَشِيد
يَعْلَمُ نَشَأَ الحَيِّ كَيْفَ هُوَ الحَيِّ وكيف يَحَامِي دُونَهُ وَيَذُودُ

حبه وتقديسه للوطن

إن حب شوقي للوطن يتمشى في معظم قصائده، مما تراه في ديوانه، وقد اقتبسنا طرفاً منها، وله فوق ذلك أبيات بلغ فيها حبه للوطن درجة التقديس والعبادة مما يجعلها تسير مسرى الحكم والأمثال، على تعاقب السنين والأجيال، وتبعث في نفوس المواطنين روح الإخلاص العميق للوطن والفناء فيه.

كقوله سنة ١٩٢٠ بعد عودته إلى مصر من منفاه:

ويا وطني لقيتُك بعد يأسٍ كَأَنِّي قد لقيتُ بك الشباب
ولو أَنِّي دُعيتُ^(١) لَكنتُ ديني عليه أَقَابِلَ الحَتَمِ المَجَابِ^(٢)
أدير إليك قبل البَيْت وجهي إِذَا فُهِتُ الشَّهَادَةُ والمَتَابِ

ففى هذه الأبيات يقدم شوقي الوطن على الدين ويدير وجهه إلى الوطن قبل الكعبة عندما يلتقى ربه.

وقوله سنة ١٩٢٤ مخاطباً الشباب:

وَجْهَ الكِنَانَةِ لَيْسَ يُغْضَبُ رِيَّكُمْ أَن تَجْعَلُوهُ كَوَجْهِهِ مَعْبُودَا
وَلَوْ أَنِّي دُعيتُ^(١) لَكنتُ ديني عليه أَقَابِلَ الحَتَمِ المَجَابِ^(٢)
أدير إليك قبل البَيْت وجهي إِذَا فُهِتُ الشَّهَادَةُ والمَتَابِ

وقوله وهو في منفاه:

وطني لو شغلتُ بالخالد عنه نازعتنى إليه في الخلد نفسي

أى أنه لو شغل عن الوطن بجنة الخلد وسكنها، لبقيت نفسه تهفو إلى الوطن وتنزع إليه. وقوله من قصيدته سنة ١٩٢٦ في نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسى:

(١) أى دعيت إلى الموت.

(٢) الحتم المجاب هو الموت.

وللأوطان في دَم كل حُرٍّ يَد سَلَفَتْ ودينٌ مستحقٌ
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرِّجة تُدقُّ

وقوله:

لا تلوماها أليست حرة وهوى الأوطان للأحرار دين

وقال سنة ١٩٠٤:

أحبك مصر من أعماق قلبي وحبك في صميم القلب نام
وبلغ حبه لمصر أن جعلها كعبة أشعاره قال:
وإني لأغريد هذا البطاح تغدَّى جناها وسلسالها
ترى مصرَ كعبةَ أشعاره وكلَّ معلقة قالها

ثورة سنة ١٩١٩

قال من قصيدة له بعنوان (الحرية الحمراء) يمجّد ثورة ١٩١٩:

يومُ البطولة لو شهدتْ نهاره لنظمتُ للأجيال ما لم يُنظَّم
غُبِنَتْ حقيقته وفات جمالها باعَ الخيالُ العبقريُّ الملهم
لولا عوادى النفى أو عقبانهُ والنفى حالٌ من عذاب جهنم
لجمعتُ ألوانَ الحوادثِ صورةً^(١) مثلتُ فيها صورةَ المستسلم
وحكيتُ فيها النبلَ كاظمَ غيظه وحكيته متغيّظاً لم يكظم
دَعَتْ البلادَ إلى الغمار فغامرت وطنيةً بمثقف ومعلم
ثارت على الحامى العتيد وأقسمت بسواه جَلُّ جلاله لا تحتمى

يومَ النضالِ كَسَتْكَ لونَ جمالها حُرِّيَّةٌ صَبَغَتْ أديمك بالدم

(١) يشير إلى أنه كان منفاً حين شبت الثورة.

تعلقه بالجللاء

ويبدو في شعره مبلغ تعلقه بالجللاء، وإيمانه به، وهذا ولا ريب من فيض الوطنية التي يستلهم منها شعره.

قال في سنة ١٩٢٤ يخاطب الشباب الذين أفرج عنهم بعد الحكم عليهم في قضية المؤامرة الكبرى:

| | |
|--|--|
| لِمَا بَنَى اللَّهُ الْقَضِيَّةَ ^(١) مِنْهُمْ | قَامَتْ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ عُمُودًا |
| جَادُوا بِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَأَوْشَكُوا | يَتَجَاوِزُونَ إِلَى الْحَيَاةِ الْجُودَا |
| طَلَبُوا (الْجَلَاءَ) عَلَى الْجِهَادِ مَثُوبَةً | لَمْ يَطْلُبُوا أَجَرَ الْجِهَادِ زَهِيدًا |
| وَاللَّهِ: مَا دُونَ الْجَلَاءِ وَيَوْمِهِ | يَوْمٌ تُسَمِّيهِ الْكِئَانَةُ عِيدًا |
| وَجَدَ السَّجِينَ يَدًا تُحَطِّمُ قَيْدَهُ | مَنْ ذَا يُحَطِّمُ لِلْبِلَادِ قَيْدًا؟ |

وحدة وادى النيل

وقال في يولية سنة ١٩٢٤ عن وحدة وادى النيل من قصيدة له في استنكار حادث الاعتداء على المرحوم سعد زغلول ونجاته من محاولة اغتياله:

| | |
|--|--------------------------------------|
| وَلَنْ نَرْضَى أَنْ تُقَدَّ الْقَنَاءُ | وَيُبْتَزَّ مِنْ مِصْرَ سَوْدَانُهَا |
| فَمِصْرُ الرِّيَاضِ وَسَوْدَانُهَا | عَيُونَ الرِّيَاضِ وَخَلْجَانُهَا |
| وَمَا هُوَ مَاءٌ وَلَكِنَّهُ | وَرِيدُ الْحَيَاةِ وَشِرْيَانُهَا |
| تَتَمُّ مِصْرَ يَنْابِيعُهُ | كَمَا تَمُّ الْعَيْنَ إِنْسَانُهَا |
| وَأَهْلُوهُ مِنْذُ جَرَى عَذْبُهُ | عَشِيرَةُ مِصْرَ وَجِيرَانُهَا |

مشروع ملتر

هو مشروع المعاهدة الذي انتهت إليه مفاوضات سعد - ملتر سنة ١٩٢٠ ويحمل في طياته عناصر الحماية، وكان ممن عارضوه المرحوم الدكتور عبد الحميد أبو هيف، فلما توفي سنة ١٩٢٦ رثاه شوقي في قصيدة أشار فيها إلى هذه المعارضة وأيدها، قال:

(١) يقصد القضية الوطنية.

بالأس كانت لابن هيف غُضْبَةٌ للحق نذكرها يداً بيضاء
 مشّت البلاد إلى رسالة (ملنر) وتحفزت أرضاً لها وساء
 فلمحتُ أعرجُ في زوايا الحق لم أعلم عليه ذمّةً عرجاء^(١)
 ارتدت العاهاتُ عن أخلاقه لسمّوهنّ وحلت الأعضاء
 لما رأى (التقرير) ينفث سمّه سيق الحواة فأخرج الرقطاء^(٢)
 هتك الحماية والرجال وراءها يتلمسون لها الستور رياء

تصريح ٢٨ فبراير

وقال عن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢^(٣).

ربحت من (التصريح) أن قيودها قد صرن من ذهبٍ وكنّ حديدًا
 أوماترون على (المنابع)^(٤) عُدَّة لا تنجلي وعلى (الضفاف) عديدًا
 يافتيّة النيل السعيد خذوا المدى واستأنفوا نفسَ الجهاد مديدًا

يدعو إلى التضحية ويهاجم الاستعمار

قال يدعو إلى الجد والتضحية:

والمرء ليس بصادقٍ في قوله حتى يؤيد قوله بفعله
 والشعب إن رام الحياة كبيرةً خاض الغمار دما إلى آماله

ومن قصيدته سنة ١٩٢٦ في نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسي:

لحّاها الله أنباء توالّت على سمع الوليّ بما يشقُّ^(٥)
 يفصلها إلى الدنيا يريدُ ويُجملها إلى الآفاق برقُ

(١) أصيب المرحوم أبو هيف بمرض بترت فيه ساقه وكان يمشى على ساق صناعية.

(٢) الرقطاء. الحية.

(٣) هو التصريح الذي أعلنته بريطانيا في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وأقرت فيه بانتهاء الحماية على مصر وبإعتراف باستقلالها واحتفظت فيه بتولى أمور أربعة تعصف بجوهر الاستقلال وهي (١) تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر (٢) الدفاع عن مصر (٣) حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات (٤) السودان.

(٤) منابع النيل بالسودان. وعدة أئى جنودا. والضفاف قناة السويس.

(٥) الولي أى المحب والصديق.

وللمستعمرين وإن ألانوا
رماك بطيشه ورمى فرنسا
إذا ما جاء طُلاب حق
دم الثوار تعرفه فرنسا

إلى أن قال:

نصحتُ ونحن مختلفون داراً
ويجمعنا إذا اختلفت بلادُ
وقفتم بين موت أو حياة
وللاوطان في دم كل حرٍّ
ومن يسقى ويشربُ بالمنايا
ولا يبنى المالك كالضحايا
ففى القتل لأجيالٍ حياة
وللحرية الحمراء بابٌ

ولكن كُنّا في الهمّ شَرِقْ
بيانٌ غيرُ مُختلفٍ ونُطْقُ
فإن رمتهم نعيمَ الدهر فاشقوا
يدٌ سلفت وذَيْنُ مستحقّ
إذا الأحرار لم يُسقوا ويسقوا؟
ولا يُدنى الحقوق ولا يحقّ
وفى الأسرى فِدَى لهم وعَتَقُ
بكل يدٍ مضرّجة يُدَقُّ

يشفق على الوطن

من قصيدة له في استقبال عيد الفطر يشفق على مصر ويقول أن لا عيد حتى تتحقق أهدافها.

وطنى أسفتُ عليك في عيد المَلّا
لا عيدَ لى حتى أراك بأمةٍ
ذهب الكرامُ الجامعون لأمرهم
أبطلَ بعضهم لبعض خاذلاً
وإذا أراد الله إشقاء القُرَى
وبكى من وَجَدَ ومن إشفاق
شاء راوية من الأخلاق
وبقيت في خَلْفٍ بغير خلاق^(١)
ويقالُ شَعْبٌ في الحضارة راقٍ؟
جعل الهداة بها دُعاة شِقاق

يدعو إلى الأخلاق

إن بيته المشهور عن الأخلاق هو ديوان من الشعر تتجلى فيه الحكمة الأزلية في أن الأخلاق

(١) الخلاق: النصيب الوافر من الخير.

هى أساس حياة الأمم وسبيلها إلى العظمة والمجد:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وقد أكد هذا المعنى الرائع فى غير موضع.
قال:

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا
وقال:

وما السلاح لقوم كل عُدَّتهم حتى يكونوا من الأخلاق فى أهب
وقال أيضا:

على الأخلاق خُطُّوا الملك وابنوا فليس وراءها للعز رُكنٌ
وفوله:

المجد والشرف الرفيعُ صحيفةٌ جُعِلت لها الأخلاق كالعنوان
وقوله:

وإذا ما أصاب بُنيان قوم وهى خُلِقَ فإنه وهى أُسٌ
وقوله:

كذا الناس بالأخلاق يَبْقَى صلاحُهم ويذهبُ عنهم أمرُهم حين تَذهبُ
وقوله:

ولقد يُقام من السيوف وليس من عَثَرَاتِ أخلاقِ الشعوب قيامٌ
ومن قصيدته (نهج البردة):

صلاحُ أمرك للأخلاق مَرَجْعُهُ فالنفسُ من خيرها فى خير عافية
والنفسُ من شرها فى مرتعٍ وَخِمِ
وقوله:

وكان جنائهم فيها مهيبا ولأخلاق أجدر أن تُهابا

وقال فى هذا المعنى من قصيدة له سنة ١٩٢٠:

وليس بعامر بنيان قومٍ إذا أخبلاتهم كانت خرابا

وقوله:

ولا المصائب إذ يُرمى الرجال بها بقاتلاتٍ إذا الأخلاق لم تُصَبِّ

يدعو إلى الوحدة الوطنية

من قصيدة له في رثاء بطرس غالي سنة ١٩١٠:

| | |
|---|--|
| الحقُّ أبلغُ كالصباح للناظر | لو أن قومًا حَكَّمُوا الأحلاما |
| أَعَهْدَتْنَا وَالْقَبْطُ إِلَّا أُمَّةٌ | للأرض واحدةً تروم مراما |
| نُعَلِيَّ تَعَالِيمِ الْمَسِيحِ لِأَجْلِهِمْ | وَيُوقِرُونَ لِأَجْلِنَا الْإِسْلَامَا |
| الِدِينُ لِلدِّينَانِ جَلٌّ جَلَالُهُ | لو شاء ربك وَحَّدَ الْأَقْوَامَا |
| يَاقَوْمُ بَانَ الرَّشْدُ فَاقْضُوا مَا جَرَى | وخذوا الحقيقة وانبذوا الأوهاما |
| هَذِي رِبْوَعُكُمْ وَتِلْكَ رِبْوَعُنَا | مُتَقَابِلِينَ نَعَالِجِ الْأَيَامَا |
| هَذِهِ قَبُورُكُمْ وَتِلْكَ قَبُورُنَا | مُتَجَاوِرِينَ جَمَاجِمًا وَعِظَامَا |
| فَبِحَرَمَةِ الْمَوْتِ وَوَجِبِ حَقِّهِمْ | عِشُوا كَمَا يَقْضِي الْجَوَارُ كَرَامَا |

وقال من قصيدة أخرى له في هذا المعنى سنة ١٩١٠:

| | |
|--|--|
| تَعَالَوْا عَسَى نَطْوِي الْجَفَاءَ وَعَهْدَهُ | وننبذ أسباب الشقاق نواحيا |
| أَلَمْ تَكْ (مِصْرُ) مَهْدُنَا ثُمَّ لَحْدُنَا | وبينهما كانت لكل مغانيا |
| أَلَمْ تَكْ مِنْ قَبْلِ (الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ) | و (موسى) و (طه) تعبد النيل جاريا |
| فَهَلَّا تَسَاقَيْنَا عَلَى حُبِّهِ الْهَوَى | وهلّا فديناه ضفأفا وواديا |
| وَمَا زَالَ مِنْكُمْ أَهْلٌ وَدٌّ وَرَحْمَةٌ | وفي المسلمين الخيرُ ما زال باقيا |
| فَلَا يَثْنُكُمْ عَنْ ذِمَّةِ قَتْلٍ (بَطْرَسَ) | فَقَدَّمَا عَرَفْنَا الْقَتْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا |

القوة في الاتحاد

صوت الشعوب من الزئير مجمعا فلإذا تفرق كان بعضُ نباح

يستحث الشباب على العلم والجداد

قال مخاطبًا الشباب في قصيدة نظمها سنة ١٩٢٤:

| | |
|-----------------------------|--|
| يا شباب الغد وأبنائى الفدى | لَكُمْ أَكْرِمٌ وَأَعَزُّ بِالْفِدَاءِ |
| هل يمد الله لى العيش عسى | أَنْ أَرَاكُمْ فِي الْفَرِيقِ السَّعْدَاءِ |
| وأرى تاجكُمْ فوق السها | ورأى عرشَكُمْ فوق ذُكَاءِ |
| من رآكم قال مصر استرجعت | عزها في عهد (خوفو) و (مناء). |
| أمة للخلد ما تبني إذا | ما بنى الناسُ جميعا للبقاء |
| إنما مصر إليكم وبكم | وحقوق البر أولى بالقضاء |
| عصركم حر ومستقبلكم | في يمين الله خير الأمناء |
| لا تقولوا حطنا الدهر فما | هو إلا من خيال الشعراء |
| هل علمتم أمة في جهلها | ظهرت في المجد حسناء الرداء |
| باطن الأمة من ظاهرها | إنما السائل من لون الإناء |
| فخذوا العلم على أعلامه | واطلبوا الحكمة عند الحكماء |
| واقربوا تاريخكم واحتفظوا | بفصيح جاءكم من فصحاء |
| أنزل الله على ألسنهم | وحيه في أعصر الوحي الوضاء |
| واحكموا الدنيا بسلطان فما | خُلقت نضرتها للضعفاء |
| واطلبوا المجد على الأرض فإن | هي ضاقت فاطلبوه في السماء |

يدعو إلى إنكار الذات

وقال مخاطبًا الشباب في قصيدة قالها سنة ١٩٢٤.

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| قالوا أتتظم للشباب تحية | تبقى على جيد الزمان قصيدا |
| قلت الشباب أتم عقد مآثر | من أن أزيدهمو الثناء عقودا |
| قبلت جهودهم البلاد وقبّلت | تاجا على هاماتهم معقودا |
| خرجوا فما مدوا خناجرهم ولا | منّوا على أوطانهم بجهودا |
| خفى الأساس عن العيون تواضعا | من بعد ما رفع البناء مشيدا |

حكمه وعظاته

تنساب في شعر شوقي الحكم والعظات يخاطب بها مواطنيه ويصرهم بعبر التاريخ وعظات الحوادث، مما نذكر طرفاً منه.

جلال الخالدين

قال عن جلال الملوك وأنه إلى زوال ولا يبقى إلا جلال الخلود:
جلالُ الملك أيامٌ وتمضي ولا يمضي جلال الخالدين

الخلود للعمل الصالح

وقال سنة ١٩٢٣ عن الخلود وأنه للعمل الصالح:
من سره أن لا يموت فبالعلی خلّد الرجال وبالفعل النّابه
ما مات من حاز الثرى آثاره واستولت الدنيا على آدابه
قل للمدّل بما له وبجاهه وبما يحلّ الناس من أنسابه
هذا الأديم يصدّ عن حضاره وينام ملء الجفن على غيابه
إلا فتى يمشى عليه مجدداً ديباجتيه معمرًا لخرايه

العدل أساس الملك

وقال في العدل:
والعدل في الدولار أسُّ ثابت يُفنى الزمان وينقذ الأجيالا

فلسفة الحياة

وقال من قصيدته في رثاء مصطفى كامل:
دقّت قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان
ومن قوله في ذكرى كارنارفون مكتشف كنوز توت عنخ آمون:
في الموت ما أعيّا^(١) وفي أسبابه كل امرئ رهن بطي كتابه

(١) ما أعيّاز أى ما أعجز عن إدراك حقيقته. ورهن بطي كتابه، أى باق في الحياة حتى ينتهى أجله.

إن نام عنك فكل طَبْ نافع أو لم ينم فالطب من أذنبه

إلى أن قال منوهاً بفضل كارنارفون في اكتشافاته الأثرية:

أَفْضَى إلى خَتَم الزمان فَفَضَّهُ وَحَبَا إلى التاريخ في محرابه
وطوى القرونَ القهقري حتى أتى فرعونَ بين طعامه وشرابه

ومن قوله في العظة والاعتبار حين سقطت أدرنة وكانت من أمهات المدن الإسلامية في مقدونية وغلبها البلغار سنة ١٩١٢:

يا أخت أندلس عليك سلامٌ هوت الخلافة عنك والإسلام

إلى أن قال يندد بسياسة الترك:

رفعوا على السيفِ البناءَ فلم يدم ما للبناءِ على السيوفِ دوام
أبقى الممالك ما المعارفُ أسسه والعدلُ فيه حائطٌ ودعام
إن الغرورَ إذا تملك أمةً كالزهر يُخفى الموت وهو زوام

لا حق للضعيف

وقال سنة ١٩٢٣ أثناء انعقاد مؤتمر لوزان مشيراً إلى صلف الإنجليز مع مصر لأنها لم يكن لها من القوة ما تسترد به حقها:

أتعلم أنهم صلفوا وتاهوا وصدّوا الباب عنا موصدينا؟
ولو كنا نجرُّ هناك سيفاً وجدنا عندهم عطفاً ولينا
سيقضى (كرزن) بالأمر عنا وحاجاتُ (الكنانة) ما قضينا

وقال في هذا المعنى:

يا طيرُ والأمثالُ تُضدُّ رُبَّ لَلِيْبِ الأمثل
دُنْيَاكَ من عاداتها ألا تَكُونِ لأعزل

الحكم للشعوب لا للمستبدين

قال سنة ١٨٩٤ في أول قصيدة له في ديوانه ينبه الملوك إلى قوة الشعوب ويدعوهم إلى النزول على حكمها:

إن ملكت النفوس فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسر فكيف الخلائق العقلاء؟
يحسب الظالمون أن سيسودو ن وأن لن يؤيد الضعفاء
والليالي جوائرٌ مثلها جا روا ولدهر مثلهم أهواء
وقال سنة ١٩٢٢ يبشر بحكم الشعوب وزوال حكم الفرد:

زمان الفرد يا فرعون ولّي ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض عل حكم الرعية نازلينا

وقال سنة ١٩٢٣ يندد بالمستبدين:

المستبد يُطاق في ناووسه لاحت تاجيه وفوق وثابه^(١)
والفرد يؤمن شره في قبره كالسيف نام الشر خلف قرابه^(٢)

وقال في هذا المعنى يخاطب توت عنخ آمون سنة ١٩٢٥:

قسما بمن يحيى العظا م ولازيدك من يمين
لو كان من سفر أيا بك أمس أو فتح مبین
لرأيت جيلا غير جيلك بالجبابر لايدین
ورأيت محكومين قد نصبوا وردوا الحاكمين^(٣)
روح الزمان ونظمه وسبيله في الآخرين
ان الزمان وأهله فرغا من الفرد اللعين
فإذا رأيت مشايخا أوفية لك ساجدين
لاقي الزمان تجدهم عن ركبته متخلفين
هم في الأواخر مولدا وعقوهم في الأولين

الشعب قد يُخدع

قال في مسرحية (مصرع كليوباترة) على لسان (حاي) يخاطب (ديون)^(٤):

(١) الناووس. القبر. والوثاب: السرير.

(٢) قراب السيف: غمده.

(٣) نصبوا وردوا: أى ولوا وعزلوا الحاكمين.

(٤) حاي وديون: من أشخاص الرواية وكلاهما من أمناء مكتبة قصر كليوباترة.

إِسْمَعُ الشَّعْبُ دِيُونُ كَيْفَ يُوحُونَ إِلَيْهِ
مِلَأُ الْجَوَّ هُتَافَا بِحَيَاتِي قَاتِلِيهِ
أَثَرُ الْبَهْتَانُ فِيهِ وَأَنْظِلِي الرُّزُورُ عَلَيْهِ
يَا لَهُ مِنْ بَبْغَاءَ عَقْلُهُ فِي أَذْنِيهِ

الحياة الدستورية السليمة

قال عن الدستور:

تشرُّ الحكومة أن يساس بواحد في الملك أقوامٌ عداد رماله

وقال سنة ١٩٢٤ من قصيدة له عن (الأزهر):

وَتَقِيَّأُوا الدِّسْتُورَ تَحْتَ ظِلَالِهِ كَنَفًا أَهْسُ مِنَ الرِّيَاضِ وَأَنْضِرَا
لَا تَجْعَلُوهُ هَوًى وَخُلْفًا بَيْنَكُمْ وَجَرَّ دُنْيَا لِلنَّفُوسِ وَمَتَّجِرَا
الْيَوْمَ صَرَّحَتْ الْأُمُورُ فَأَظْهَرَتْ مَا كَانَ مِنْ خَدَعِ السِّيَاسَةِ مَضْمُرَا
قَدْ كَانَ وَجْهُ الرِّأْيِ أَنْ نَبْقَى يَدًا وَنَرَى وَرَاءَ جَنُودِهَا إِنْجَلْتِرَا
فَإِذَا أَتَتْنَا بِالصَّفُوفِ كَثِيرَةً جئْنَا بِصَفٍّ وَاحِدٍ لَنْ يُكْسِرَا

وقال سنة ١٩٢٦ من قصيدة له في عيد الجهاد:

وبالدستور وهو لنا حياةً نرى فيه السلامة والفلاحا
أخذناه على المهج الغوالي ولم نأخذه نَيْلاً مُسْتَمَاحَا
بَنَيْنَا فِيهِ مِنْ دَمْعٍ رُواقَا ومن دم كلِّ نَابِتَةٍ جَنَاحَا

وقال سنة ١٩٢٧ عن الحياة الدستورية السليمة:

إِذَا سَلِمَ الدِّسْتُورُ هَانَ الَّذِي مَضَى وهَانَ مِنَ الْأَحْدَاثِ مَا كَانَ آتِيَا
الْأَكْلُ ذَنْبٌ لِيَالِي لِأَجَلِهِ سَدَلْنَا عَلَيْهِ صَفْحَنَا وَالتَّنَاسِيَا

وقال سنة ١٩٢٦ حينما اجتمع المؤتمر الوطني يوم ١٩ فبراير من تلك السنة واثلت فيه الأحزاب يحیی الدستور لمناسبة عودته بعد توحيد الصفوف:

صَرَّحَ^(١) عل الوادی المبارك ضاحی متظاهراً بالأعلام والأوضاع

(١) يريد الدستور.

ضافى الجلالة كالعتيق مفصّل
وكان رفرقه رواق من ضحى
الحق خلف جناح استذرى^(١) به
هو هيكّل الحرية القانى، له
يبنى كما تبنى الخنادق فى الوغى
ينهار الاستبداد حول عراضه
ويكب طاغوت الأمور لوجهه

* * *

هو ما بنى الأعزّال بالراحات أو
أخذنه (مصر) بكل يوم قاتم
هبت سماعاً بالحياة سبأها
ومشت إلى الخيل الدوارع وانبرت
وقفات حق لم تقفها أمة
وإذا الشعوب بنوا حقيقة ملّكهم

إلى أن قال فى توحيد الصفوف:

بشرى إلى الوادى تهز نباته
تسرى ملمحة الجول على الرّبي
التامت الأحزاب بعد تصدّع
سحبت على الأحقاد أذيال الهوى
وجرت أحاديث العتاب كأنها
ترمى بطرفك فى المجامع لا ترى

إلى أن قال يصف تعطيل الدستور عام ١٩٢٥:

احتل حصن الحق غير جنوده
وتكالبت أيدٍ على المفتاح

(١) استذرى: استظل.

(٢) صلاح: اسم لكمة.

وَاسْتَوْحَشَتْ لِكَمَاتِهَا النَّزَّاحَ
وَخَلَا مِنَ الْغَادِينَ وَالرَّوَّاحِ
كَالْغَارِ مِنْ شَرَفٍ وَسَمَتْ صَلَاحَ

صَجَّتْ عَلْ أَبْطَالِهَا تُكْنَأْتُهُ
هُجِرَتْ أَرَائِكُهُ وَعُطِّلَ عُودُهُ
وَعَلَاهُ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ فَزَادَهُ

وقال ينصح الشباب:

ذَرُغُ الشَّبَابِ يَضِيقُ بِالنَّصَّاحِ
فِي قَصَفِ أَنْوَاءٍ وَعَصْفِ رِيَّاحِ
فِي الْحَادِثَاتِ وَسَيْلِهَا الْمَجْتَاحِ
مِنْ أَمْرِ مُفْتَتَاتٍ وَنَهْيِ وَقَاحِ
فَإِذَا تَفَرَّقَ كَانَ بَعْضُ نُبَّاحِ
رَنْقًا مِنَ الْإِحْسَانِ غَيْرَ قَرَّاحِ
طَهَّرْتُ عَلَيْهِ سَجِيَّةَ الْمَنَاحِ
لَا فِي الْحِبَالِ وَلَا طَرِيقُ سَرَّاحِ
وَكَسَا الْقِيُودَ مُحَاسِنَ الْأَوْضَاحِ
طَوَّلُ اجْتِهَادٍ وَاضْطِرَّادُ كِفَاحِ
إِنَّ الْأُنَاءَ سَبِيلُ كُلِّ فَلَاحِ
إِنَّ الشَّرَّاعَ مُثَقَّفُ الْمَلَّاحِ

قُلْ لِلْبَنِينَ مَقَالَ صَدَقَ وَاقْتَصِدْ
أَنْتُمْ بَنُو الْيَوْمِ الْعَصِيبِ نَشَأْتُمْ
وَرَأَيْتُمُ الْوَطَنَ الْمُؤَلَّفَ صَخْرَةً
وَشَهِدْتُمْ صَدْعَ الصَّفُوفِ وَمَا جَنَى
صَوْتُ الشُّعُوبِ مِنَ الزَّنِيرِ مَجْمَعًا
أَظْلَمْتُمْكَمُ الْأَيَّامُ نَمَ سَقْتَكُمْ
وَإِذَا مُنِحَتْ الْخَيْرَ مِنْ مُتَكَلِّفٍ
تَرْكْتَكُمْو مِثْلَ الْمَهِيضِ جَنَاحَهُ
مَنْ صَيَّرَ الْأَغْلَالَ زُهْرًا قَلَانِدٍ
إِنَّ التِّي تَبْغُونَ دُونَ مَنَالِهَا
سَيَرُوا إِلَيْهَا بِالْأُنَاءِ طَوِيلَةً
وَخَذُوا بِنَاءَ الْمَلِكِ عَنْ دُسْتُورِكُمْ

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٦ حين اجتمع برلمان الائتلاف:

وَالْعَزُّ لِلدُّسْتُورِ وَالْإِكْبَارُ
فِيهِ وَلَا يَطْفَى بِهِ جَبَّارُ
صَالِهِ وَاخْضَلَّتْ الْأَسْحَارُ
وَلِكُلِّ جِهْدٍ فِي الْحَيَاةِ ثَمَارُ
وَبَنِينَ لَمْ يَجِدُوا السَّلَاحَ فَثَارُوا
وَمِنَ الْمَشَاقِقِ وَالسَّجُونِ جَدَارُ
بِالْحَقِّ أَوْ بِالْوَجَابِ الْأَحْرَارُ
فَسِهْ وَلَا سُلْطَانُ مِصْرَ صَغَارُ
فِيهِ وَلَا غَيْرُ الصَّلَاحِ شِعَارُ

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْكُنَانَةُ حُرَّةُ
الْأَمْرُ شُورَى لَا يَعْيتُ مَسْلُطُ
عَهْدٌ مِنَ الشُّورَى الظِّلِيلَةِ نَضْرَتْ
تَجْنِي الْبِلَادَ بِهَا ثَمَارَ جُهُودِهَا
بَنِيَانِ آبَاءٍ مَشُورَا بِسَلَاحِهِمْ
فِيهِ مِنَ التَّلِّ الْمَدْرَجِ حَائِطُ
أَبَتْ التَّقِيدَ بِالْهَوَى وَتَقِيدَتْ
فِي مَجْلَسٍ لَا مَالُ مِصْرَ غَنِيمَةُ
مَا لِلرِّجَالِ سِوَى الْمُرَاشِدِ مِنْهُجُ

يتعاونون كأهل دارٍ زلزلت حتى تقرر وتطمئن الدار
يجرون بالرفق الأمور وفلكها والريح دون الفلك والإعصارُ
ومع المجدد بالأناة سلامة ومع المجدد بالجماح عتارُ

يدعو إلى انتخاب الأكفاء الشرفاء

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٢ قال في مطلعها:
أعدت الراحة الكبرى لمن تعباً وفاز بالحق من لم يألُ طلباً
إلى أن قال مشيراً إلى الانتخابات البرلمانية:
دارُ النيابة قد صُفّت أرائكها لا تُجلسوا فوقها الأحجار والخشبا
اليوم يا قومُ إذ تبنون مجلسكم تبنون للعقب الأيام والحقبا
ومن قصيدته سنة ١٩٢٤ عن (الأزهر):

دار النيابة هيئت درجاتها فليرقى في الدرج الذوائب والذرا
الصارخون إذا أسىء إلى الحمى والذائدون إذا أُغِير على الرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الألى يمشون في ذهب القيود تبخترا

رؤاد الوطنية

قال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له في رثاء المرحوم عبد اللطيف الصوفاني:
ألست من فئة سهام سنوا المحاماة والرما
فتأهم بالشباب ضحى ما أعظم الذبيح والفداء
ومات أبطاهم جياعا في غير أوطانهم ظما
ولو أرادوا متاع دنيا لأدركوا الحكم والشراء
قضية الحق منذ قامت لم تأل أركانها بناء
تخذو على مصطفى وتبنى بجيلا من الحق أقوياء
شرعتمو للشباب ديناً كدينهم بينا سواء
لما أتيتم به جعلتم رأسن تعاليمه (الجلاء)
جمعتم مصر ثم سرتم فكنتم الجمع واللواء
وما عرفتم لغير مصر وغير أحبابها ولاء

لم تمسحوا للعميد رأساً ولا نفضتم له حذاء
وقال من قصيدة يرثى فيها المرحوم أمين الرافعي:

قيل غالٍ في الرأي قلت هُبَّوه قد يكون الغلو رأياً أصيلاً
وقديماً بنى الغلو نفوساً وقديماً بنى الغلو عقولاً
قد فقدنا به بَقِيَّةَ رَهْطٍ أيقظوا النيل وادبا ونزيلاً
حركوه وكان بالأمس كالكهف حُزونا وكالرقيم سهوياً
يا أمين الحقوق أدبت حتى لم تخن مصرَ في الحقوق فتيلاً
ولو اسطعت زدت مصر من الحق على نيلها المبارك نيلاً
لست أنساك قابعا بين درجيك مكباً عليها مسغولاً
قد تواريت في الخشوع فخالو ك ضيلاً وما خلقت ضيلاً
سائل (الشعب) عنك (والعلم) الخفاق أو سائل (اللواء) الظليلاً
تُشيد الناس في (القضية) لحناً كالحواري رتل الإنجيل
ماضياً في الجهاد لم تتأخر تزن الصف أو تقيم الرعيلاً
ما تبالي مضيت وحدك تحمي حوذة الحق أم مضيت قبلاً

يدعو إلى النهضة الاقتصادية

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له في الاحتفال بإنشاء بنك مصر يدعو إلى الاكتتاب في رأس
مال البنك وينوه بفضل المال في نهضة الأمم:

قل بالممالك وانظر دولة المال واذكر رجالاً أدالوها بإجمال
إلى أن قال:

| | |
|---------------------------------------|-------------------------------------|
| يا طالباً لمعالى الملك مجتهداً | خذها من العلم أو خذها من المال |
| <u>بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم</u> | <u>لم يُبنُ ملكٌ على جهل وإقلال</u> |
| سراة مصر عهدناكم إذا بُسطت | يد الدعاء سراعاً غير بُخال |
| تبين الصدق من بين الأمور لكم | فامضوا إلى الماء لا تلوا على الآل |
| لا يذهب الدهر بين الترهات بكم | وبين زهر من الأحلام قتال |
| هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا | رأياً لرأى ومثقالاً بمثقال |
| هذا هو الحجر الدرّ بينكمو | فابنوا بناء قريش بيتها العالى |

آمال مصر إليها عالما طمحت هل تبتخلون على مصر بآمال
فابنوا على بركات الله واغتنموا ما هيا الله من حظ وإقبال
وقال في قصيدة أخرى:
الملك بالمال والرجال لم يُبْنِ ملك بغير مال

يحیی النهضة النسوية

كان مؤيداً ونصيراً لنهضة المرأة، ألقى هذه القصيدة سنة ١٩٢٤ في جمع حافل من السيدات
المصريات بمسرح حديقة الازبكية، وجعل عنوانها في ديوانه (مصر تجدد مجدها بنسائها
المتجددات) قال:

| | |
|---|--|
| قُمْ حَيَّ هَذِي الثِّرَاتِ | حَيَّ الحَسَانَ الخِيرَاتِ |
| وَاخْفِضْ جَبِينِكَ هَيْبَةً | لِلخُرْدِ المتخَفَّراتِ ^(١) |
| زَيْنَ المقاصِرِ والحِجَا | لِـ وَزَيْنِ محرابِ الصلاةِ |
| هَذَا مَقَامُ الأُمَمَا | تِ فهل قَدَرْتَ الأمهاتِ؟ |
| لا تَلُغُ ^(٢) فِيهِ ولا تَقُلْ | غَيْرَ الفَوَاصِلِ مُحْكَمَاتِ |
| وَإِذَا خَطَبْتَ فلا تَكُنْ | خَطْبًا عَلَى مِصرِ الفتاةِ |
| اذْكُرْ لَهَا اليَابَانَ لا | أُمَّمَ الهَوَى المتَهَكَّاتِ |
| مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الحَضَا | رَةِ يَا أَخَى التَرَهَاتِ |
| لَمْ تَلَقْ غَيْرَ الرِّقِ مِنْ | عُسْرِ عَلَى الشَّرْقَى عَاضَتِ |

| | |
|---|-------------------------------------|
| خُذْ بِالكِتَابِ وبالحَدِيدِ | ث سِيرَةَ السلفِ الثِّقَاةِ |
| وارجعْ إِلَى سُنَنِ الخَلِيفِ | حَقَّةٍ وَاتَّبِعْ نُظْمَ الحَيَاةِ |
| هَذَا رَسُولُ اللَّهِ لَمْ | يُنْقِصْ حُقُوقَ الْمُؤْمِنَاتِ |
| الْعِلْمِ كَانَ شَرِيعَةً | لِنِسَائِهِ المتَفَقِّهَاتِ |
| رُضْنُ التِّجَارَةِ والسِّيا | سَةِ والشُّؤُونَِ الأُخْرِيَاتِ |
| ولقد علمت بناته | لُجُجُ العلومِ الزَاخِرَاتِ |
| كَانَتْ سَكِينَةً ^(٣) تَمَلَأُ الـ | دُنْيَا وتَهزأُ بِالرَّوَاةِ |

(١) الخرد: العذارى. والمتخفرات: المستحييات. والخفر هو الحياء. (٢) سَكِينَةٌ: بنت الحسين رضى الله عنها.

(٢) لا تلغ: لا تقل باطلا.

آى الكتاب الينات
 طُقَّ عن مكان المسلمات
 ت ومنزل المتأدبات
 أم الجوارى^(١) النابغات
 من الهاتفات الشاعرات
 كيف اتحاد الغانيات
 أسبابه متعاونات
 ل تَفَاخُرًا أو حُبِّ ذات
 نِعَ والفنون مُضَيَّعات
 ء من الشؤون المُهْمَلَاتِ
 ثِرَ للنجاح مَوْفَقَاتِ
 وادى هوى فى الصالحات
 طاعاته خَيْرَ النَّبَاتِ
 زَهْرُ المناقب والصفات
 حتى زِدْنَ حُضَّ المحسنات
 ب مُساومات رباحات
 ت وما ذَكَرْنَ البائسات
 سِتْرَ على الْمُتَجَمَّلَاتِ
 بنسائها الْمُتَجَدِّدَاتِ
 د كأنه شَبَّحَ المَمَاتِ
 فَرَّقَ وَبَيْنَ المُوَمِيَاتِ
 ية كُنْ خَيْرَ الحاضنات
 بِلَبَائِهِنَّ الطاهرات
 ن إلى الكَرِيمة مُعَلِّمَاتِ^(٢)
 رُوح الشجاعة والثبات
 د أو مُعَانَقَةَ القناة
 قُبَلَ الرِّجَالِ مُحَرَّمَاتِ

روت الحديث وفسرت
 وحضارة الإسلام تند
 بغداد دار العالم
 ودمشق تحت أمية
 ورياض أندلس نَمِيَّة
 أَدْعُ الرِّجَالِ لِنَظَرِهَا
 والنفع كيف أَخَذْنَ فى
 لما رَأَيْنَ نَدَى الرِّجَالِ
 ورَأَيْنَ عِنْدَهُمُ الصَّنَا
 والبر عند الأغنيا
 أَقْبَلْنَ يَبْنِينَ المَاءَ
 للصالحات عقائل ال
 الله أَنْبَتَهُنَّ فى
 فأتين أطيب ما أَقَى
 لم يكفِ أَنْ أَحْسَنَ حـ
 يعيشين فى سُوقِ الثوا
 يَلْبَسْنَ ذُلَّ السَّائِلَا
 فوجوههنَّ وماؤها
 مصر تُجَدِّدُ مَجْدَهَا
 النافرات مِنَ الجَمُوعِ
 هل يَبْنِينَ جَوَامِدًا
 لما حَضْنَ لَنَا القَضَ
 غَذِيْنَهَا فى مَهْدِهَا
 وَسَبَقْنَ فِيهَا المُعَلِّمِ
 يَنْفَتْنِ فى الْفَتَيَانِ مِنْ
 يَهُودَيْنِ تَقْبِيلِ المَهْدِ
 وَيَرَيْنَ حَتَّى فى الكَرَى

(١) الفتيات.

(٢) المعلمون: بفتح اللام: الفرسان لهم علامة فى الحرب لبطولتهم.

يحيى الصحافة

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له في احتفال أقامته نقابة الصحفيين:
 لكل زمان مضي آيةً وآية هذا الزمان الصُّحُفُ
 لسان البلاد ونبض العباد وكهف الحقوق وحرب الجَنَفُ^(١)
 تسير مسير الضحى في البلاد إذا العلم مَزَّقَ فيها السُّدُفُ
 وتمشى تعلمٌ في أمةٍ كثيرةٍ من لا يخطُّ الألف

* * *

فيا فتية الصحف صبراً إذا نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
 فإن السعادة غير الظهور وغير الثراء وغير التَّرفِ
 ولكنها في نواحي الضمير إذا هو باللؤم لم يكتنف
 وروموا النبوغَ فمن ناله تلقى من الحظ أسنى التحف
 حمدنا بلاءكم في النضال وأمس حمدنا بلاء السلف
 ومن نسى الفضل للسابقين فما عرف الفضل فيما عرف
 أليس إليهم صلاح البناء إذا ما الأساس سَما بالغُرفِ

يندد بمن يخذل الوطنية

في سنة ١٩٠٤ خطب مصطفى رياض باشا في حفلة تأسيس مدرسة محمد على الصناعية بالإسكندرية خطبة امتدح فيها اللورد كرومر كما امتدح الاحتلال البريطاني.

وقد أثارت هذه الخطبة سخط الرأي العام واستنكرها المواطنون، وكان تنويع صوت الشعر الناطق باستنكار الخطبة وصاحبها، قال:

كبير السابقين من الكرام برغمي أن أنالك بالملام
 مقامك فوق مازعموا ولكن رأيت الحق فوقك والمقام

إلى أن قال:

| | |
|---------------------------------------|--------------------------------|
| غمرت القوم ^(١) إطرأ وحمداً | وهم غمروك بالنعيم الجسام |
| رأوا بالأمس أنفك في الثريا | فكيف اليوم أصبح في الرغام |
| <u>خطبت فكنت خطباً لاخطيباً</u> | <u>أضيف إلى مصائبنا العظام</u> |
| <u>لهجت بالاحتلال وما أتاه</u> | <u>وجرحك منه لو أحسست دام</u> |
| وهل تركت لك السبعون عقلاً | لعرقان الحلال من الحرام؟ |

يندد بقاضى دنشواى

كان أحمد فتحى زغلول أحد قضاة محكمة دنشواى الذين أصدرنا ذلك الحكم الجائر فى تلك المأساة سنة ١٩٠٦، وقد رقى بعد ذلك وكيلاً لوزارة الحقانية (العدل) وأقيمت له حفلة تكريم فى فندق شبرد دعى إليها شوقى فرفض الدعوة وأرسل فى ظرف مغلق هذه الأبيات التى عبر فيها بأبلغ تعبير عن تنديده بالمحتفل به وبالمحتفلين:

| | |
|--------------------------------|-------------------------|
| إذا ما جمعتم أركم وهمتمو | بتقديم شىء للوكيل ثمين |
| خذوا حبل مشنوق بغير جريرة | وسروال مجلود وقيد سجين |
| ولا تعرضوا شعرى عليه فحسبه | من السعر حكم خطه بيمين |
| ولا تقرأوه فى «شبرد» بل اقرأوا | على ملاء فى دنشواى حزين |

الحنين إلى الوطن

زاد حب شوقى للوطن وتعلقه به فى منفاه بالأندلس، وقد كان نفيه بأمر السلطة العسكرية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥، وبقي فى منفاه بعيداً عن الوطن نحو خمسة أعوام إلا قليلاً، فازداد شعوراً بلوعة الحزن على فراقه، واستثار النفى الوطنية الكامنة فى نفسه، وأججت الغربة نارها، فانطلق يشدو بالحنين إلى الوطن.

حسبك منه سينيته الأندلسية، تلك القصيدة الخالدة التى نظمها سنة ١٩١٩ يعارض فيها سينية البحترى، قال فى مطلعها:

اختلافُ النهار والليل يُنسى أذكرا لى الصبا وأيامَ أنسى

(١) يريد المحتفلين.

وَسَلَا (مَصْرَ) هَلْ سَلَا الْقَلْبَ عَنْهَا
كَلِمَا مَرَّتَ اللَّيَالَى عَلَيْهِ
أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانُ الْمَوْسَى
رَقَّ وَالْعَهْدُ فِي اللَّيَالَى تُقْسَى

إلى أن قال:

يَا ابْنَةَ الْيَمِّ (١) مَا أَبُوكَ بِخَيْلٍ
أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ الدَّوْ
كُلُّ دَارٍ أَحَقُّ بِالْأَهْلِ إِلَّا
نَفْسِي مِرْجَلٌ وَقَلْبِي شِرَاعٌ
وَاجْعَلِي وَجْهَكَ (الْفَنَارَ) وَجْهًا
وَطْنِي لَوْ شِغِلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ
شَهِدَ اللَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جَفَوْنِي

والقصيدة من أروع ما نظم شوقي

وله في هذا المعنى قصيدة أخرى رائعة نظمها في منفاه يعارض فيها نونية ابن زيدون.
قال:

يَانَايْحَ (الطَّلَح) أَتَشْبَاهُ عَوَادِينَا
مَاذَا تَقْصُ عَلَيْنَا غَيْرَ أَنْ يَدَا
رَمَى بَنَا الْبَيْنَ (٣) أَيُّكََا غَيْرَ سَامِرْنَا
ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ خُطَابِ الطَّائِرِ الْحَزِينِ إِلَى
نَشَجَى لَوَادِيكَ أَمْ نَأْسَى لَوَادِينَا (٤)؟
قَصْتُ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَاشِينَا
أَخَا الْغَرِيبِ؛ وَظِلًّا غَيْرَ نَادِينَا
بَكَاءُ الْأَنْدَلُسِ قَالَ:

أَهَّا لَنَا نَاذِرَحَى أَيُّكََا بِأَنْدَلُسِ
رَسْمٌ وَقَفْنَا عَلَى رَسْمِ الْوَفَاءِ لَهُ
وَأِنْ حَلَلْنَا رَفِيفًا مِنْ رَوَابِينَا (٥)
نَجِيشٌ بِالْذَمِّ وَالْإِجْلَالِ يَثْنِينَا

إلى أن قال في الحنين إلى مصر:

لَكِنْ (مَصْرَ) وَإِنْ أَغْضَتْ عَلَى مِقَّةٍ (٦)
عَيْنٌ مِنَ الْخُلْدِ بِالْكَافُورِ تَسْقِينَا

(١) يقصد السفينة.

(٢) يقصد مذهب الاستعمار الذي يضطهد الوطنيين وينهبهم من الثروة عن آرائهم والإعراب عن آمالهم.

(٣) الطلل وأدبا الأندلس، بضاحية أشبيلية، يخاطب حمام هذا الوادي ويمثله شبيهها به في لوعته وغرته، وعوادينا أى عوادي الدهر ومصائبه.

(٤) البين: البعد، والأيك: الشجر الكثير الملتف.

(٥) الرفيف: الخفيف.

(٦) المقة: المحبة.

وحول حافاتِها قامت رواقينا^(١)
وأرْبُعُ أُنْسٍ فيها مآربنا
ومَغْرِبُ لُجُودٍ من أوالينا
من بِرِّ مَصْرٍ وَرِيحَانٍ يُغَادِينَا
وباسمه ذهبَتْ في اليمِّ تُلْقِينَا^(٢)
لحاضرين وأكوابُ لبادينا
بعد الهدوء وَهَمِي عن مآقينا
هاج البكا فحَضَبْنَا الأرضَ باكِينا

على جوانبِها رَفَّتْ قِثَمُنَا
مَلَاعِبُ مَرِحَتْ فيها مآربنا
ومَطْلَعُ لِسَعُودٍ من أواخرنا
بِنَا^(٢) فلم نَخْلُ من رُوحٍ يُرَاحُنَا
كأَمْ موسى على اسمِ الله تكفلنا
ومصر كالكَرَمِ ذِي الاحسانِ فاكهُةٌ
يا سارَى البرقِ يرمى عن جوانحنا
لما تَرَقَّرَقَ في دمعِ السماءِ دَمًا

إلى أن قال يخاطب مواطنيه:

دُنْيَا وَوَدَّهُمُ الصَّافِي هُوَ الدُّنْيَا
ومن مَصُونِ هَوَاهِمٍ في تَنَاجِينَا
في النَّائِبَاتِ فلم يأخذ بِأَيْدِينَا

إلى الَّذِينَ وَجَدْنَا وَدَّ غَيْرِهِمْ
يا من تَغَارَ عَلَيْهِمُ من ضَمَائِرِنَا
نابِ الْحَيْنِ إِيَّاكُمْ في خَوَاطِرِنَا

إلى أن قال يشيد في منفاه بعظمة مصر:

في ملكها الضخم عرشًا مثل وادينا
عليه آباءُها الغُرُّ الميامينا؟
قبل (القيصرِ) دِنَآهَا (فراعينا)
في الأرضِ إِلَّا على آثارِ بائِنَا
به يَدُ الدَّهْرِ لَا بِنْيَانُ فَايِنَا

لم تنزل الشمسُ ميزانًا ولا صعدت
ألم تُؤَلِّهْ على حافاتِهِ ورأتُ
وهذه الأرضُ من سَهْلٍ ومن جَبَلٍ
ولم يَضَعْ حَجَرًا بَانٍ على حَجَرٍ
كَأَنَّ (أَهْرَامَ) مَصْرٍ حَائِطٌ نَهَضَتْ

إلى أن قال في تحية مصر وتشوقه إليها من منفاه:

مَرُّ الصَّبَا في ذِيولٍ من تصايينا
غُرًّا مُسْلَسَلَةً المَجْرَى قِوَايِنَا
وثَابَ من سِنَةِ الأحلامِ لَاهِيْنَا

أَرْضُ الأَبْوَةِ والمِيلَادِ طَيْبَهَا
كَانَتْ مَحْجَلَةً فِيهَا مَوَاقِفُنَا
فَأَبَ من كُرَّةِ الأَيَّامِ لَاعِبُنَا

(١) الرواقى: جمع راقية وهى مايرقى به الصبى دروا للسحر.

(٢) بنا: أى بعدنا.

(٣) شبه مصر حين اضطرت إلى نفيه بأَمْ موسى عليه السلام حين القته في اليم صبيًا وسألت الله أن يكفله.

ولم نَدْعُ للبالى صافيا فَدَعَتْ بأن نَغْصُ فقال الدهر آمينا
لو استطعنا لَحُضْنَا الجوّ صاعقَةً والبرّ نَارَ وُغَى والبحر غِسلينا^(١)
سَعْيًا إلى مصر نقضى حقّ ذاكرنا فيها إذا نسى الوافى وباكرنا

وقال يذكر والدته بخلوان وقد توفيت قبيل عودته:

كنزٌ (بخلوان) عند الله نطلبه خيرَ الودائع من خير المؤدينا
لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا لم يأتَه الشوق إلّا من نواحينا
إذا حَمَلْنَا لمصرٍ أوله شجنا لم ندر أى هوى الأُمّين شاجينا

وقال أيضًا سنة ١٩١٧ فى منفاه يهتف بمصر وساكنيها:

يا ساكني مِصرَ إنا لا نزال على عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا
هَلّا بعثتم لنا من ماء نيلكم شيئًا نبل به أحشاء صاڤينا^(٢)
كل المناهل بعد النيل آسنه منّا بعد النيل إلّا عن أمانينا

وقد بعث شوقى بهذه الأبيات إلى صديقه وصنوه حافظ إبراهيم فأجابه حافظ بالأبيات الآتية.

عجبت للنيل يدري أن بلبله صاڤٍ ويسقى رُبّا مصر ويسقينا
تالله ما طاب للأصحاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه وقد نأينا وإن كنا مقيمينا

يشيد بعظمة مصر

لقد ملك حب مصر مشاعره فكان يتغنى بعظمتها ويشيد بمفاخرها، وتفويض قصائده بهذا المعنى السامى.

قال فى تحية مصر والنيل والهرم من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ يحى بها الطائرين العنمايين سالم وكمال حين قدومهما إلى مصر على متن طائرتها عن طريق العريش وسيناء:

يا راكب الريح حىّ النيل والهرما وعظم السفح من سيناء والحرما

(١) الفسليين: الصديد.

(٢) الصاڤى: الظمان.

فَكَانَ أَثْبَتَ مِنْ أَطْوَادِهِ قِمَامَا
مُوسَى رَضِيْعًا وَعِيسَى الطَّهْرَ مُنْفِطِمَا
وَبَيَّنْتَ لِلْعَبَادِ السَّيْفَ وَالْقَلَامَا
بِهِ وَيَمُشِي عَلَيْهِ الدَّهْرُ مُحْتَشِمَا

وَقِفْ عَلَى أَثَرِ مَرِّ الزَّمَانِ بِهِ
وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي حَمَلْتَ
وَأَخْرَجْتَ حِكْمَةَ الْأَجْيَالِ خَالِدَةً
هَذَا فِضَاءٌ تَلُمُّ الرِّيحَ خَاشِعَةً

وقال من قصيدة له في أبي الهول:

وَبُلِّغْتَ فِي الْأَرْضِ أَقْصَى الْعَمْرِ
بَّ وَلَا أَنْتَ جَاوَزْتَ حَدَّ الصَّغَرِ
لِ لِيَطَّيَّ الْأَصِيلُ وَجَوَّبَ السَّخَرِ
نَ فَأَيَّانَ تُلْقَى غُبَارَ السَّفَرِ؟
لِ تَزُولَانِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُنْتَظَرِ^(١)؟
نَ نَجِيُّ الْأَوَانِ سَمِيرَ الْعُصْرِ
نَ رَفِيعَ الْبِنَاءِ جَلِيلَ الْأَنْسَرِ

أَبَا الْهَوْلِ طَالَ عَلَيْكَ الْعُصْرُ
فِيَالِدَةَ الدَّهْرِ^(٢) لَا الدَّهْرُ شِدْ
إِلَّامَ رَكُوبَكَ مَتْنِ الرَّمَا
تُسَافِرُ مُنْتَظِلًا فِي الْقُرُ
أَبَيْنَكَ عَهْدٌ وَبَيْنَ الْجَبَا
أَبَا الْهَوْلِ أَنْتَ نَدِيمُ الزَّمَا
ظَلِيلَ الْحَضَارَةِ فِي الْأَوَّلِي

وختمها بقوله:

نَ تَحْرُكُ مَا فِيهِ حَقِّي الْحَجَرِ

تَحْرُكُ أَبَا الْهَوْلِ هَذَا الزَّمَا

وقال عن الأهرام من قصيدة له سنة ١٩٢٢:

هَلْ مِنْ بُنَاتِكَ مَجْلِسُ أَوْنَادٍ
إِنْ الْأَبْوَةُ مَفْزَعُ الْأَوْلَادِ
مَنْ كُلُّ مُلْقٍ لِلْهَوَى بِقِيَادِ
وَقْتُ الْبَلَاءِ تَفَرَّقَ الْأَضْدَادِ^(٣)
بَاغٍ عَلَى النَّفْسِ الضَّعِيفَةِ عَادٍ

قِفْ نَاجٍ أَهْرَامَ الْجَلَالِ وَنَادٍ
نَشْكُو وَنَفْزَعُ فِيهِ بَيْنَ عَيُونِهِمْ
وَنَبْثُهُمْ عَيْثَ الْهَوَى بِتَرَاثِهِمْ
وَنَبِينَ كَيْفَ تَفَرَّقَ الْأَخْوَانُ فِي
إِنْ الْمَغَالِطُ فِي الْحَقِيقَةِ نَفْسَةٍ

(١) أَيْ يَا أَخَا الدَّهْرِ وَقَرِينَهُ فَكَأَنَّهُ وَالدَّهْرُ تَوَامَانِ.

(٢) يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

(٣) يُشِيرُ إِلَى الْإِنْقِسَامِ الَّذِي حَدَثَ سَنَةَ ١٩٢١ بَيْنَ سَعْدٍ وَعَدْلَى وَأَنْصَارِهِمَا وَتَصَدَّعَتْ بِسَبَبِهِ الْوَحْدَةُ الْوَطَنِيَّةَ.

قل للأعاجيب الثلاث^(١) مقالة
 لله أنت فما رأيت على الصفا
 لك كالمعابد روعةً قدسية
 أسست من أحلامهم بقواعد
 قم قبّل الأحجار والأيدى التى
 وخذ النبوغ من الكنانة إنها
 من هاتف بمكانهن وشاد
 هذا الجلال ولا على الأوتاد
 وعليك روحانية العباد
 ورفعت من أخلاقهم بعماد
 أخذت لها عهداً من الآباد
 مهد الشمس ومسقط الآراد^(٢)

وقال يشيد بعظمة الأهرام من قصيدته (على قبر نابليون):

قم إلى الأهرام واخشع واطرح
 وقهل إنما تمشى إلى
 هو كالصخرة عند القبط أو
 وتسئم منبراً من حجر
 وادع أجيالا تولت يسمعون
 وأعدّها كلمات أربعا^(٤)
 قد عرضت الدهر والجيش معاً
 عظة قومية بها أولى وإن
 خيلة الصيد^(٣) وزهو الفاتحين
 حرم الدهر ومحراب القرون
 كالخطيم الطهر عند المسلمين
 لم يكن قبلك حظّ الخاطبين
 لك وابتعث فى الأولى حاشرين
 قد أحاطت بالقرون الأربعين
 غاية قصّر عنها الفاتحون
 بعد العهد فهل يعتبرون؟

قصر أنس الوجود

وقال سنة ١٩١٠ عن قصر (أنس الوجود) بأسوان وكيف يغمره النيل وقت الفيضان، من قصيدة يخاطب فيها الكولونل تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأسبق، وكان قد ألقى خطبة ينتقص فيها من قدر المصريين فرد عليه شوقى بهذه القصيدة:

أيها المنتجى (بأسوان) داراً
 اخلع النعل واخفّض الطرف واخشع
 كالثريا تريد أن تنقّضاً
 لا نحاول من آية الدهر غصاً

(١) يريد الأهرام الثلاثة.

(٢) الآراد جمع رآد. يريد رآد الضحى: وقت ارتفاع الشمس.

(٣) الملوك.

(٤) يشير إلى الكلمة التى قالها نابليون لجنوده قبيل معركة الأهرام سنة ١٧٩٨ يستحثهم على القتال: «إن أربعين قرناً تنظر إليكم من فوق قسم هذه الأهرام»

مُسْكًا بعضها من الدُّعْر بعضا
 سابحاتٍ به وأبدَيْنَ بَضًا
 مشرفاتٍ على الكواكبِ تَهْضَا
 وشبابِ الفنونِ ما زال غَضًا
 كان إتقانه على القومِ فَرَضًا
 فسكبتِ الدموعَ والحقُّ يُقْضَى
 كيف سَامَ إِلَيَّ كِتَابِكَ فَضًا
 مَنْ يَصْنُ مَجْدَ قَوْمِهِ صَانَ عِرْضًا

قفْ بتلك (القصورِ) في اليمِّ غَرْقَى
 كعذارى أَخْفَيْنَ في الماءِ بَضًا
 مشرفاتٍ على الزوالِ وكانتْ
 شَابَ من حولها الرمانُ وشَابَتْ
 صَنَعَةٌ تدهشُ العقولَ وفنٌّ
 يا قصورًا نظرها وهي تَقْضَى^(١)
 أَنْتِ سَطَرٌ ومجد مصرَ كِتَابٌ
 وأنا المُحْتَفَى بتاريخ مصر

وقال في يناير سنة ١٩٢٣ بعد اكتشاف كنوز توت عنخ آمون يذكر عظمة مصر الخالدة:

قفي يا أخت (يوشع)^(٢) خيرينا
 فمثلك من روى الأخبار طرا
 أحاديث القرون الغابرينا
 ومن نسب القبائل أجمعينا

إلى أن قال يشيد بحضارة قدماء المصريين وكيف بلغوا الشأو العظيم من المجد:

مشتُ بمنارهم في الأرض (روما)
 ملوك الدهر بالوادي أقاموا
 تعالى الله كان السحر فيهم
 غَدُوا يبنون ما يُبْقَى وراحوا
 إذا عَمِدُوا لمأثرةٍ أعدوا
 وليس الخلد مرتبةً تُلْقَى
 ولكن مُنْتَهَى هِمِّ كِبَارِ
 وسرُّ العبقريّة حين يسرى
 وآثارُ الرجال إذا تناهتْ
 وأخذُك من فم الدنيا ثناء
 ومن أنوارهم قَبَسَتْ (أثينا)
 عَلَى (وادي الملوك) مُحْجِيْنَا
 أليسوا للحجارة مُنْطِقِينَا؟
 وراء الآبِدَاتِ مُحَلِّدِينَا
 لها الإِتْقَانُ والخلق المتينَا
 وتُؤْخِذُ من شفاء الجاهلينَا
 إذا ذهبَتْ مَصَادِرُهَا بَقِينَا
 فينتظم الصنائع والفنونَا
 إلى التاريخ خير الحاكمِينَا
 وتركِكَ في مسامعها طنينَا

وقال مخاطبًا توت عنخ آمون:

سلامٌ يوم وارتك المنايا
 بواديهما ويومَ ظهرتَ فينا

خرجت من القبور خروج عيسى عليك جلاله في العالمينا

ومن قصيدة أخرى له عن توت عنخ آمون وقد تخيله قد بعث بعد أربعين قرنا ورأى الاحتلال جاثما عل صدر البلاد فحزن لما رآه وآثر العودة إلى قبره؛ والقصيدة من أروع ما جادت به قريحة شوقي في الإشادة بأعجاد مصر وفي المعاني الوطنية، قال في مطلعها مخاطبا توت عنخ آمون:

قَمْ سَابِقِ (الساعة) وَاسْبِقِ وَعَدَّهَا الأَرْضُ ضَاقَتْ عَنْكَ فَاصْدَعْ غِمْدَهَا
وَامْلَأْ رِمَاحًا غَوْرَهَا وَنَجِّدَهَا وافتح أصول النيل واستردّها
شَلَّالَهَا وَعَذِّبْهَا وَعِدَّهَا^(١) واصرف إلينا جَزْرَهَا وَمِدَهَا

إلى أن قال:

سَافَرَ أَرْبَعِينَ قَرْنًا عَدَّهَا حَتَّى أَتَى الدَّارَ فَأَلْفَى عِنْدَهَا
أَنْجَلْتَهَا وَجَيْشَهَا وَلَوْرَدَهَا مَسْئُولَةَ الْهِنْدِيِّ تَحْمِي (هِنْدَهَا)^(٢)
قَامَتْ عَلَى (السودان) تَبْنَى سَدَّهَا وَرَكَّزَتْ دُونَ (القناة) بَنَدَهَا^(٣)

فَقَالَ وَالْحَسْرَةَ مَا أَشَدَّهَا لَيْتَ جِدَارَ الْقَبْرِ مَا تَدَهَّدَهَا^(٤)
وَلَيْتَ عَيْنِي لَمْ تَفَارِقَ رَقْدَهَا قُمْ نَبِيَّ يَا (بنتشور)^(٥) مَاذَا

مَصْرُ الْفِتَاءِ بَلَغَتْ أَشَدَّهَا وَأَثَبَتْ الدَّمُ الزَكِيُّ رُشْدَهَا
وَلَعِبَتْ عَلَى الْحِبَالِ وَجَدَّهَا وَجَرَّبَتْ إِرْخَاءَهَا وَشَدَّهَا

يَا رَبِّ قَوِّ يَدَهَا وَشَدَّهَا وافتح لها السُّبُلَ وَلَا تَسُدَّهَا
وَقَسِّ لِكُلِّ خُطْوَةٍ مَا بَعْدَهَا وعن صغيرات الأمور حُدَّهَا

(٤) تدهده: انقط.

(٥) بنتشور: شاعر مصري قديم.

(١) العد: الماء الجاري.

(٢) الهندي: السيف، وهنّدها: أي الهند.

(٣) البنّد: العلم.

واصرف إلى جد الشؤون جدّها
واكبّ هوى الأنفس واكسر حقدّها
ولا تضع على الضحايا جهدها
واجمّع على الأمّ الرؤوم ولدّها

وادی الملوك

وقال سنة ١٩٢٥ في هذا المعنى يذكر توت عنخ آمون وحضارة عصره بعد أن اكتشفت كنوزه في (وادی الملوك):

| | |
|-------------------------|--|
| درجت على (الكنز) القرون | وأنت على الدن ^(١) السنون |
| يا ابن الثواقب من (رع) | واين الزواهر من (أمون ^(٢)) |
| نسب عريق في الضحى | بذ القبائل والبطون |
| أرايت كيف يثوب من | غمر القضاء المغرقون |
| وتدول آثار القرو | ن على رحي الزمن الطحون |
| حب الخلود بنى لكم | خُلُقًا به تتفردون |
| لم يأخذ المتقدمو | ن به ولا المتأخرون |
| حتى تسابقتم إلى الإحس | ان فيما تعملون |
| لم تتركوه في الجليد | ل ولا الحقيير من الشؤون |
| هذا القيام فقل لنا الـ | يوم الأخير متى يكون؟ |
| البعث غاية زائل | فان وأنتم خالدون |
| السبق من عاداتكم | أترى القيامة تسبقون؟ |
| أنتم أساطين الحضـ | رة والبناء المحسنون |
| المتقنون وإنما | يُجزى الخلود المتقون |

يتغنى بالنيل

نظم هذه القصيدة الرائعة يتغنى فيها بالنيل، فصور الحياة للوادی وأهله، وأبدع في وصف روعته وجماله وجلاله، ثم انتقل إلى قدماء المصريين ومفاخرهم، وهى القصيدة التى تغنيها أم كلثوم فتزيدها بهاء وجمالا:

(١) الدن: باطية البحر.

(٢) رع وأمون من آلهة مصر القديمة.

وبأى كَفٍّ في المِداثِ تُغْدِقُ
عُلْيَا الجَنانِ جِداوَلًا تَتَرَقِّقُ
أَمْ أَيْ طُوفانٍ تَفِيضُ وَتَفْهَقُ
لِلضَفَتَيْنِ جَدِيدُها لا يَخْلُقُ
فإذا حَضَرَتِ اخْضَوْضُ الإِسْتَبْرَقِ^(١)
وَجِيَاضُكَ الشَّرْقِ الشَّهِيَّةُ دُفَقُ^(٢)
بِالوَارِدِينَ وَالإِخْوانِكَ يَنْفَقُ^(٣)
وَالْأَرْضُ تُغْرِقُها فيحيا المَغْرَقُ
مُتَخَبِّطٌ في عِلْمِها وَمُحَقِّقُ

من أَيْ عَهْدٍ في القُرَى تَتَدَفَّقُ
ومن السَّماءِ نَزَلَتْ أَمْ فَجَّرَتْ من
وبأى عَيْنٍ أَمْ بِأَيَّةِ مُزْنَةٍ
وبأى نَوَلٍ أَنْتَ ناسِجُ بُرْدَةٍ
تَسْوَدُ دِيباجًا إذا فارقَتْها
أَتَتِ الدَّهْورُ عَلَيْكَ مَهْدُكَ مَتَرَعُ
تَسْقَى وَتُطْعِمُ لا إِنْناؤُكَ ضائِقُ
والماءُ تَسْكِبُهُ فَيُسَبِّكَ عَسْجَدًا
تُعْبَى متابعُكَ العَقولُ وَيَسْتَوِي

إلى أن قال:

لم لا يُؤَلِّه من يَقُوتُ وَيَرْزُقُ
لِسِواكَ مَرْتَبَةُ الأُلُوهةِ تَخْلُقُ
العِبادةَ خَشِيَّةً وَتَعْلُقُ
عَذْبُ المِشارِعِ مَدُّه لا يُلْحَقُ
يَجْرِي على سَنَنِ الوِفاءِ وَيَصْدُقُ
من راحَتِكَ عَمِيمةٌ تَتَدَفَّقُ

دينُ الأوائِلِ فيكَ دينُ مَرْوَةٍ
لو أن مَخْلوقًا يُؤَلِّه لم تَكُنْ
جَعَلُوا الهَوِيَّ لَكَ وَالوَقارَ عِبادةً إِنْ
دانُوا بِبَحْرِ المِكارِمِ زَاخِرِ
مَتَّقِيْدٍ بِعَهودِهِ وَوَعودِهِ
يَتَقَبَّلُ الوادِي الحِياةَ كَرِيمةً

إلى أن قال يصف مهرجان وفاء النيل عند قدماء المصريين وكيف كانت «عروس النيل»
تقدم قرباناً له كل عام:

يُبغى كما يُبغى الجَمالُ وَيُعشَقُ
ومن العَقائدِ ما يَلْبُ وَيَحْمَقُ^(٤)
في كُلِّ دينٍ بِالهِدايَةِ تَلْصَقُ
دينٌ وَيَدْفَعُها هَوًى وَتَشَوُّقُ

والمجد عند الغانِياتِ رَغِيبةٌ
إِنْ زَوَّجوكَ بَهَنٍ فَهِيَ عَقِيْدَةٌ
ما أَجَمَلَ الإِيمانَ لولا ضَلَّةٌ
زُفَّتْ إلى مَلِكِ الملوِكِ يَحْثُها

(١) الدُّباجُ والاستبرقُ: ثوب الحرير.

(٢) الشرقي: الغرقى.

(٣) ينفق ينفق أو يقل.

(٤) يلب، أى يصير لبيبا.

ولربما حسدتُ عليك مكانها
مجلوة في الفلكِ يحدو فلكها
في مهرجانٍ هزت الدنيا به
فرعونٌ تحت لوائه وبناته
حتى إذا بلغت مواكبها المدى
وكسا سماء المهرجان جلاله
وتلفتت في اليمِّ كل سفينه
ألقت إليك بنفسها ونفيسها
خلعت عليك حياءها وحياتها
وإذا تناهى الحب وافق الفدى

تَرَبُّ تَسَحُّ بالعروس وتُحْدِقُ^(١)
بالشاطئين مُزْغَرْدٌ ومُصْفَقٌ
أعطافها واختال فيه المشرق
يجرى بهنَّ على السفين الزورق
وجرى لغايته القضاء الأسبق
سيفُ المنية وهو صلتٌ يبرق
وانثال بالوادي الجموع وحدقوا
وأنتك شيقه حواها شيق
أعزُّ من هذين شيءٌ يُنفق؟
فالروح في باب الضحية أليق

- إلى أن قال يذكر النيل وأنه مصدر الحياة والحضارة لمصر والوادي:

أصل الحضارة في صعيدك ثابت
ولدت فكننت المهذ ثم ترعرعت
ملأت ديارك حكمةً مأنورها
وبنت بيوت العلم باذخة الدرر
واستحدثت ديناً فكان فضائلاً
مهذ السبيل لكل دين بعده
يدعو إلى برٍّ ويرفع صالحاً

وَنَبَاتُهَا حَسَنٌ عَلَيْكَ مُخْلَقُ^(٢)
فَأَظْلَهَا مِنْكَ الْخَفِيُّ الْمُشْفِقُ
فِي الصَّخْرِ وَالْبَرْدِيِّ الْكَرِيمِ مُنْبِقُ^(٣)
يَسْعَى لَهْنٍ مَغْرَبٌ وَمَشْرِقُ
وَبِنَاءُ أَخْلَاقٍ يَطُولُ وَيَشْهَقُ^(٤)
كَالْمَسْكِ رِيَاءٌ بِأُخْرَى تُفْتَقُ
وَيَعَافُ مَا هُوَ لِلْمَرْوَةِ مُخْلَقُ

وقال في ختامها:

يانيل أنت بطيب مانعت (الهدى)
وإليك يهدى الحمد خلق حازهم

وَبِمَدْحَةٍ (التوراة) أَحْرَى وَأَخْلَقُ
كَفَّ عَلَى مَرِّ الدَّهْوَرِ مَرْهُقُ^(٥)

(١) الترب من ولد مع الإنسان. الجمع أتراب وأكثر ما تستعمل في المؤنث. يقال هذه ترب فلانة.

(٢) مخلق: متطيب.

(٣) سبق: مصطف.

(٤) يشهق من شهق الجبل ارتفع.

(٥) المرهق: كثير غشيان الناس والأضياف.

وعليك تُجلى من مصونات النهى
الدرّ في لبّاتهن مننظّم
خودُ عرائس خدرهن المهرّق^(١)
والطيب في حبراتهن مرقّق
أملأه حبّ ليس فيه تملق
لى فيك مدحّ ليس فيه تكلف

وفى الحق أنه لم يوصف النيل فى عظمتة وجلالہ وماضيه وحاضرہ وخلوده بأبدع مما وصفه
شوقى فى هذه القصيدة.

نشيد النيل

ورضع نشيداً جميلاً للنيل يتغنى به الشباب والمواطنون قال:

النيل العذب هو الكؤثر
والجنة شاطئه الأخضر
ريان الصفحة والمنظر
ما أبهى الخلد وما أنضر

البحر الفياض القدس
الساقى الناس وما غرسوا
وهو المنوال لما لبسوا
والمنعم بالقطن الأنور

جعل الإنسان له شرعا
لم يخل الوادى من مرعى
فترى زرعاً يتلو زرعاً
وهنا يحنى وهنا يئذر

جار ويرى ليس بجار
لأناء فيه ووقار
ينصب كتل منهار
ويضج فتحسبه يزأر

حبشى اللون كجيرته
من منبعه وبحيرته
صبغ الشطين بسمرته
لونا كالمسك وكالعنبر

النشيد الوطنى

وفى سنة ١٩٢٠ وضع نشيداً وطنياً أقرته اللجنة التى ألفت فى هذا العام لترقية الأغانى الوطنية قال:

بنى مصر مَكَانَكُمْ هَيَّا فهِيَا مَهْدُوا لِلْمَلِكِ هَيَّا
خُذُوا شَمْسَ النَّهَارِ لَهُ حَلِيًّا أَلَمْ تَكْ تَجِ أَوْلَكُمْ مَلِيًّا

على الأخلاق خُطُوا الْمَلِكِ وَابْتُوا فليس وراءها لِلْعَزِ رَكْنُ
أليس لكم بوادى النيل عَدْنُ وكوثرها الذى يجرى شَهْنُ

لنا وطنٌ بأنفسنا نَقِيهِ وبالدنيا العريضة نفتديه
إذا ما سيلت الأرواح فيه بذلتها كأن لم نعطِ شَيْئاً

لنا الهرم الذى صحب الزمانا ومن جذثانه أخذ الأمانا
ونحن بنو السنِّ العالى نمانا أوائلُ عَلَّمُوا الأُممَ الرقيّا

تطاول عهدهم عزًّا وفخرا فلما آل للتاريخ دُخرا
نشأنا نشأة فى المجد أخرى جعلنا الحق مظهرها العليا

جعلنا مصر ملة ذى الجلال وألطنا الصليب مع الهلال
وأقبلنا كصفٍّ من عوال يشد السمحرى السمهريا

تقوم على البناية محسنينا ونعهد بالتمام إلى بنينا
نموت فداك مصر كما حيننا ويبقى وجهك المفدى حيا

نشيد الكشافة

نحن الكشافة في الوادى جبريلُ الروحُ لنا حادى
ياربِّ بِعِيسَى والهادى وبموسى خُذْ بيدِ الوَطَنِ

كشافةُ مصر وصبيتها ومناةُ الدار ومنيتها
وبجمال الأرض وجليتها وطلائع أفراس المدن

نبشدر الخير ونستبقُ ما يرزى الخالقُ والخلقُ
بالنفس وخالقها نثق ونزيد وثوقا في المحن

في السهل نرف رياحينا ونجوب الصخر شياطينا
نبني الأبدان وتبنينا والهمة في الجسم المرن

ونخلى الخلق وما اعتقدوا ولوجه الخالق نجتهد
نأسو الجرحى أتى وجدوا ونداوى من جرح الزمن

في الصدق نشأنا والكرم والعفة عن مس الحرم
ورعاية طفل أو هريم والذود عن الغيد الحصن

ونوافي الصارخ في اللجج والنار الساطعة الوهج

لانسأله ثمن المهج وكفى بالواجب من ثمن

ربّ فكثّرنا عدداً وابذل لأبوتنا المدداً
هيء لهم ولنا رشداً ياربّ وخذ بيد الوطن

نشيد الشباب

اليوم نسود بأيدينا ونعيد محاسن ماضينا
ونشيد العزّ بأيدينا وطنّ نفديه ونفدينا

وطنٌ بالحق نؤيده وبعين الله نشيده
ونحسنه ونزيّنه بمآثرنا ومساينا

سرّ التاريخ وعصره وسرير الدهر ومنبهه
وجنان الخلد وكوثره وكفى الآباء رياحيننا

نتخذ الشمس له تاجاً وضحاها عرشاً وهاجاً
وسماء السؤدد أبراجاً وكذلك كان أوالينا

العصرُ يراكم والأممُ والكرنك يلحظُ والهرمُ
ابنى الأوطان ألا همّ كبناء الأول يبنيها

سعيًا أبداً سعيًا أبداً لأثيل المجد ولعلّيا
ولنجعل مصر هي الدنيا ولنجعل مصر هي الدنيا

وظل شوقي يتغنى بالوطنية ويغرد للمواطنين والناطقين بالضاد جميعا ألحان الحرية ويسمعههم
أسمى معاني الإنسانية حتى أدركته الوفاة سنة ١٩٣٢، وظل شعره بعد وفاته وسيظل على الدوام
رمزاً للحكمة والحرية والخلود.

حافظ إبراهيم شاعر النيل

١٨٧٢ - ١٩٣٢



هو صِنُو شوقى فى إحياء دولة الشعر، ولئكَ تميز شوقى
بالزعامة كما أسلفنا فى الحديث عن شوقى، فإن حافظا
يمتاز عنه بأن نشأته وحياته كانت شعبية، فى حين كانت
نشأة شوقى وحياته أرستقراطية، فكان حافظ أقرب إلى
رُوح الشعب ومشاعره، وأقدر على تصوير آلامه التى
شاركه فيها، واكتوى بلهيبها، فكان لذلك أبلغ فى التعبير
عنها، وكانت عباراته أسهل وأقرب إلى إدراك معانيها من
عبارات شوقى، لأنه كان يحس إحساساً قويا أنه يخاطب
الشعب فى مجموع مثقفيه وقارئيه.

ولد حافظ إبراهيم سنة ١٨٧٢ من أب مصرى وأم من
أسرة تركية، كان أبوه إبراهيم أفندى فهمى مهندساً يشرف على قناطر ديروط حيث ولد
حافظ، وتوفى وحافظ فى الرابعة من عمره، فكفله خاله محمد أفندى نيازى وعاش فى كنفه
عيشة الطبقات المتوسطة التى كانت أقرب إلى الضيق منه إلى اليسار، فأحس حافظ منذ صباه
بما تعانيه الطبقات الشعبية من جهد ورقة حال، ولما ظهرت مواهبه الشعرية كان الترجمان
الصادق الأمين لهذه الطبقات.

تلقى التعليم الابتدائى وجزءاً من التعليم الثانوى، ولكنه لم يتمه، وانتقل مع خاله إلى طنطا
وكان مهندس تنظيم بها وانقطع حافظ وقتاً ما عن متابعة التعليم، واتجهت نفسه إلى الأدب
والشعر.

واشتغل وقتاً وجيزاً بالمحاماة بطنطا، ولكنه لم يستمر فيها إذ لم يجد من نفسه ميلاً إليها
لما كانت تقتضيه من دأب على العمل المتواصل وهو لم يكن يميل إلى التقيد بمثل هذا الدأب، بل
كان كالطير ينطلق مغرداً بين مختلف الأشجار والأغصان.

ولقد فكر فى أن يكون ضابطاً بالجيش إذ كانت الحياة العسكرية مما يستثير فى نفسه روح

الشعر والخيال، أو لعله أراد أن يقلد البارودى فى نشأته العسكرية، فالتحق بالمدرسة الحربية بالقاهرة، وتخرج منها سنة ١٨٩١ ضابطاً برتبة ملازم ثان، وكان إذ ذاك فى سن العشرين تقريباً، وانتظم فى حملة السودان بقيادة اللورد كتشنر سردار الجيش المصرى وقتئذ، ولما انتهت الحملة بانفراد الإنجليز بحكم السودان عافت نفسه البقاء فى ربوعه، فالتمس إحالته إلى المعاش وأجيب طلبه وعاد إلى مصر، وغشى مجالس الشعراء والأدباء والعلماء، وأفاض فيها من شعره وأدبه، فتألفت شاعريته، وعرف له معاصروه فضله ومكانته فى عالم الأدب والشعر، وإذ كان الشعر لا يدرّ عليه ما يحفظ مكانته من الوجهة المادية فقد عينه أحمد حشمت وزير المعارف فى سنة ١٩١١ رئيساً للقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢ إذ أحيل إلى المعاش لبلوغه السن القانونية، وتوفى يوم ٢١ يولييه سنة ١٩٣٢.

كان حافظ شاعراً بطبعه، ظهرت مواهبه الشعرية وهو فى السادسة عشرة من عمره، لم يتلقها عن معلم أو أديب، ولا تعلمها فى المدارس التى انتظم بها، بل كانت وحى الإلهام والسليقة، فكان يقول الشعر وهو فى هذه السن المبكرة، ويأخذ نفسه بالمطالعات الشعرية ويحفظ قصائد فحول الشعراء المتقدمين، واشتدت به الرغبة إلى محاكاتهم فى جيد الشعر، فواتته سليقته الشعرية وساعدته على تحقيق رغبته، وبذمّع الزمن أولئك الشعراء، وبلغ الذروة فى عالم الشعر والأدب.

وحافظ يمتاز فى شعره بقوة البلاغة وإشراق الديباجة وطلاوة الأسلوب والروح الخطابية، ولقد أنصفه شوقى إذ قال فى رثائه:

| | |
|----------------------------|--|
| يا حافظ الفصحى وحارس مجدها | وإمام من نجلت من البُلغاء ^(١) |
| مازلت تهتف بالقديم وفضله | حتى حيت أمانة القدماء |
| خلفت فى الدنيا بيانا خالدا | وتركت أجيالا من الأبناء |
| وغدا سيذكرك الزمان ولم يزل | للدهر إنصاف وحسن جزاء |

أضفت الوطنية على شعر حافظ هالة من العظمة والمجد، فقد كان بلا مراء خير ترجمان للشعب فى أحاسيسه وآماله، وخير مواس له فى مآسيه وآلامه، وتغنى بمصر والنيل فى قصائده الغرّ، ولعلّ بقاءه فى السودان عدة سنين، ومشاهدته غدر الإنجليز هناك، وتدبيرهم فى تحقيق أغراضهم الاستعمارية، قد زاده سخطا على الاستعمار واستمساكا بوحدة وادى النيل، وتجلّت هذه المواهب فى شعره فى شتى المناسبات حتى سمي بحق «شاعر النيل»، وهو إلى جانب ذلك

(١) سجل: أى ولدت.

نساعر الوطنية والاجتماع والأخلاق. كان لا يفتأ يدعو قومه إلى التسليح بالأخلاق في جهادهم للحرية، إذ يرى الأخلاق قوام الجهاد الصحيح، وبلغت دعوته إلى الأخلاق حدّ التقريرع في مخاطبته لبني وطنه ومجاهتهم بالحق الصريح.

وحافظ وإن كانت ثقافته شرقية إلا أنه قد تعلّم الفرنسية على كبر، واقتبس من الآداب الفرنسية ما استطاع أن يقتبسه، وساعده ذكاؤه والمعيته على محاكاة الشعر الغربي أحياناً، وكان يميل إلى التجديد في شعره، وفي ذلك يقول:

آن يا شعر أن تفكّ قيوداً قيّدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكرائم عنا ودعونا نشم ريح الشمال

ولقد نجح حافظ في أن يرتفع بشعره في كثير من المواطن إلى التجديد واقتباس المعاني والأفكار والأساليب الحديثة، فزاد شعره طلاوة ورنيناً موسيقياً حبيّاه إلى النفوس وجعل بعض قصائده أشبه بالأغاني والتغاريذ.

الوطنية في شعر حافظ

تتجلى الروح الوطنية ويتألق نورها في شعر حافظ، ولقد وجدت الحركة الوطنية في قصائده البديعة قوة تستمد منها الحماسة والصمود في الجهاد، والنورة على الاحتلال.

كان شعره معيناً لا ينضب من الكفاح الوطني، وكان حبه للوطن يملك عليه شغاف قلبه، ويلهمه الذود عن حريته واستقلاله، ولقد عبر عن هذه العاطفة الملهبة بقوله من قصيدة له سنة ١٩٠٠:

مَتَى أَرَى النَّيْلَ لَا تَحُلُوْا مَوَارِدُهُ
فَقَدْ غَدَتِ مِصْرُ فِي حَالٍ إِذْ ذُكِرَتْ
كَأَنِّي عِنْدَ ذِكْرِي مَا أَلَمَّ بِهَا
إِذَا نَطَقْتُ فَقَاعُ السَّجْنِ مَتَكَأً
لَغَيْرِ مُرْتَهَبٍ لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ
وَأِنْ سَكَتُ فَإِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَطْبِ
وَنَحْنُ نَمْشِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذُّهْبِ!

وقوله في قصيدة له سنة ١٩٠٩:

لعمرك ما أرقّت لغير مصر ومالي دونها أمل يرام

ذكرتُ جلالها أيام كانت
وأيام الرجال بها رجالٌ
تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الزمان لها غلام

وقوله من قصيدة له سنة ١٩١٠:

كَمْ ذا يُكَايِدُ عاشقٌ ويُلاقى
إِنِّي لأَحْمِلُ في هَوَاكِ صَبَابَةً
لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أراك طليقةً
كِلْفٌ بِمَحْمُودِ الخِلالِ مَتِيماً
في حُبِّ مصرَ كثيرةَ العُشاقِ
يامصرُ قد خَرَجْتَ عن الأطواقِ^(١)
يَحْيَى كَرِيمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقِي
بِالْبَذْلِ بين يَدَيْكَ والإِنْفَاقِ

وقوله من قصيدة له سنة ١٩١٩ نظمها في (ملجأ الحرية):

فَتَعَاهَدْنَا على دَفْعِ الأَذَى
وَتَوَاصَيْنَا بِصَبْرِ بَيْنِنَا
أُنْشَرْتَ في مصرَ شَعْباً صَالِحاً
كَمْ مُحِبُّ هَائِمٍ في حُبِّهَا
بِرُكُوبِ الحَزْمِ حتَّى نَظْفَرَا
فَنُغْدِنَا قُوَّةً لا تُزْدَرَى
كَانَ قَبْلَ اليَوْمِ مُنْفَكَّ العُرَا^(٢)
ذَادَ عَن أَجْفَانِهِ سَرَحَ الكَرَى^(٣)
أَنْ يَشِيدُوا بِمَجْدِهَا فَوْقَ الذُّرَا^(٤)
وَشَابَ وَكُھُولٍ أَقْسَمُوا

حافظ ومصطفى كامل

عاصر حافظ مصطفى كامل. وكان صديقاً له معجباً بجهاده. رغم صداقته وصلته بخصوصه السياسيين. وكان مصطفى شديد الإعجاب بشعره وأدبه. وعندما ظهر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠١ قرظه في «اللواء»^(٥) تقریظاً يدل على عظم تقديره لشاعر النيل وأسهب في الثناء عليه سنة ١٩٠٣ حين عرب كتاب (البؤساء) لفيكتور هيغو.

قصيدة حافظ

في حفلة مدرسة مصطفى كامل

ويبدو إعجاب حافظ بـمصطفى وجهاده في قصيدته التي ألقاها يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٠٦ في احتفال مدرسة مصطفى كامل تعليقا على خطبة مصطفى. قال في مطلعها:

(٤) الذرا: جمع ذروة وهي المكان المرتفع.

(٥) عدد ٩ أكتوبر سنة ١٩٠١.

(١) الأطواق جمع طوق: أي الجهد والطاقة.

(٢) أنشرت: أحييت.

(٣) الكرى: النوم.

سَمِعْنَا حَدِيثًا^(١) كَقَطْرِ النَّدَى
وَأَضْحَى لَأَمَانَنَا مِنْ عِشَا
فَجَدُّدٌ فِي النَّفْسِ مَا جَسَدَا
وَأَمْسَى لَأَمَانَنَا مُرْقِدَا

وقال يستثير في النفوس روح الأمل والحياة وهي الدعوة المحببة إلى الفقيه:

فَدْنِيَاكَ يَا شَرْقُ لَا تَجْزَعَنَّ
فَكَمْ مَحْنَةٍ أَعْقَبَتْ مَحْنَةً
فَلَا يُبَيِّسَنَّكَ قَيْلُ الْعِدَاةِ
أَتَوَدَّعَ فِيكَ كَنُوزُ الْعُلُومِ
وَتُبْعَثُ فِي أَرْضِكَ الْأَنْبِيَاءُ
وَتَقْضَى عَلَيْكَ قَضَاةُ الضَّلَالِ
أَتَشْقَى بِعَهْدِ سَمَاءٍ بِالْعُلُومِ
إِذَا شَاءَ بَزَزَ لَلْشُّهَاءِ سِرَّهُ
وَإِنْ شَاءَ أَدْنَى إِلَيْهِ النُّجُومِ
وَإِنْ شَاءَ زَعَزَعَ شَمَّ الْجِبَالِ
وَإِنْ شَاءَ شَاهَدَ فِي ذَرَّةٍ
وَمَا نَ تَسْخُرُ فِيهِ الرِّيحُ
وَتَعْنُوا الطَّبِيعَةُ لِلْعَارِفِينَ
إِذَا مَا أَهَابُوا أَجَابَ الْحَدِيدُ
وَطَارَتْ إِلَيْهِمُ مِنَ الْكَهْرِبَاءِ

إِذَا الْيَوْمَ وَلَّى فِرَاقُ غَدَا
وَوَلَّتْ سِرَاعًا كَرَجْعُ الصَّدَى
وَإِنْ كَانَ قِيْلًا كَحَزْزِ الْمُدَى^(٢)
وَيَمْشِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرْفِدَا^(٣)
وَيَأْتِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرْشِدَا
طَوَالَ اللَّيَالِي بِأَنْ تُرْقِدَا؟
فَأُضْحَى لِلضَّعِيفِ بِهَلَا أَيْدَا^(٤)
وَأَدْرَكَ مِنْ جَرِيهِ الْمَقْصِدَا^(٥)
فَنَاجَى الْمَجْرَةَ وَالْفَرْقِدَا^(٦)
فَخَرَتْ لِأَقْدَامِهِ سُجَّدَا
عَوَالِمٌ لَمْ تَحْيَ فِيهَا سَدَى
وَيَغْدُو الْجَمَادُ بِهِ مِنْشِدَا^(٧)
بِمَعْنَى الْوُجُودِ وَسِرُّ الْهُدَى
وَقَامَ الْبَخَارُ لَهُ مُسْعِدَا^(٨)
بِرُوقٍ عَلَى السَّلَكِ تَطْوِي الْمُدَى

أَيَّجْمَلُ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَذَاكَ بِأَنْ نَسْتَكِينُ وَأَنْ نَجْمُدَا؟

(١) يقصد خطبة مصطفى كامل في الحفلة.

(٢) المدى بالضم جمع مديّة؛ وهي السكين.

(٣) مستر فدا: أي يطلب الرفد وهو العطاء.

(٤) الأيد، بتشديد الياء: القوى، من الأيد بمعنى القوة.

(٥) يزه سلبه، والسها الكوكب المعروف، أي إذا ساء ذو العلم سلب من السهى سره وأظهره للناس.

(٦) المجرة والفرقد: نجوم في السماء.

(٧) يشير إلى الطيران والعنود عراف.

(٨) مسعدا: أي معينا.

وها أمة (الصفّر) قد مهّدت لنا النهج فاستبقوا المورد^(١)

وقال فيها مخاطبا الشباب:

فيا أيها الناشئون اعملوا
ستظهر فيكم ذوات الغيوب^(٢)
فياليت شعري من منكم
إذا هي نادت يلبي النداء؟

وقال في ختامها مخاطبا مصطفى كامل:

لَكَ الله يا (مصطفى) من فتى
إذا ما حمدتكَ بين الرجال
سيحصى عليك سجل الزمان
ويهتف باسمك أبناؤنا
كثير الأيادي كثير العدا
فأنت الخليق بأن تُحمدا
ثناء يُخلد ما خلدا
إذا آن للزرع أن يُحصدا

والقصيدة من أبلغ شعر حافظ. وتأمل في البيت الأخير منها تجد حافظا يقر لمصطفى بأنه الموجد للحركة الوطنية، وأنه الجدير بأن تعرف الأمة له هذا الفضل عندما تجني ثمار هذه الحركة. وقد ظل على هذا الرأي بعد وفاة الفقيه وبعد ظهور زعامة سعد زغلول للحركة الوطنية سنة ١٩١٩. وجهر به في رثائه للمرحوم محمد فريد في ديسمبر سنة ١٩١٩، إذا قال مناجيا روح فريد:

قل (لصبّ النيل)^(٣) إن لاقيته
إن مصرًا لا تنى عن قصدها
جئتُ عنها أحمل البشري إلى
فاسترح واهنأ ونم في غبطة
في جوار الدائم الفرد الصمد
رغم ما تلقى وإن طال الأمد
(أول البانين) في هذا البلد
قد بذرت الحب والشعبُ حصدا

فحافظ يعترف هنا أيضًا لمصطفى بأنه أول البانين في صرح الحركة الوطنية، وبأنه بذر الحب وأن الشعب حصد وجنى نمار ما بذر. ورأى حافظ سنة ١٩١٩ هو تأييد وتوكيد لرأيه سنة ١٩٠٦.

(١) أمة الصفّر: أى اليابان.

(٢) ذوات الغيوب: أى الأقدار التى فى عالم الغيب.

(٣) يريد مصطفى كامل.

قصيدة حافظ في حادثة دنشواي

لقيت حادثة دنشواي^(١) صداها في شعر حافظ، فنشر في ٢ يولييه سنة ١٩٠٦ - أى بعد صدور الحكم فيها بخمسة أيام - قصيدته المشهورة عن الحادثة. ندد فيها بسياسة الاحتلال، وسبق بها شوقي بعام، إذ أن شوقي لم يقل قصيدته عن الحادثة إلا بعد عام من وقوعها.

قال حافظ في مطلع قصيدته مخاطبا المحتلين:

| | |
|--|--|
| أيهما القائمون بالأمر فينا! | هل نسيتم ولآءنا والوداد؟! |
| خَفَضُوا جيشكم وناموا هنيئا | وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا |
| وإذا أَعَوَزَتْكُمْ ذاتُ طوقٍ ^(٢) | بين تلك الرُّبَا فصيدوا العبادا |
| إنما نحن والحمام سواء | لم تُغَادِرْ أطواقنا الأجيادا ^(٣) |
| لا تظنُّوا بنا العقوق ولكن | أرشدونا إذا ضللنا الرُّشادا |
| لا تُقِيدُوا مِنْ أُمَّةٍ بقتيلٍ | صادت الشمسُ نفسَه حين صادا ^(٤) |

وقال يصف الحادثة وفظائع المحاكمة والتنفيذ:

| | |
|-----------------------------|----------------------------------|
| جاء جُهلنا بأمر وجئتم | ضَعُفَ ضعفه قسوةً واشتدادا |
| أحسنوا القتل إن ضننتم بعفوٍ | أَقْصَا أَرَدْتُمْ أم كيادا؟ |
| أحسنوا القتل إن ضننتم بعفوٍ | أَنْفَوْسًا أَصَبْتُمْ أم جمادا؟ |

* * *

| | |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| ليت شعري أتلِك (محكمة التف | تيش) عادت أم عهد(نيرون) عادا؟ |
| كيف يخلو من القوى التَّشْفَى | من ضعيفٍ ألقى إليه القيادا؟ |
| إنها مُثَلَّةٌ تشفُّ عن الغي | ظ ولسنا لَغِيْظِكُمْ أندادا |
| أَكْرَمُونَا بأَرْضنا حيث كنتم | إنما يُكْرِمُ الجِوَادُ الجِوَادا |
| إنَّ عشرين جِجَّةً بعد خمسٍ | علمتنا السُّكون مهما تمادى |

(١) راجع تفصيلها في كتابنا (مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية).

(٢) ذات طوق: أى الحمامة.

(٣) الأطواق هنا سلاسل الأسر والاستعباد والأجياد الأعناق، جمع جيد.

(٤) أى لا تأخذوا الأمة بقتيل ثبت أنه مات بضربة الشمس، وهو الكاتبن بول.. وأقاد الحاكم القاتل بالقتيل أى قتله به قودا.

أُمَّة النِيل أَكْبَرَتْ أَنْ تُعَادَى مَنْ رَمَاهَا وَأَشْفَقَتْ أَنْ تُعَادَى
لَيْسَ فِيهَا إِلَّا كَلَامٌ وَإِلَّا حَشْرَةٌ بَعْدَ حَشْرَةٍ تَتَهَادَى

وقال مخاطباً المدعى العمومى فى القضية:

أَيُّهَا الْمَدْعَى الْعُمُومِيُّ^(١) مَهْلًا بَعْضُ هَذَا فَقَدْ بَلَغْتَ الْمَرَادَا
قَدْ ضَمَّنَّا لَكَ الْقَضَاءَ بِمَصْرٍ وَضَمَّنَّا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا
فَإِذَا مَا جَلَسْتَ لِلْحُكْمِ فَادْكُرْ عَهْدَ (مَصْرٍ) فَقَدْ شَفِيتَ الْفُؤَادَا
لَا جَرَى النِّيلُ فِي نَوَاحِيكَ يَا (مَصْرُ) وَلَا جَادِكِ الْحَيَا حَيْثُ جَادَا^(٢)
أَنْتِ أَنْبَتِ ذَلِكَ النَّبْتُ يَا (مَصْرُ) فَأُضْحِي عَلَيْكَ شَوْكًا قَتَادَا
أَنْتِ أَنْبَتِ نَاعِقًا قَامَ بِالْأَمِّ سِ فَادَّمَى الْقُلُوبَ وَالْأَكْبَادَا

إِيهِ يَا مِدْرَةَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ سَادَ فِي غَفَلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا
أَنْتِ جَلَّادُنَا فَلَا تَنْسِ أَنَا قَدْ لَبَسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْحَدَادَا

والقصيدة كما ترى من أروع ما قال حافظ، وفيها تصوير لتلك الحادثة الفظيعة التى أظهرت مبلغ الظلم البريطانى ومبلغ هوان المصرى فى نظر الاحتلال، ولقد حمل حافظ بأسلوبه اللاذع القوى على هذا الظلم حملات اهتزت لها أركانها، كما حمل على الضعف الذى كان من أسباب استفحال هذا الظلم. فكانت هذه الحملة دعوة صادقة إلى اطراح الضعف والأخذ بأسباب النهوض والقوة فى محاربة الاحتلال.

قصيدته فى استقبال اللورد كرومر

بعد حادثة دنشواى

وعاد يصف فظائع الاحتلال فى حادثة دنشواى فى قصيدة له قالها فى أكتوبر سنة ١٩٠٦
لتناسبة عودة اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى أجازته وكان صاحب الحول والطول وقتئذ فى البلاد.

(قَصْرَ الدُّبَارَةِ)^(٣) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُنَا فَالْشَّرْقُ رُيْعَ لَهُ وَضَجَّ الْمَغْرِبُ

(١) إبراهيم الهلباوى.

(٢) الحيا - المطر.

(٣) يريد دار المعتمد البريطانى.

بعد التحية إننى أتعَب
بأت لها أحشاؤنا تنهَلَب

أهلاً بساكنك الكريم ومرحباً
نقلت لنا الأسلاك عنك رسالة

إلى أن قال :

يوم الحمام فإن صدرك أرحب^(١)
أُمتت إلى معنى التعَصَب تُتسب^(٢)
ضاق الرجاء بها وضاق المذهب
ليست بغير ولائها تتعذب
للقوت لا للمسلمين تعصبوا
وسخا بمهجته على من يغصب
لعب القضاء بنا وعزَّ المهرب
فتسابقوا في صيدهن وصوبوا
لو كنت حاضر أمرهم لم يُنكبوا!
وسياطهم وحبألم تتأهب
بحبال من شبقوا ولم يتهببوا
بلظى سياط الجالدين ورحبوا^(٤)
بين الشفاء وطعمه لا يعذب
يرنو وهذا آجل يترقب
ومعاجز ومناجز ومحزب
والدمع حول ركابه يتصب
هو خير ما يرجو العميد ويطلب
يُجنى بمفرسها الثناء الطيب

إن ضاق صدر النيل عما هاله
أو كلما باح الحزين بأنة
رفقاً عميد الدولتين بأمة
رفقاً عميد الدولتين بأمة
إن أرهقوا صيادكم فلعلهم
ولربما ضنَّ الفقيرُ بقوته
في (دنشواي) وأنت عنا غائب
حسبوا النفوس من الحمام بديلة
نكبوا وأقفرت المنازل بعدهم
خلَّيتهم والقاسطون^(٣) بمرصِد
جُلدوا ولو منيتهم لتعلقوا
شبقوا ولو منحوا الخيار لأهلوا
يتحاسدون على الممات وكأسه
موتان: هذا عاجل متَّمِر
والمستشار^(٥) مكائرُ برجاله
يختال في أنحائها متبسماً
طاحوا بأربعة فأردوا خامسا
حبُّ يحاولُ غرسه في أنفس

(١) يوم الحمام أى يوم صيد الحمام فى حادثة دنشواي.

(٢) يشير إلى ما زعم اللورد كرومر من أن التعصب الدينى هو سبب حادثة دنشواي.

(٣) القاسطون الظالمون.

(٤) أهلوا ورحبوا أى قالوا أهلاً ومرحباً.

(٥) يريد الكبتن متشل مستشار وزارة الداخلية. وكان يشرف على تنفيذ الحكم ومعاجز من عاجزت الرجل إذا أثبت بما يجعله

عاجزاً. وحزب أى جمع أعوانه وأحزابه فبعضهم يتولى الشنق وبعضهم يتولى الجلد.

كن كيف شئت ولا تكلّ أرواحنا للمستشار فإن عدلك أخصب
وأفض على (بُنيدي)^(١) إذا ولي القضا رفقا يهش له القضاء ويطرب

قصيدته في شكوى مصر من الاحتلال

قالها في يناير سنة ١٩٠٧ :

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت
تَمَنُّ^(٢) علينا اليوم أن أخضب الثرى
أعد عهد (إسماعيل) جَلْدًا وسخرة
عِلمتم على عزّ الجُمادِ ودُلنا
إذا أخصبت أرض وأجذب أهلها
نَهش إلى الدينار حتى إذا مشى
فلا تحسبوا في وفرة المال - لم تُفد
فإن كثير المال - والخفض وارف
حواشيه حتى بات ظلماً منظماً
وأن أصبح المصري حُرّاً منعماً
فإني رأيت المَن أنكى وآلما
فأغليتم طيننا وأرخضتم دما
فلا أطلعت نبئاً ولا جادها السبا
به ربه للسوق ألفاه درهما
متاعاً ولم تعصم من الفقر - مَغنا
قليل إذا حلّ الغلاء وخيماً^(٣)

قصيدته في استقالة اللورد كرومر

فتى الشعر هذا موطن الصدق والهدى
لقد حان توديع العמיד وإنه
فودّع لنا الطود الذي كان شامخاً
فلاتكذب التاريخ إن كنت منشداً
حقيق بتشجيع المحبين والعدا
وشيّع لنا البحر الذي كان مُزبداً

إلى أن قال :

يناديك قد أزريت بالعلم والحجا
وأُنك أخصبت البلاد تعمداً
قضيت على أم اللغات وإنه
ولم تُبقِ للتعليم يا (لورد) معهداً
وأجذبت في مصر العقول تعمداً
قضاء علينا أو سبيل إلى الردى^(٤)

(١) المسهر بوند وكيل محكمة الاستئناف وأحد فضاة المحكمة المخصوصة التي حاكت المتهمين في حادنه دنسواى وكان القاضى الموجه للأسئلة وتمت أسئلته على سوء نيته وميله إلى الانتقام والتشفى.

(٢) يحاطب المعتد البريطاني.

(٣) الخفض سعة العيش. يريد أن كثرة المال مع غلاء الأسعار لا تغنى شيئاً

(٤) أم اللغات أى اللغة العربية. يشير إلى محاربة الاحتلال للغة العربية وجعل دراسة العلوم فى أكثر المدارس باللغة الإنجليزية.

ووافيتَ والقطران في ظل رايَةٍ
فطاح كما طاحت (مصوَع) بعده
حَجَبَتَ ضياءَ الصحف عن ظلماته
وأودعتَ تقرير الوداع مغامرًا
غمرتَ بها دينَ النبی وإننا
فمازلت (بالسودان) حتى تمردا
وضاعت مساعينا بأطماعكم سدى
ولم تستقل حتى حَجَبَتَ (المؤيدا)^(٣)
رأينا جفاء الطبع فيها مُجسِّداً
لنغضب إن أغضبتَ في القبر (أحمدا)

* * *

يناديك أين النابغون بعهدكم
فما عهد إسماعيل والعيش ضيقُ
يناديك ولَّيت الوزارة هيئةً
فليس بها عند التشاور من فتي
بربك ماذا صَدَّنَا ولوى بنا
أشرت برأى في كتابك لم يكن
وحاولت إعطاء الغريب مكانةً
فياويل مصرٍ يوم تشقى بندوةً
وأى بناء شامخ قد تجسدا؟
بأجذب من عهد لكم سال عَسجدا
من الصمِّ لم تسمع لأصواتنا صدى
أبي إذا ما أصدر الأمر أوردنا
عن القصد إن كان السبيل ممهدا؟
سديداً ولكن كان سهماً مسدداً
تجر علينا الويل والذلُّ سرمدنا
يبئتُ بها ذاك الغريب مسوداً^(٢)

* * *

ألم يكفنا أنا سُلْبنا ضياعنا
وزاحمنا في العيش كل ممارسٍ
وما الشركات السود في كل بلدة
على حين لم نبلغ من الفطنة المدى
خير وكنا جاهلين ورُقدا
سوى شركٍ يُلقى به من تصيدا

قصيدته في استقبال السير جورست

استقال اللورد كرومر أو أقيل من منصبه في أبريل سنة ١٩٠٧ على أثر حادثة دنشواي، وخلفه في منصبه السير إلدون جورست، فاستقبله حافظ بقصيدة عبر فيها عن شكوى مصر من الاحتلال وآثامه، قال فيها في أسلوب التهكم والسخرية:

(١) حجبت المؤيد أى منعت من دخول السودان.

(٢) يشير إلى مشروع اللورد كرومر في إنشاء مجلس تشريعي مختلط.

أَذِيْقُونَا الرَّجَاءَ فَقَدْ ظَلَمْنَا
وَمُنُوا بِالْوُجُودِ فَقَدْ جَهِلْنَا
إِذَا أَعْلَوْنِي الصِّيَاحَ فَلَا تَلْمِنَا
عَلَى قَدْرِ الْأَذَى وَالظُّلْمَ يَعْلُو
جِرَاحُ فِي النُّفُوسِ نَغْرُنُ نَغْرًا
إِذَا مَا هَاجَهُنَّ أَسَى جَدِيدُ

- بعهد المصلحين - إلى الورود
- بفضل وجودكم - معنى الوجود
فإنَّ الناسَ في جُهدٍ جهيد^(١)
صياح المشفقين من المزيد!
وَكُنْ قَدْ انْدَمَلْنَ عَلَى صَدِيد^(٢)
هتكن سرائر القلب الجليد

إلى أن قال:

فَمَا جِئْنَا نَطَاوِلُكُمْ بِجَاهٍ
وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقٍّ
يَطُولُكُمْ وَلَا رُكْنٌ شَدِيدٌ
أُضِرُّ بِأَهْلِهِ نَقْضُ الْعُهْدِ

وعاد إلى ذكر حادثة دنشواى وكيف كانت مبعث اليقظة والحياة للحركة الوطنية:

رَمَانَا صَاحِبَ التَّقْرِيرِ ظَلَمًا
وَأَقْسَمَ لَا يَجِيبُ لَنَا نِدَاءً
وَبَشَّرَ أَهْلَ مِصْرَ بِاحْتِلَالٍ
وَأَنْبَتَ فِي النُّفُوسِ لَكُمْ جَفَاءً
فَأَثْمَرَ وَحْشَةً بَلَّغَتْ مَدَاهَا
قَتِيلَ الشَّمْسِ أَوْرَثَنَا حَيَاةً
فَلَيْتَ (كُرُومًا) فَدَامَ فِينَا
وَيُتَجَفَّ (مِصْرَ) أَنَا بَعْدَ آنٍ
لَيَنْزِعَ هَذِهِ الْأَكْفَانُ عَنَّا

بكفران العوارف والكنود^(٣)
ولو جئنا قرآن مجيد
يدوم عليهم أبد الأبيد
تعهد بمنهل الصدود
وزكاهها بأربعة شهود^(٤)
وأيقظ حاجع القوم الرُّقُود^(٥)
يُطَوِّقُ بِالسَّلاسلِ كُلِّ جَيِّدٍ
بمجلود ومقتول شهيد
ونبعث في العوالم من جديد

رثاؤه لمصطفى كامل

في يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ حين شيعت مصر جنازة مصطفى كامل وقف حافظ على قبره
وأنشد قصيدته الرائعة في رثائه قال:

(١) اعلوني أى علا.

(٢) نفر الجرح سال دمه، واندمل التأم

(٣) صاحب التقرير هو اللورد كرومر.

(٤) يريد بالشهود الأربعة أعدوا في قضية دنشواى وهم أربعة.

(٥) قتل الشمس هو الكاتب بول الضابط الإنجليزي الذى مات في حادثة دنشواى بضربة الشمس، يريد أن ما أصاب الناس من التنكيل بسبب هذا القتل جعلهم يثورون للمطالبة بالحرية.

فكبرٌ وهلل والقي ضيفك جائئاً
شهيدَ العُلا في زهرة العمر ذاوياً
لكان التأسي من جوى الحزن شافئاً^(١)
وهيهات أن يأتى به الدهر ثانياً
وأين الحِجَا والرأى؟ ويحك هاهيا!
فقد أسكت الصوتُ الذى كان عالياً
إلى المجد فاستحيا النفوس البواليا

أيا قبرٌ هذا الضيف آمالُ أمة
عزيزٌ علينا أن نرى فيك مصطفى
أيا قبر لو أنا فقدناه وحده
ولكن فقدنا كل شيء بفقده
فيا سائلى أين المروءة والوفا
هنيئاً لهم^(٢) فليأمنوا كل صائح
ومات الذى أحيا الشعور وساقه

* * *

وإني أجيدُ اليوم فيك المراتيا
وفيك وإلا مالذا الشعبِ باكيا
لما فيه من داء النفوس مداويا
فأسهدتنا حُزنًا وأمسيت غافياً

مدحتك لما كنت حياً فلم أجِدْ
عليك^(٣) وإلا مالذا الحزن شاملاً
يموت المداوى للنفوس ولا يَرى
وكنا نياماً حينما كنت ساهداً^(٤)

* * *

يَرُنْ كما قد كان بالأمس داويا
فلا تهدموا بالله ما كنت بانيا
قَضَيْتُ وأن الحى قد بات خاليا
وكونوا رجالاً لا تَسْرُوا الأعاديا
تُشارفكم^(٥) عنى وإن كنت باليا
أخاف عليكم فى الخلاف الدواهيا

شهيد العلا لا زال صوتك بيننا
يُهيَّبُ بنا: هذا بناء أقمته
يصيح بنا: لاتشعروا الناس أننى
يناشدنا بالله ألا تَفَرَقُوا
فَرُوحى من هذا المقام مطلةً
فلا تحزنوها بالخلاف فلانى

* * *

على العهد مادمتما فتم أنت هانيا
وصوتك مسموعٌ وإن كنت نائيا

أجل أيها الداعى إلى الخير إننا
بناؤك محفوظ وطيفك مائلٌ

(٤) ساهدا: ساهرا.

(٥) تشارفكم أى تنظر إليكم من علو.

(١) التأسي بمعنى الصبر.

(٢) يريد الإبتغالين.

(٣) عليك: أى عليك الحزن.

عَهْدُناكَ لَا تَبْكِي وَتُنْكِرُ أَنْ يُرَى
فَرَحُصْ لَنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءَ وَفِي غَدٍ
فِيانِيلُ إِنْ لَمْ تَجْرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ
وَيَا (مِصْرَ) إِنْ لَمْ تَحْفَظِي ذِكْرَ عَهْدِهِ
وَيَا أَهْلَ (مِصْرَ) إِنْ جَهِلْتُمْ مِصَابِكُمْ

* * *

ثَلَاثُونَ عَامًا^(١) بَلْ ثَلَاثُونَ دُرَّةً
سَتَشْهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ

قصيدته في حفلة الأربعين

وله في رثاء مصطفى قصيدة أخرى ألقاها في حفلة الأربعين قال:

نَثَرُوا عَلَيْكَ نَوَادِي الْأَزْهَارِ^(٢)
زَيْنَ الشَّبَابِ وَزَيْنَ طُلَّابِ الْعُلَا
غَادَرْتَنَا وَالْحَادِثَاتُ بِمِرْصَدِ
مَا كَانَ أَحْوجُنَا إِلَيْكَ إِذَا عَدَا
أَيْنَ الْخَطِيبِ وَأَيْنَ خَلَّابِ النُّهَى؟
بِاللَّهِ مَالِكَ لَا تَحْيِبْ مَنَادِيَا
قُمْ وَامْحُ مَآخِطُتْ يَمِينِ (كِرُومِرِ)
قَدْ كُنْتَ تَغْضَبُ لِلْكِنَانَةِ كُلِّهَا
غَضَبَ التَّقَى لِرُبِّهِ وَكِتَابِهِ
قَدْ ضَاقَ جِسْمُكَ عَنْ مَدَاكَ فَلَمْ يُطِيقْ
أَوْدِي بِهِ ذَاكَ الْجِهَادُ وَهَدَّه
لِعَبْتِ يَمِينِكَ بِالْيِرَاعِ فَأَعْجَزَتْ
وَجَرَيْتَ لِلْعُلِيَاءِ تَبْغَى شَأُوهَا

وَأَتَيْتُ أَنْثَرَ بَيْنَهُمْ أَشْعَارِي
هَلْ أَنْتَ بِالْمَهْجِ الْحَزِينَةِ دَارِي؟
وَالْعَيْشُ عَيْشُ مَذَلَّةٍ وَإِسَارِ
عَادٍ وَصَاحِ الصَّائِحُونَ: بَدَارِ
طَالَ انْتِظَارُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ
مَاذَا أَصَابَكَ يَا أَبَا الْمَغْوَارِ؟
جَهْلًا بِدِينِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
هَمَّتْ وَهَمَ رَجَاؤُهَا بِعِثَارِ
أَوْ غَضَبَتِ (الْفَارُوقُ لِلْمَخْتَارِ)^(٣)
صَبْرًا عَلَيْكَ وَأَنْتَ شُعْلَةُ نَارِ
عَزَمْتُ يَهْدُ جَلَائِلِ الْأَخْطَارِ
لَعِبَ الْفُؤَارِسُ بِالْقَنَا الْخَطَّارِ^(٤)
بَدَرْتُ إِلَيْهِ غَوَائِلَ الْأَقْدَارِ؟

* * *

(١) إشارة إلى عمر الفقيه وهو رقم تقريبي لأنه توفي في الرابعة والثلاثين من عمره.

(٢) نوادي الأزهار: أي الرطبة المبللة بالندى.

(٣) الفاروق: عمر بن الخطاب، والمختار: النبي عليه الصلاة والسلام.

(٤) القنا: الرماح.

وشهدتُ موكبه فقرَّ قرارى^(١)
 بالكهرباء وطائرٌ ببخار
 وعلمتُ منه مراتبَ الأقدار
 حقَّ الولاء وواجبَ الإكبار
 يمشون تحت (لوائك) السيَّار
 للحزن أسطاراً على أسطار
 ركب الحجيج بكعبة الزُّوار
 عند المصلّى ينصتون لقرارى
 تجرى بلا كلح^(٢) ولا استنتار
 ما بين سيل دافق وشَرار
 فيصنّدى متدفق التيار
 لقضيتُ بين مراجلٍ وبخار

* * *

هتكتُ عليك حرائرَ الأستار
 فى النعش لا خبراً من الأخبار
 وجهَ الخمار فلم تَلذَّ بخمار^(٣)
 سترٌ من الأحزان والأكدار

* * *

منك الوداد فكان خيرَ شعار
 فى طيِّة يسر من الأسرار
 يتعانقان على شفير هارى
 لِنَوَى مروّعةٍ وبعد مزار
 ما بين حرٍّ أَسَى وحرٍّ أوار^(٤)
 رجلاً يناضل عنه يوم فخار
 باتتُ تُقاس بأطول الأعمار

عزَّ القرارُ على ليلة نعيه
 وتسابقت فيه النعاهُ فطائرُ
 شاهدتُ يوم الحشر يوم وفاته
 ورأيت كيف تفى الشعوب رجالها
 تسعون ألفاً حول نعشك خُشْعُ
 خطوا بأدمعهم على وجه الثرى
 أنا يوالون الضجيج كأنهم
 وتخالم أنا لفرط خسوعهم
 غلب الخسوع عليهم فدموعهم
 قد كنت تحت دموعهم وزفيرهم
 أسعى فيأخذنى اللهب فأنتنى
 لولم أَلذَّ بالنعش أو بظلاله

كم ذات خدرٍ يوم طاف بك الردى
 سَفرتُ تودع أُمَّةً محمولة
 أمنتُ عيون الناظرين فمزَّقتُ
 قد قام ما بين العيون وبينها

أدرجتُ فى العَلَم الذى أَصْفِيته
 عَلَمان^(٥) من فوق الرؤس كلاهما
 ناداهما داعى الفراق فأُسيّا
 تالله ما جزع المحب ولا بكى
 جزع (الهلل) عليك يوم تركته
 متلفتا متحيّراً متخيّراً
 إن الثلاثين التى بك فاخرت

(١) أى استقرت نفسه بعد أن شهد وفاء الأمة للفقيد فى موكب الجنائز.

(٢) الكلح العبوس أى تجرى الدموع طبيعتها بلا عبوس.

(٣) الخمار: الحجاب.

(٤) يريد بالهلين الفقيد فهو علم الوطنية والثانى علم الوطن.

(٥) الأسى: الحزن؛ والأوار: الظمأ والتمطش، أى التمتعش إلى الفقيد.

ضمتُ إلى التاريخ بضعَ صحائف
شَبَّهْتُهنَّ بنقطةِ عِطْرية
خَلَقْتُها كالْمَشْقِ يحذو حَذُوها
ماذا على السارى وهُنَّ (٢) منائرُ
بيضاء مثل صحائف الأبرار
وسعت محصل روضةٍ معطار (١)
راجى الوصول ومقتفى الآثار
لو سار بين مجاهل وقفار

* * *

مازلت تختارُ المواقفَ وَغِرة
وهدمت سوراً قد أجاد بناءه
ووصلت بين شكاتنا ومشايخ
كشفوا الغطاء عن العيون فأبصروا
نبذوا كلام (اللورد) حين تبيينوا
ورماهم بمجلدين (٥) رَمَوْهُما
حتى وقفت لذلك الجبار (٣)
فرعون (٤) ذو الأوتاد والأنهار
في (البرلمان) أجلَّة أخيار
ما في الكنانة من أذى وضرار
حَنَقَ المغيظ ولهجة الثرثار
في رتبة الأصفار لا الأسفار

* * *

وأها على تلك المواقف إنها
لم يَلَوْه عنها الوعيدُ ولا ثنى
فاهناً بمنزلك الجديد ونم به
واستقبل الأجرَ الكبير جزاء ما
نعم الجزاء ونعم ما بلغته
كانت مواقف ليت غاب ضارى
من عزمه قول المريب: حذار
في غبطةٍ وانعم بخير جوار
ضَحِيَّتْ للأوطان من أوطار
في منزليك (٦) ونعم عقيبى الدار

قصيدته في الذكرى الأولى للفقيد

وله قصيدة ثالثة ألقاها عند قبره يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٩ في الاحتفال بإحياء ذكرى الأولى، وهى من أبلغ روائع الشعر العربى، قال:

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا (٧)
واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم

(١) الروضة المعطار: هى الكثيرة الأزهار والرياحين.

(٢) هن إشارة إلى الثلاثين عاماً: أى ماذا على السارى فى المجاهل والقفار إذا اهتدى بنور هذه الأعلام.

(٣) اللورد كرومر.

(٤) شبيه كرومر بفرعون.

(٥) يريد بالمجلدين كتاب مصر الحديثة للورد كرومر.

(٦) أى الدنيا والآخرة.

(٧) استلم القبر: قبله أو لمسه بيده.

ضاقَت بِأَمَالِهِ الْإِقْدَارُ وَالْهَمَمُ
فِي الشَّرْقِ فَجَرٌّ تَحِيٍّ ضَوْءِ الْأَمَمِ
نَشْرًا تَسِيرُ بِهِ الْأَمْثَالُ وَالْحَكَمُ
لِطَالِبِ الْحَقِّ رُكْنًا لَيْسَ يَنْهَدُمُ
حَامِيَ الذَّمَّارِ هُنَا الشُّهُمُ الَّذِي عَلِمُوا

هَنَا جَنَّانُ تَعَالَى اللَّهُ بَارئُهُ
هَنَا قَمٌّ وَبَنَانٌ لَاحَ بَيْنَهَا
هَنَا قَمٌّ وَبَنَانٌ طَالِمَا نَتَرَا
هَنَا الْكَمِيُّ^(١) الَّذِي شَادَتْ عَزَائِمُهُ
هَنَا الشَّهِيدُ هَنَا رَبُّ اللَّوَاءِ هَنَا

* * *

لَيَهْنَكَ النَّوْمُ لَا هَمٌّ وَلَا سَقَمٌ
عَنْكَ الْمُنَابِرُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
إِلَّا أَبِي ذَكِيُّ الْقَلْبِ مُضْطَرَمٌ
آثَارُهُ عَمَمٌ أَمَالُهُ أَمَمٌ

يَا أَيُّهَا النَّائِمُ الْهَانِي بِمُضْجَعِهِ
بَاتَتْ تَسَائِلُنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
تَرَكْتَ فِينَا فِرَاعًا لَيْسَ يَشْغَلُهُ
مَنْفَرَةُ النَّوْمِ^(٢) سَبَاقٌ لَهَايَتِهِ

* * *

رَوْحًا يَحْفُ بِهَا الْإِكْبَارُ وَالْعَظَمُ
أَرَى مُحِيًّا يَحْيِينَا وَيَبْتَسِمُ
هَذَا فَيُتْلِي هَذَا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ
مَنْ الْقُلُوبِ إِذَا لَمْ تُسْعِدْ^(٣) الْكَلَمُ
فَنَحْنُ فِي مَوْقِفٍ يَحْلُو بِهِ الْقَسَمُ

إِنِّي أَرَى وَفَوَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي
أَرَى جَلَالًا أَرَى نُورًا أَرَى مَلَكًا
اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا الْوَجْهَ أَعْرِفُهُ
غَضُّوا الْعَيُونَ وَحَيَّوْهُ تَحِيَّتَهُ
رَاقِصِمُوا أَنْ تَذُودُوا عَنْ مِبَادِيهِ

* * *

لَمَّا سَكَنْتَ وَلَمَّا غَالَكَ الْعَدَمُ
وَنَسْتَمِدُّ وَنَسْتَعْدِي^(٤) وَنَحْتَكِمُ
عَفُّ الْجَفَاءِ^(٥) وَأَعْلَى صَوْتِنَا الْأَلَمُ
إِنْ الضَّعِيفُ عَلَى الْحَالِيْنَ مُتْهِمٌ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الظَّالِمِينَ هُمُ
إِنْ نَطَقْنَا تَنَادَوْا: فَتَنَةٌ عَمَمٌ

لَبِيكَ نَحْنُ الْأَوَّلَى حَرَكْتَ أَنْفُسَهُمْ
جُنْنَا نُوْدِي حَسَابًا عَنْ مَوَاقِفِنَا
قِيلَ اسْكُتُوا فَسَكْتْنَا ثُمَّ أَنْطَقْنَا
قَدْ أَتَيْنَا وَلَمَّا نَطْلُبُ جَلَالًا
قَالُوا لَقَدْ ظَلَمُوا بِالْحَقِّ أَنْفُسَهُمْ
إِذَا سَكْتْنَا تَنَاجَوْا: تِلْكَ عَادَتُهُمْ

* * *

(٤) نستمد: نطلب المدد ونستعدي: نستنصر.

(٥) يريد بالجفاء المحتلين الجناة.

(١) الشجاع.

(٢) منفر النوم أي مسهد.

(٣) أسعده: أعانته.

قد مرَّ عامٌ بنا والأمرُ يحزُّبنا^(١)
 فالناس في شدَّةٍ والدَّهرُ في كلبٍ^(٢)
 وللسياسةِ فيناكلُ آونةً
 بينا نرى جمرها تحشى ملامسهُ
 تصغى لأصواتنا طوراً لتخدعنا
 فمن ملاينةٍ استأرَّها خدعُ
 آناً وآونةً ننتابنا النقم
 والعَيْتُ قد حارَ فيه الحاذقُ الفهم
 لوْنٌ جديدٌ وعهدٌ ليس يُحترم
 إذا به عند لَسِ المصطلى فحَمُ
 وتارةً يزدهيها الكبرُ والصمُ
 إلى مصالبةٍ استأرَّها وهم

* * *

ماذا يريدون^(٣)؟ لا قرَّت عيونهم
 كم إمةٍ رغبتُ فيها فما رسخت
 ما كان ربك ربُّ البيت تاركها
 إن الكنانة لا يُطوى لها عَلم
 لها - على حولها^(٤) - في أرضها قدم
 وهى التى بحبالٍ منه تعتصم

* * * چث

لبيك إنا على ما كنت تعهده
 فيعلم النيل أنا خيرٌ من وَرَدوا
 حتى نسود وحتى تشهد الأمم
 ويستطيل اختيالاً ذلك الهرم

إلى أن قال:

يا أيها النشء سيروا في طريقته
 فكلكم (مصطفى) لوسار سيرته
 قد كان لاوانياً يوماً ولا وِكلاً^(٦)
 وأنت يا قبر قد جئنا على ظمأٍ
 أين الشباب الذى أودعتْ نضرتَه
 وما صنعت بآمالٍ لنا طُويت
 ألا جوابٌ يروى من جوانحنا؟
 وثابروا: رضى الأعداءُ أو نقموا
 وكلكم (كامل) لوجازه^(٥) السَّامُ
 يستقبل الخطب بَسَّاماً ويقتحم
 فجد لنا بجوابٍ جادك الدِّيمُ^(٧)
 أين الخلال - رعاك الله - والشيم؟
 يا قبر فيك وعفى رسمها القدم؟
 ما للقبور إذا ما نوديت تجمُ^(٨)؟

(١) حزه الأمر: اشتد عليه.

(٢) الكلب الشدة.

(٣) يريد المحتلين.

(٤) الحول: القوة.

(٥) جازه: أى جاززه.

(٦) الوكل: العاجز الذى يكل الأمر إلى غيره.

(٧) الديم جمع ديمة السحاب.

(٨) وجم يجم سكت عن الهم.

نَمْ أَنْتِ يَكْفِيكِ مَا عَانَيْتِ مِنْ تَعَبٍ فَنَحْنُ فِي يَقِظَةٍ وَالشَّمْلُ مِلْتَمٌ
هَذَا (لِوَاؤِكَ) خَفَاقٌ يَظْلِلُنَا وَذَاكَ شَخْصُكَ فِي الْأَكْبَادِ مُرْتَسِمٌ

تحية العام الهجرى

أعد الشباب في سنة ١٩٠٩ (١٣٢٧ هجرية) احتفالاً كبيراً بالعام الهجرى الجديد تولى الطلبة تنظيمه برعاية نادى المدارس العليا، وكان احتفالاً رائعاً أقيم بدار التمثيل العربى مساء الجمعة غاية ذى الحجة سنة ١٣٢٦ (٢٢ يناير سنة ١٩٠٩) برآسة أحمد بك لطفى، وألقى فيه حافظ قصيدته المشهورة في تحية العام الجديد. قال في مطلعها:

| | |
|---|---|
| هَلَالٌ رَأَى الْمُسْلِمُونَ فَكَبَّرُوا | أَطْلَ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْخَلْقِ تَنْظَرُ |
| عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَنَّهُ تَكَرَّرَ | تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنَهَا |
| وُغَرَّتْهُ وَالنَّاطِرِينَ مُبَشِّرَ | وَبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وَجَبِينَهُ |
| بِهِ تَوَجُّجَ التَّارِيخِ وَالسَّعْدُ مُسْفِرَ | وَأَذْكُرَهُمْ يَوْمًا ^(١) اغْرُ مُحْجَلًا |
| يُخَفُّ بِهِ مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ عَسْكَرَ | وَهَاجَرَ فِيهِ خَيْرُ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى |
| مِثْلَ ثَكَّةٍ تَرَعَى خُطَاهُ وَتُخَفِّرَ | يُمَاشِيهِ جَبْرِيلٌ وَتَسْعَى وَرَاءَهُ |
| هَدَى وَيُؤْمِنَاهُ الْكِتَابُ الْمَطْهَرُ | بُيَسِّرَاهُ بَرَهَانَ مِنَ اللَّهِ سَاطِعُ |
| وَفِي (يُثْرِبِ) ^(٢) أَنْوَارُهُ تَتَفَجَّرُ | فَكَانَ عَلَى أَبْوَابِ (مَكَّةَ) رُكْبُهُ |
| تَعَدَّدُ آثَارُ لَهُ وَتَسْطَرُّ | مَضَى الْعَامُ مَيِّمُونَ الشُّهُورَ مَبَارِكَا |
| هَنَاتٍ فَطَبَعَ الدَّهْرُ يَصْفُو وَيَكْدُرُ | مَضَى غَيْرَ مَذْمُومٍ فَإِنْ يَذْكُرُوا لَهُ |
| مُجِيبٌ لَقَدْ أَحْيَا الْمَلَائِينَ فَانْظُرُوا | وَأِنْ قِيلَ أَوْدَى بِالْأَلُوفِ أَجَابُهُمْ |
| فَأَرِنِي عَلَيْهَا فَالْإِسَاءَةُ تَغْفِرُ | إِذَا قَيْسُ إِحْسَانٍ أَمَرْتُ بِإِسَاءَةٍ |
| عَلَيْهِمْ كَأَهْلِ الْكَهْفِ فِي النَّوْمِ اعْصُرُ | فَفِيهِ أَقَامَ النَّائِمُونَ وَقَدِ اتَتْ |
| لَهُ أَثَرٌ بَاقٍ وَذِكْرٌ مَعْطَرُ | وَفِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَقْعَةٍ |

وبعد أن سرد الحوادث في مختلف البلاد الإسلامية طوال العام المنصرم، عرج على الحركة الوطنية في مصر فحيها أحسن تحية وكان ترجمان الشعر والأدب في تمجيدها وتأيينها، قال:

(١) يريد يوم هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة.

(٢) المدينة المنورة.

وفيه سرّت في مصر روحٌ جديدةٌ
خبّت زمنا حتى توهمت أنها
تصدى فأوراها وهيئات أن يرى
مضى زمن التّويم يا نيل وانقضى
وقد كان «مرفين» الدهاء مخدراً
شعرنا بحاجات الحياة فإن وُنت
شعرنا وأحسننا وباتت نفوسنا
إذا الله أحيّا أمة لن يردها

وحيا الشباب بقوله :

رجال الغد المأمول إنا بحاجة
رجال الغد المأمول إنا بحاجة
رجال الغد المأمول إنا بحاجة
رجال الغد المأمول إنا بحاجة
رجال الغد المأمول إنا بحاجة
رجال الغد المأمول لا تتركوا غداً
رجال الغد المأمول إن بلادكم
عليكم حقوق للبلاد أجلها
قصارى مئى أوطانكم أن ترى لكم
فكونوا رجالاً عاملين أعزة

وعرج على حركة المطالبة بالدستور، قال :

وياطلبي (الدستور) لاتسكنوا ولا
أعدوا له صدر المكان فإننى
ولاتنطقوا إلا صواباً فإننى
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله

مباركة من غيرة تتشعر
تجافت عن الإبراء لولا (كرومر)^(١)
سبيلا إلى إخمادها وهى تزفر
ففى مصر إيقاظٌ على مصر تسهر
فأصبح فى أعصابنا يتخدر
عزائمنّا عن نيلها كيف نُعذر؟
من العيش إلا فى ذرا العز تسحر
إلى الموت قهّار ولا متجبر

إلى قادة تبنى وشعبٍ يعمر
إلى مصلح يدعو وداع يذگر
إلى عالم يدرى وعلمٍ يقرّر
إلى حكمة تملى وكف تحرّر
إليكم فسدوا النقص فينا وشمروا
يمر مرور الأمس والعيش أغبر
تناشدكم بالله أن تتذكروا
تعهد روض العلم فالروض مقفر
يداً تبتنى مجداً ورأساً يفكر
وصونوا همى أوطانكم وتحروا

تبيتوا على يأس ولا تتضجروا
أراه على أبوابكم يتخطر
أخاف عليكم أن يقال تهوورا
ولا ناله فى العالمين مقصّر

(١) خت. خدمت، وتجاغت؛ تباعدت، وإبراء النار، إشعالها. وكرومر هو المعتمد البريطانى فى ذلك الحين والحاكم المطلق فى مصر وقتئذ، يريد أن قذائع كرومر قد اشعلت روح الكراهية للاحتلال.

لقد ظفر الأتراك عدلا بسؤلهم^(١) ونحن على الآثار لا شك نظفّر
هم لهم العام القديم مقدّر ونحن لنا العام الجديد مقدر

وقد قوبلت القصيدة بالتصفيق والإعجاب والحماسة البالغة من الحاضرين، وكان
إلقاؤه رائعا أخذا، ولبث في إلقائه ساعة من الزمان كاملة.

وفي ١٢ يناير سنة ١٩١٠ أقام الشباب أيضا احتفالا فخما بعيد رأس السنة الهجرية
(١٣٢٨) بمسرح (البيلوت باسك) بشارع عماد الدين، والقى فيه حافظ قصيدة من أبلغ
شعره، قال في مطلعها يحيى هلال العام الجديد:

لى فيك حين بدأ سناك وأشرقاً أملُ سألتُ الله أن يتحققا

ثم ذكر العام الذى مضى وما أصاب مصر فيه من كوارث، قال:

أشرق علينا بالسعود ولا تكن كأخيك مشثوم المنازل اخرقا

إلى أن قال ينعى حرية الصحافة ويذكر ما أصابها من الضغط والاضطهاد:

ورمى على أرض الكنانة جرمه
حصدت مناجله غراس رجائنا
فتقيدت فيه (الصحافة) عنوة
وأقى يساوم فى (القناة) خديعة
إن البلية أن تُباع وتُسترى
كانت تواسينا على آلامنا
فإذا دعوتُ الدمع فاستعصى بك
كانت لنا يوم الشدائد اسهياً
كانت صماماً للنفوس إذا علت
كم نفست عن صدر حرٍ واجد^(٤)
بالتأزلات السُود حتى ارهقا
ولو أنها أبقت عليه لأورقا
ومشى الهوى بين الرعية مُطلقا
ولو أنها تمت لثم بها الشقا^(٢)
مصرٌ وما فيها وأن لا تنطقا
صحفٌ إذا نزل البلاء وأطبقا
عنا اسى حتى تغص وتشرقا
نرمى بها وسوايقا^(٣) يوم اللقا
فيها الهُوم وأوشكت أن تزهقا
لولا الصام من الأسى لتمزقا

(١) يريد إعلان الدستور في تركيا عام ١٩٠٨.

(٢) يشير إلى مشروع مد امتياز قناة السويس، وقد ظهر في أواخر سنة ١٩٠٩ ورفضته الجمعية العمومية، في أبريل سنة ١٩١٠.

(٣) السوايق من صفات الخيل، أى كانت لنا عدة في الجهاد.

(٤) الواجد: الحزين.

مالي انوح على الصحافة جازعاً
قصوا حواشيها وطنوا أنهم
وأتوا بحاذقهم^(١) يكيدها بما
ماذا ألم بها وماذا أحدقنا
أمنوا صواعقها فكانت أصعقا
يثنى عزائمها فكانت أحدقنا

وقال يخاطب الشباب ويهيب بهم أن يعملوا ليردوا إلى مصر مجدها واستقلالها:

أهلاً بنا بنة البلاد ومرحباً
لا تياسوا أن تستردوا مجدكم
مدت له الآمال من أفلاكها
فتجشّموا للمجد كل عزيمة
من رام وصل الشمس حاك خيوطها
جددت العهد الذي قد أخلقا
فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
خيطة الرجاء إلى العلا فتسلقا
إني رأيت المجد صعب المرتقى
سبباً إلى آماله وتعلقا

عارٌ على ابن النيل سباق الورى
أو كلما قالوا تجمع شملهم
فتدققوا حُججاً وحوطوا نيلكم
حلوا علينا بالزمان وصرفه
هزّوا مغاريها فهابت بأسهم
فتعلموا فالعلم مفتاح العلا
نم استمدوا منه كل قواكم
وابنو حوالى حوضكم من يقظة
وزنوا الكلام وسدّدوه فإلهم
وامشوا على حذرٍ فإن طريقكم
نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا
الموت في غشيائه وطروقه
مهما تقلب دهره أن يُسبقا
لعب الشقاق بجمعنا فتفرقا
فلكم أفاض عليكم وتدققا
فتأنقوا في سلبنا وتأنقا^(٢)
يا ويلكم إن لم تهزوا المشرقاً^(٣)
لم يُبق باباً للسعادة مغلقا
إن القوى بكل أرض يُتقى
سوراً وخطوا من حذارٍ خندقا
خبّأوا لكم في كل حرفٍ مزلقا
وعرّ أطاف به الهلاك وحلقا
للسالكين بكل فج موبقا^(٤)
والموت كل الموت ألا يطرقا^(٥)

(١) يريد بطرس غالى رئيس الوزراء، ولكن الحق أن تبة ذلك يتحملها الوزراء جميعا لا بطرس غالى وحده.

(٢) أى حاربنا المحتلون بأحداث الزمان ونوائيه، وتأنق فى الأمر: أى بالغ فيه.

(٣) يشير إلى الإنجليز، أى أنهم مددوا سلطانهم فى دول الغرب، ويدعو المصريين إلى أن يجعلوا لمصر هذه المكانة فى الشرق.

(٤) الفج: الطريق، الموبق: الهلاك.

(٥) أى إذا كان فى الإقدام موت فإن فى الاستسلام موتاً أكبر.

فتحينوا فرصَ الحياة كثيرة
أو فاخلقوها قادرين فإنما
وتعجلوها بالعزائم والرق
فرص الحياة خليفة أن تخلقا

مسألة قناة السويس

في أواخر سنة ١٩٠٩ وأوائل سنة ١٩١٠ شغلت الرأى العام مسألة كبرى تتصل بحياة البلاد الاقتصادية والسياسية، وهى مشروع مدّ الامتياز الممنوح لشركة قناة السويس أربعين عاما أخرى، وقد أثار هذا المشروع سخط الأمة واحتجاجها وطالبت بوقفه وبعرضه على «الجمعية العمومية» قبل البت فيه.

حركت هذه المسألة الهامة روح الشعر في نفس حافظ، فنظم في نوفمبر سنة ١٩٠٩ قصيدة من بليغ شعره القومى، وصف فيها الحالة السيئة التى وصلت إليها البلاد، وأيد الحركة الوطنية في مطالبها، وعبر أصدق تعبير عن آلامها وآمالها، قال في مطلعها:

لقد نَصَلَ الدُّجَى فمَتَى تَنَامُ أَهْمُ ذَاكَ نَوْمَكَ أَمْ هُيَامُ^(١)

إلى أن قال:

| | |
|--|--|
| أَيُّجَمَلُ بِالْأَدِيبِ أَدِيبُ مِصْرَ | بَكَاءُ الطِّفْلِ أَرْهَقَهُ الْفِطَامُ |
| وَيَصْرِفُهُ الْهَوَى عَنْ ذِكْرِ مِصْرَ | وَمِصْرٌ فِي يَدِ الْبَاغَى تُضَامُ |
| عَدِمْتُ يَرَاعَتِي إِنْ كَانَ مَا بِي | هَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ لَهُ ضَرَامُ |
| وَمَا أَنَا وَالْغَرَامُ وَشَابَ رَأْسِي | وَعَالَ شَبَابِي الْخَطْبُ الْجَسَامُ |
| وَرُبَّانِي الَّذِي رَبِّي (الْبَيْدَا) | فَعَلِمْنِي الَّذِي جَهْلُ الْأَنَامِ ^(٢) |
| لَعَمْرُكَ مَا أَرِقْتُ لِغَيْرِ مِصْرٍ | وَمَا لِي دُونَهَا أَمَلُ يَرَامُ |
| ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ | تَصُولُ بِهَا الْفِرَاعْنَةُ الْعِظَامُ |
| وَأَيَّامَ الرِّجَالِ بِهَا رَجَالُ | وَأَيَّامَ الزَّمَانِ لَهَا غِلَامُ |
| فَأَقْلَقَ مِضْجِعِي مَا بَاتَ فِيهَا | وَبَاتَ مِصْرُ فِيهِ فَهَلُ الْأَمُ؟ |

وأهاب بالشعب أن يدع التواكل والتخاذل والانقسام قال:

(١) الدجى: ظلام الليل.

(٢) لبيد، هو الشاعر العربي صاحب المعلقة التى أولها:

عفت الديار محلها فرسومها

أرى شعباً بِمُدْرَجَةِ العوادي إذا ما مرَّ بالبأساء عام
 تمخَّخ عَظْمَهُ داءُ عُقَام^(١) سرى داء التواكل فيه حتى
 أطل عليه بالبأساء عام قد استعصى على الحكماء منا
 تخطَّفَ رزقه ذاك الزحام^(٢) هلاك الفرد منشؤه تَوَانٍ
 كما استعصى على الطب الجُذام وإننا قد وَثَّيْنَا وانقسمنا
 وموت الشعب منشؤه انقسام فساء مُقَامُنَا في أرض مصر
 فلا سمعنى هناك ولا وئام فـلا عجبٌ إذا مُلِكت علينا
 وطاب لغيرنا فيها المُقام مذهبنا وأكثرنا نيام

وناجي الأمير حسين كامل وكان رئيساً لمجلس شورى القوانين أن يبيث روح الحياة والتضامن في نفوس أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية، وناشدهم ألا يثقوا بوعود الاحتلال، قال:

(حسين. حسين) أنت لنا فَنِّيه
 وكن - بأبيك - لآلئ أخيك عَوْنًا
 أفض في قاعة الشورى وئاما
 وعلمهم مصادمة الأعادي
 ففي (حزب اليمين) لديك قومٌ
 وفي (حزب الشمال) لديك أَسَدٌ
 فكونوا للبلاد ولا يفتكم
 فما سادوا بمعجزة علينا
 فلا تثقوا بوعد القوم يوما
 وخافوهم إذا لانوا فإني
 فكم ضحكك (العميد) على لحانا
 رجالا عن طلاب الحق ناموا
 فأنت بكفه نَعَمَ الحسام
 فقد أودى بنا وبها الخصام
 فمثلك لا يُروِّعه الصدام
 وإن قلوا فإنهم كرام
 كُماةٌ لا يطيب لها انهمام
 من النهزات والفرص اغتنام
 ولكن في صفوفهم انضمام
 فلن سحاب ساستهم جَهَام^(٣)
 أرى السُّوَّاس ليس لهم ذِمَام^(٤)
 وغر سراتنا منه ابتسام

(١) المدرجة: الطريق. والعوادي: التوائب. وتمخخ العظم: إذا أخرج مخه.

(٢) أى مزاحمة الأجانب للمصريين.

(٣) السحاب الجهام: الذى لا ماء فيه.

(٤) الذمام: الذمة والعهد.

ونادى بالدستور وندد بمشروع مد امتياز القناة، قال:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ليس العلمُ يمسكنا وحيداً | إذا لم ينصر العلمُ اعتزام |
| وإن لم يدرك (الدستور) مصرًا | فما لحياتها ابداً قوام |
| حمونا ورد النيل عذباً | وقالوا: انه موت زوام |
| وما الموت الزوام إذا عقلنا | سوى (الشركات) حل لها الحرام |
| لقد سعدت بغفلتنا فراح | بشروتنا وأولها (الترام) |

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| فيا ويل (القناة) اذل احتواها | بنو (التاميز) وانحسر اللثام |
| لقد بقيت من الدنيا حطاماً | بأيدينا وقد عَزَّ الحطام |
| وقد كنا جعلناها زماماً | فوالهفى إذا قطع الزمام! |

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| فيا (قصر الدبارة) لست أدرى | احربُ في جرابك أم سلام؟ |
| أجبتنا هل يُراد بنا وراء | فنفضي أم يراد بنا أمام؟ |
| ويا (حزب اليمين) اليك عنا | لقد طاشت نبالك والسهم |
| ويا (حزب الشمال) عليك منا | ومن ابناه نجدتك السلام |

وقد اضطرت الوزارة تحت ضغط الرأى العام إلى عرض المشروع على الجمعية العمومية التى قررت رفضه، وبذلك حبط المشروع.

تنديده بالكولونل روزفلت

جاء الكولونل تيودور روزفلت الرئيس الأسبق لجمهورية الولايات المتحدة إلى مصر عن طريق السودان فى مارس سنة ١٩١٠، وألقى بالخرطوم خطبة سياسية مجد فيها الاحتلال البريطانى، ودعا إلى الخضوع لحكمه، ولما وصل إلى القاهرة ألقى بالجامعة المصرية خطبة أخرى أشد وطأة من خطبته، بالخرطوم، وقد أثارت خطبته احتجاج الرأى العام، وشارك حافظ الأمة فى سخطها على روزفلت، ونظم قصيدة عصماء لامة فيها على إطرائه الاحتلال، نشرها قبيل إلقاء خطبته الثانية بالقاهرة، قال.

أى خطيب الدنيا شنفُ سَمِعَ مصر بقولك الماثور

إنما شوقها لقولك يا (روز)
 قَفْ غَدًا أيها الرئيس وعَلِّمْ
 وأخبر الناس كيف سدت على النا
 وملكتكم أَعْنَةُ الريح والمَا
 قَفْ وَعَدُّد مآثر العلم واذكر
 وإذا ما ذكرت أنعمه الكب

فلت) شوق الأسير للتحري
 أهل مصر حرية التعبير
 س وجئت بمعجزات الدهور
 ء ودستهم على قارب العصور
 نعم الله ذكر عبد شكور
 رى فلا تنس نعمة (الدستور)

* * *

يا نصير الضعيف مالك تطرى
 لم تطيقوا جوارهم بل اقمتم
 أنت تطريهم وتثنى عليهم
 ليت شعري أكنت تدعو إليهم
 يوم كانوا قذى بعين (نيويور
 يوم نادى (واسنجتون) فلبًا
 يوم سجلتم على صفحات الده
 ووثبتم إلى الحياة ثوبا
 إنما النيل والمسيبي^(٣) صنوا
 وعجيب أن يفوز هذا بإطلا
 يا نصير الضعيف حُبب إليهم
 فعليهم أن يهجروا وعلى المص

خطة القوم^(١) بعد ذاك النكير
 في حاكم من دوتهم ألف سور
 نائبا آمنًا وراء البحور
 يوم كانوا على تخوم التغور
 ك) وداء مستحكماً في الصدور
 ه من الغيل كل ليث هصور^(٢)
 ر تاريخ مجدكم بالنور
 ونفضتم عنكم غبار القبور
 ن هما حليتان للمعمور
 ق وهذا في ذلة المأسور
 هجر مصر^(٤) تفز بأجر كبير
 رى ذكر المتيم المهجور

رثاؤه لمحمد فريد

نظم حافظ في رثاء محمد فريد قصيدة من غرر شعره ألقاها بصوته الجمهورى في حفلة التأبين
 التى أقامها الحزب الوطنى يوم الأربعين لوفاته (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٩)، فهزت مشاعر

(٣) هو النهر المشهور بأمريكا

(٤) أى الجلاء عنها.

(١) يقصد الإنجليز.

(٢) الغيل: موضع الأسد

السامعين والمواطنين لما حوته من المعاني الرائعة والتقدير البالغ للزعيم الراحل، قال:

مَنْ لِيَوْمٍ نَحْنُ فِيهِ مَنْ لَعْدُ؟ مات ذو العزيمة والرأى الأسد
حَلَّ (بالجمعة) حزنٌ وأسى ومشى الوجد الى (يوم الأحد)^(١)
وبدا شِعْرى على قرطاسه لَوَعَةٌ سالت على دمع جمد

* * *

أيها النيل لقد جَلَّ الأسى كُنْ مِدَاداً لى إذا الدمع نفذ
وأذبل يازهرة الرُّوض ولا تسمى للطلُّ فالعيش نَكَد
والزم التُّوَحُّ أيا طير ولا تبتهج بالشَّدْوِ فالشدو حدد^(٢)
فلقد ولى (فريد) وانطوى ركن مصرٍ وفتاها والسند

* * *

خالد الأنار لا تخش البلى ليس يَبْلَى من له ذكر خلد
زرت (برلين) فنادى سَمْتُهَا نزلت شمس الضحى برج الأسد
واختفت سمسك فيها وكذا تختفى في الغرب أعمار الأبد^(٣)

* * *

يا غريب الدار والقبر ويا سلوة النيل إذا ما الخطب جدّ
وحُساماً فلْ حَدِّيه الردى وشهاباً ضاء وهنا وخمد
قلْ (لصب النيل)^(٤) إن لاقيته في جوار الدائم الفرد الصمد
إن مصرًا لاتنى عن قصدها رغم ما تلقى وإن طال الأمد
جئت عنها أحمل البشرى إلى (أول البانين)^(٤) في هذا البلد
فاستريح وهنأ ونم في غبطة قد بذرت الحب والشعب حُصد^(٥)

* * *

(١) كنى بيومى الجمعة والأحد عن المسلمين والمسيحيين.

(٢) الحدد: الحرام الذى لا يحل أن يرتكب.

(٣) كانت وفاة الفقيد فى برلين يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩.

(٤) يريد مصطفى كامل.

(٥) يشير إلى قيام ثورة سنة ١٩١٩.

آثر النيل على أمواله وقواه وهوأه والولد
يطلب الخير لمصر وهو في شَقَوَة أحلى من العيش الرغد
ضارب في الأرض يبغى مأرباً كما قاربه عنه ابتعد
لم يَعِيبَهُ أن تجنّ دهره رب جدّ حاد عن مجراه جدّاً^(١)
يستحّم العزم حتى إن بدت فرصة شدّ إليها وصمد
فهو لا يثنى عناناً عن منى وهو هجيره (من جد وجد)
فأياديته إذا ما أنكرت إنما تنكرها عين الحسد

* * *

فقدت مصر (فريداً) وهى في موطن يُعوزها فيه المدد
فقدت مصر (فريداً) وهى في لهوة الميدان والموت رصد
فقدت منه خبيراً حُولا^(٢) وهى والأيام في أخذ وردّ
لم سكد يُتبعها الدهر به في ربوع النيل حيّاً لم يكد
ليته عاش قليلاً فترى شعب مصر عينه كيف اتحد
وَبَح مصر بل فويحاً للثرى إنه أبلى حزنّاً وأشد
كم تمّنى وتمنى أهله لو يوارى فيه ذياك الجسد^(٣)

* * *

لُف نفسي هل (ببرلين) امرؤ فوق ذاك القبر صليّ وسجد؟
هل بكت عينٌ فروّت تُربّه هل على أحجاره خطّ أحد؟
هنا قبر شهيد في هوى أمة أيقظها ثم رقد!

ثورة سنة ١٩١٩

حيا حافظ ثورة ١٩١٩ في قصيدة نظمها عن أول مظاهرة للسيدات قمن بها يوم ١٦ مارس ١٩١٩ احتجاجاً على عسف الإنجليز حيال المظاهرات السابقة وما ارتكبه مع المتظاهرين من

(١) الحد (بالكسر) الاجتهاد، وبالفتح الحظ. والمعنى: رب اجتهاد أخطأ الحظ.

(٢) الحول: الحادق البصير بتحويل الأمور.

(٣) يشير في هذا البيت والبيت الذى سبقه إلى أن جثمان الفقيد ثوى في برلين، وقد نقل إلى مصر في يونية سنة ١٩٢٠.

فظائع القتل والتنكيل، وقد مجد حافظ شعور السيدات المتظاهرات وشجاعتهن، وحمل في قصيدته حملة لاذعة على مسلك الجنود الإنجليز حيالهن، قال:

خَرَجَ الغَوَايِ يَحْتَجِّجْنَ وَرُحْتَ أَرْقُبَ جَمْعَهُنَّ
 فَاذَا بِهِنَّ تَخَذَنَ مِنْ سُودِ النِّيَابِ شِعَارَهُنَّ
 فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبٍ يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجْنَةِ^(١)
 وَأَخَذْنَ يَحْتَزْنَ الطَّرِيقَ وَدَارَ «سَعْد» قَصْدَهُنَّ
 يَمْشِينَ فِي كَنَفِ الْوَقَا رَ وَقَدْ أَيْنَ شُعُورَهُنَّ
 وَإِذَا بِجَيْشٍ مُقْبِلٍ وَالْخَيْلَ مُطْلَقَةَ الْأَعْنَةِ
 وَإِذَا الْجُنُودُ سَيُوفُهَا قَدْ صُوبَتْ لِنُحُورِهِنَّ
 وَإِذَا الْمَدَافِعَ وَالْبَنَا دَقِ وَالصَّوَارِمَ وَالْأَسْنَةَ
 وَالْخَيْلَ وَالْفَرَسَانُ قَدْ ضَرَبَتْ نَاطِقًا حَوْلَهُنَّ
 وَالْوَرْدَ وَالرَّيْحَانَ فِي ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحَهُنَّ
 فَتَطَاخُنَ الْجَيْشَانِ سَا عَاتٍ تَشِيبُ لَهَا الْأَجْنَةُ
 فَتَضَعُضُ النَّسْوَانَ وَالنَّسْ وَانِ لَيْسَ لهنَّ مُنَّةُ^(٢)
 نَمِ انْهَزْمَنَّ مَشْتَتَاتِ الشَّمِّ لَ نَحْوِ قِصُورِهِنَّ

فَلِيَهِنَا الْجَيْشُ الْفَخْو رَ بِنَصْرِهِ وَبِكِسْرِهِنَّ!
 فَكَأَنَّمَا (الْأَلْمَانَ) قَدْ لَبَسُوا الْبَرَاقِعَ بَيْنَهُنَّ
 وَأَتَوْا (بِهَنْدُبُورَجِ)^(٣) مُحْتَمِّ فَيَا بِمَصْرِيقِ قُودُهُنَّ
 فَلِذَاكَ خَافُوا بِأَسْهَنَ وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ!

وأنشأ قصيدة حيا بها جمعية المرأة الجديدة، وألمع فيها إلى بطولة المرأة في ثورة سنة ١٩١٩. قال:

(١) الدجنة: الظلام.

(٢) المنّة: القوة.

(٣) المارشال هندنبرج، القائد الشهير في الحرب العالمية الأولى.

إِلَيْكَ يَهْدِي النِّيلُ أَلْفَ تَحِيَّةٍ
وَيُنْتِهِ عَلَى أَعْمَالِكُنْ مَوْكَلِي^(١)
أَقْمَتُنْ بِالْأَمْسِ الْأَسَاسَ مَبَارَكًا
صَنَعْتُنْ مَا يُعْبَى الرِّجَالُ صَنِيعُهُ
مَعَطْرَةٌ فِي أَسْطَرِ عَطَرَاتِ
بِإِطْرَاءِ أَهْلِ الْبِرِّ وَالْحَسَنَاتِ
وَجِئْتُنْ يَوْمَ الْفَتْحِ مُغْتَبَطَاتِ
فَزِدْتُنْ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ

* * *

يقولون : نصفُ الناسِ في الشرقِ عاطِلٌ
وهذى بنات النِيلِ يَعْمَلْنَ لِنَهْيِ
وَفِي السَّنَةِ السُّودَاءُ كُنْتُنْ قُدُوءَ
وَقَفْتُنْ فِي وَجْهِ الْخَمِيسِ مُدَجَّجًا
وَمَا هَالِكُنْ الرُّمَحَ وَالسَّيْفَ مُصَلَّتَا
تَعْلَمُنْ مِنْكُمْ الرِّجَالُ فَأَصْبَحُوا
نِسَاءَ قَضَيْنَ الْعَمْرِ فِي الْحُجَرَاتِ
زَيْغَرِسْنَ غَرْسًا دَانِي الثُّمَرَاتِ
لَنَا حِينَ سَالَ الْمَوْتُ بِالْمَهْجَاتِ
وَكُنْتُنْ بِالْإِيمَانِ مُعْتَصِمَاتِ
وَلَا الْمَدْفَعُ الرَّشَاشُ فِي الطَّرُقَاتِ
عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَهْلُ ثَبَاتِ

مصر تتحدث عن نفسها

قصيدة غراء قالها سنة ١٩٢١ على أثر قطع مفاوضات عدلى - كيرزون، حين سافرت نيات الإنجليز في العدوان على مصر، وقد أشاد فيها بمجد مصر وعظمتها، ثم أشار إليها وهي تستنجد ببنيتها البررة على غدرات الأيام وهيب بهم أن ينظروا من تليد مجدها إلى المثل الأعلى ليحتذوه، وينعاونوا على التمسك بالحق كاملا حتى يبلغوه، وقد أجرى الخطاب في القصيدة على لسان مصر لينصت الجميع لصوتها، إذ هي فوق الجميع، وكان عنوان القصيدة حين نشرت (مصر فوق الجميع) وهذه القصيدة أنتدتها سيدة الطرب أم كلثوم من روائع أغانيها :

وَقَفَ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا
وَبِنَاءِ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
أَنَا تَاجُ الْعَلَاءِ فِي مَفْرِقِ^(٢) الشَّرِّ
أَيُّ شَيْءٍ فِي الْغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّاسَ
كَيْفَ أَبْنَى قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحْدِي
رَ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحْدِي
قِ وَدِرَائَتِهِ فَرَائِدُ عِقْدِي
سَ جَمَالًا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟

(١) موكلي، أى أن النيل قد أنابه عنه في إبلاغهن ثناءه عليهن.

(٢) المفروق : وسط الرأس.

فَتَرَانِي تَبْرُ وَنَهْرِي فَرَاتٌ
أَيْنَمَا سِرْتُ جَوَلْتُ عِنْدَكُمْ كَرَمٌ
وَرِجَالِي لَوْ أَنْصَفُوهُمْ لَسَادُوا
لَوْ أَصَابُوا لَهُمْ مَجَالًا لَا بَدَا
أَنَا إِنْ قَدَرْتُ إِلَّا لَهُ مِمَّا قِي
وَسَمَائِي مَصْقُولَةٌ كَالْفِرْنِدِ^(١)
عِنْدَ زَهْرٍ مُدْنَرٍ عِنْدَ رَنْدِ^(٢)
مِنْ كُھُولٍ مِلءِ الْعَيْنِ وَمُرْدِ^(٣)
مُعْجَزَاتِ الذِّكَا فِي كُلِّ قَصْدٍ
لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ بَعْدِي

* * *

مَا رَمَانِي رَامَ رَاحَ سَلِيحَا
كَمْ بَغْتُ دَوْلَةً عَلَى وَجَارَتْ
إِنِّي حُرَّةٌ كَسَرْتُ قُبُودِي
مِنْ قَدِيمِ عَنَابَةِ اللَّهِ جُنْدِي
نَمَّ زَالَتْ وَتِلْكَ عُقْبَى التَّعْدِي
رَغَمَ رُقْبَى الْعِدَا وَقَطَعْتُ قَدِي^(٤)

* * *

قُلْ لِمَنْ أَنْكَرُوا مَفَاخِرَ قَوْمِي
هَلْ وَقَفْتُمْ بِقِمَّةِ الْهَرَمِ الْأَكْبَرِ
هَلْ رَأَيْتُمْ تِلْكَ النُّقُوشَ اللَّوَاتِي
حَالَ لَوْنُ النَّهَارِ مِنْ قَدَمِ الْعَهْدِ
هَلْ فَهِمْتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي
دَاكُ فَنِّ التَّحْنِيطِ قَدْ غَلَبَ الدَّهْدُ
يُمِثِّلْ مَا أَنْكَرُوا مَائِثَرُ وَلَدِي
بِرِ يَوْمًا فَرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْدِي؟^(٥)
أَعْجَزْتَ طُوقَ صَنْعَةِ الْمُتَحَدِّي؟
بِدَوَامَسٍّ لَوْنَهَا طُولُ عَهْدِ
مِنْ عُلُومٍ تَخْبُوءُ طَيِّ بُرْدِي؟
رَوَابِلِي الْبَلَى وَأَعْجَزَ زَيْدِي

* * *

قَدْ عَقَدْتُ الْعَهْدَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْنَ
إِنْ تَجَدَّى فِي الْأُولِيَّاتِ عَرِيقُ
أَنَا أُمُّ (التَّشْرِيعِ) قَدْ أَخَذَ الرُّوْ
وَرِصَدْتُ النُّجُومَ مِنْذُ أَضَاءَتْ
نَفْثِي (مَصْرَ) كَانَ أَوَّلُ عَقْدِ
مَنْ لَهُ مِثْلُ أَوْلِيَايَ وَتَجَدَّى؟
مَا نُ عَنِ الْأَصُولِ فِي كُلِّ حَدِّ
فِي سَبَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتُ رَصْدِي

(١) الفرات. العذب. والفرند: السيف.

(٢) المدنر، أى مختلف الألوان، أو المشرق المتلألئ. والرند: شجر طيب الرائحة.

(٣) مرد: جمع أمرد، وهو الشاب.

(٤) القد: القيد، بقدر منجلد.

(٥) فرَيْتُمْ، أى فرأَيْتُمْ.

وَشَدَا (بنتشور^(١)) فَوْقَ رَبُّوعَى
اتراني وقد طَوَيْتَ حَيَاتِي
أَيُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّي بِعَيْشٍ
قَبْلَ عَهْدِ الْيُونَانِ أَوْ عَهْدِ (نَجْدِ)
فِي مَرَّاسٍ لَمْ أَبْلُغِ الْيَوْمَ رُشْدِي؟
وَارِفِ الظِّلَّ أَخْضَرَ اللَّوْنِ رَغْدِي؟

* * *

أَمِنَ الْعَدْلُ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ الـ
أَمِنَ الْحَقُّ أَنَّهُمْ يُطْلِقُونَ الـ
نَصْفُ قَرْنٍ إِلَّا قَلِيلًا أَعَانِي
نَظَرَ اللَّهِ لِي فَأَرْشِدْ أَبْنَا
إِنَّمَا الْحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدُّ
هَاءَ صَفَوْا وَأَنْ يُكَدَّرَ وَرِدِي؟
أَسَدٌ مِنْهُمْ وَأَنْ تُقَيَّدَ أُسْدِي؟
مَا يُعَانِي هَوَانَهُ كُلُّ عَبْدٍ^(٢)
نِي فَسَدُّوا إِلَى الْعُلَا أَيْ سَدُّ
بَانَ أَمْضَى مِنْ كُلِّ أَيْضٍ هِنْدِي

وقال في تمجيد التضحية والصمود والصبر أمام الشدائد:

قَدْ وَعَدْتُ الْعُلَى بِكُلِّ أَيْ
أَمِيرُوهَا بِالرُّوحِ فَهِيَ عَرُوسُ
وَرَدُّوا بِي مِنْهَا هَلِ الْعَزُّ حَتَّى
وَارْفَعُوا دَوْلَتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخْـ
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ فَالصَّبْرُ إِنْ فَا
خُلِقَ الصَّبْرُ وَحْدَهُ نَصَرَ الْقَوَى
شَهِدُوا حَوْمَةَ الْوَعْدِ بِنُفُوسٍ
فَمَحَا الصَّبْرُ آيَةَ الْعِلْمِ فِي الْحَرْبِ
مِنْ رَجَالِي فَأَنْجِزُوا الْيَوْمَ وَعْدِي
تَشْنَأُ الْمَهْرَ مِنْ عُرُوضٍ وَنَقِيدٍ^(٣)
يَخْطُبُ النِّجْمُ فِي الْمَجَرَّةِ وَدَى
بَلَّاقٍ فَالْعِلْمُ وَحْدَهُ لَسَ بَحْدِي
رَقَّ قَوْمًا فَمَا لَهُ مِنْ مَسَدٍ
مَ وَأَغْنَى عَنْ اخْتِرَاعٍ وَعَدٍ
صَابِرَاتٍ وَأَوْجِهٍ غَيْرِ رُبْدٍ
وَأُنْحَى عَلَى الْقَوَى الْأَشَدِّ

وقال يدعو إلى توحيد الكلمة ونبذ الشقاق وكانت البلاد وقتئذ في غمرة من الانقسام:

إِنَّ فِي الْغَرْبِ أَعْيُنًا رَاصِدَاتٍ
فَوْقَهَا يَجْهَرُ يُرِيهَا خَفَايَا
فَاتَّقَوْهَا بِجُنَّةٍ مِنْ وَثَامٍ
كَحَلَّتْهَا الْأَطْمَاعُ فِيكُمْ بِسَهْدٍ
كُمُ وَيَطْوِي شُعَاعَهُ كُلُّ بُعْدٍ
غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَعْيٍ وَكَدٍّ

(١) بنتشور: أقدم شاعر عرفه التاريخ وهو مصري، وقبل عهد اليونان الخ، أي قبل شعراء اليونان وشعراء العرب

(٢) يقصد عهد الاحتلال البريطاني.

(٣) تشنأ: تكره.

رُبَّ هَافٍ هَفَا عَلَى غَيْرِ عَمَدٍ
رَأَى فِيهِ وَعْثَرَةَ الرَّأْيِ تُرْدِي
مِنْ خِلَافٍ وَالْخَلْفِ كَالسُّلِّ يُعْدِي
فِيُعِيدُ الْجَهْلُ فِيهَا وَيُيْدِي
وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جِدِّي
جَانِبِيهِ بِعَزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ
قَدْ قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهْدٍ وَوَجَدٍ
وَالْأَمَانِيِّ بَيْنَ جَزْرِ وَمَدِّ
وَهُوَ رَمَزُ لَعَهْدِي الْمُسْتَرَدِّ
فَالْمَعَالَى مَخْطُوبَةٌ لِلْمُجَدِّ

وَاصْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ
نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعَزُّ الْآ
وَنُعِيرُ الْأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا
وَنُثِيرُ الْفَوْضَى عَلَى جَانِبِيهِ
وَيَظُنُّ الْغَوِيُّ أَنْ لَا نِظَامَ
فَقَفُوا فِيهِ وَقْفَةً الْحَزْمِ وَارْمُوا
إِنَّا عِنْدَ فَجَرٍ لَيْلٍ طَوِيلٍ
غَمَرْنَا سُودَ الْأَهَاوِيلِ^(١) فِيهِ
وَنَجْلِي ضِيَاؤُهُ بَعْدَ لَيْلٍ
فَاسْتَبِينُوا قَصْدَ السَّبِيلِ وَجِدُّوا

الاستقلال المقيد

قالها عندما أعلن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢:

أَجَدَّتِ الْأَيَّامُ أَمْ تَمْرَحُ؟
أَمْ ذَاكَ لِلَّهِ بِنَا مَسْرَحُ؟
فِي حَالِكَ الشُّكِّ فَاسْتَرْوِحْ
فَأَنْتَنِي أَنْكَرَ مَا أَلْمَحُ
إِنْ لَمْ حُوا بِالْقَصْدِ أَوْ صَرَّحُوا
مَكَانَكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَطْمَحُ
هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَافْرَحُوا
وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرَبَّحُوا
لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْجَبَا أَفْسَحُوا
أَلَّا تَرَى عِزَّتَهَا تُجْرَحُ
فَمَنْهُمْ الْمُخْلِصُ وَالْمُصْلِحُ

أَصْبَحْتُ لَا أَدْرِي عَلَى خِبْرَةٍ
أَمْوَقِفْتُ لِلْجِدِّ نَجْتَازَهُ
أَلْمَحُ لاسْتِقْلَالِنَا لَعْنَةً
وَتَطْمِسُ الظُّلْمَةُ آثَارَهَا
قَدْ حَارَبَ الْأَفْهَامُ فِي أَمْرِهِمْ
فَقَائِلُ لَا تَعْجَلُوا إِنَّكُمْ
وَقَائِلُ أَوْسِعْ بِهَا خُطْوَةً
وَقَائِلُ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ:
إِنْ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ عَاهِدُوا
وَأَسْسُوا دَارًا لِنُؤَابِكُمْ
وَلْتَذَكَّرِ الْأُمَّةُ مِيثَاقَهَا
وَلْتَنْتَخِبْ صَفْوَةَ أَبْنَائِهَا

(١) الأهاويل جمع أهوال.

وَلَيْتَقِ اللَّهُ أُولُو أَمْرَهَا أَنْ يُسَكِّتُوا الْأَصْوَاتَ أَوْ يُرْفَحُوا^(١)
 أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يُقَلِّ حَازِرُوا وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تُفْلِحُوا
 إِنْ أَرَى قَيْدًا فَلَا تُسَلِّمُوا أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدَ لَا يَسْجَحُ^(٢)
 إِنْ هَيَأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ فَهُوَ عَلَى لَيْنٍ بِهِ أَفْذَحُ
 حَتَّامٌ - وَالصَّبْرُ لَهُ غَايَةٌ - لَغَيْرِنَا مِنْ بَشَرِنَا نَمْنَحُ؟
 حَتَّامٌ - وَالْأَمْوَالُ مَشْفُوهَةٌ -^(٣) نَمْنَحُ إِلَّا (مِصْرًا) مَا نَمْنَحُ؟
 حَتَّامٌ يُمِضِي أَمْرَنَا غَيْرِنَا وَذَاكَ بِالْأَحْرَارِ لَا يَمْلَحُ؟

وعاد يدعو إلى الوحدة والوثام ويستنكر الفرقة والانقسام:

أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَعْضِهِمْ ظَنَّا وَقَدْ أَسَوْا وَقَدْ أَصْبَحُوا
 فَانْتَهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا نَهْرَةً فِينَا وَمَا كَانَتْ لَهُمْ تَسْنَحُ
 فَالرَّأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ أَنْ تُجْمِعُوا فَإِنَّمَا إِجْمَاعُكُمْ أَرْجَحُ
 وَكُلٌّ مِنْ يَطْمَحُ فِي صَدْعِكُمْ فَإِنَّهُ فِي صَخْرَةٍ يَنْطَحُ
 أَخْشَى إِذَا اسْتَمَثَرْتُمْ بَيْنَكُمْ مِنْ قَادَةِ الْآرَاءِ أَنْ تُفْضَحُوا
 فَلْتَقْصِدُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ فِيهِمْ فَإِنَّمَا فِي الْقَلَةِ الْمَنْجَحُ

يستحث المواطنين على التضحية والجهاد

نظم حافظ سنة ١٩٠٤ قصيدة رائعة عن (غادة اليابان) ضرب فيها الأمثال في التضحية والجهاد، وجعلها على لسان غادة وطنية من اليابان وأشاد بشجاعته في الحرب التي شبت بين بلادها والروسيا عام ١٩٠٤، إذ ذهبت متطوعة إلى ميادين القتال تواسي الجرحى، وترعى حقهم قال:

لَا تَلَمَّ كَيْفَ إِذَا السَّيْفُ نَبَا^(٤) صَحَّ مِنْهُ الْعِزُّ وَالْدَهْرُ أَبِي
 رَبِّ سَاعٍ مُبَصِّرٍ فِي سَعِيهِ أَخْطَأَ التَّوْفِيقُ فِيمَا طَلَبَا
 مَرْحَبًا بِالْخَطْبِ يَيْلُونِي إِذَا كَانَتْ الْعِلْيَاءُ فِيهِ السَّبَبَا

(١) يريد تأييد المواطنين من النقي إلى (رفع) وكانت منذ ثورة سنة ١٩١٩ منفي للأحرار.

(٢) يلين ويسهل.

(٣) أي مستنفدة مضية.

(٤) نبا السيف: كل وارتد.

إيه يادنيا اعبسى أو فابسمى
لا أرى برقك إلا خلباً^(١)
إلى أن قال:

كنتُ أهوى في زمانى عادةً
حملتُ لى ذات يوم نبأ
وأنت تخطر والليل فقى
ثم قالت لى بشعر باسم
نبأونى برحيل عاجل
ودعانى موطنى أن أغتدى^(٢)
نذبح الدب^(٤) وتفرى جلده
وهب الله لها ما وهبها
لارعاك الله ياذاك النبأ
وهلال الأفق فى الأفق حباً
نظم الدر به والحبباً
لا أرى لى بعده منقلباً^(٣)
علنى أقضى له ما وهبها
أيظن الدب أن لا يغلبها؟

قلتُ والآلام تغرى مهجتي
ما عهدناها لظبي مسرحاً
ليست الحرب نفوساً تشتري
أحسبت القد من عُدتها
فدعيها للذى يعرفها
ويك! ماتصنع فى الحرب الظباً؟
يبتغى ملهى به أو ملعباً
بالتمنى أو عقولاً تستبى
أم ظننت اللحظ فيها كالشياً^(٥)
والزمنى ياظبية البان الحباً^(٦)

فأجابتنى بصوتٍ راعنى
إن قومى استعذبوا ورد الردى
أنا يابانية لا أنسى
أنا إن لم أحسن الرمى ولم
أخدم الجرحى وأقضى حقهم
هكذا (الميكاد) قد علمنا
وأرتنى الظبى ليثاً أغلباً
كيف تدعونى ألا أشرباً؟
عن مرادى أو أذوق العطباً
تستطع كفاى تقلب الظباً
وأواسى فى الوغى من نكباً
أن نرى الأوطان أما وأباً

(١) الرق الخلب الذى ينتظر الناس مطره ويخلفهم.

(٢) المنقلب: العودة.

(٣) أغتدى، أى أبادر مبكرة للدفاع عنه.

(٤) الدب: ومز لروسيا.

(٥) الشيا: جمع شياة وهى حد السيف.

(٦) البان: شجر لين تألفه الظبأ، والحنا: البيت.

ملكٌ يكفيك منه أنه أنهض الشرق فهز المغرب
بعث الأمة من مرقدتها ودعا للعلم أن تدأبا
فسمت للمجد تبغى شأوه وقضت من كل شيء مأربا

يستنهض الهمم، ويدعو إلى توحيد الكلمة

قال من قصيدة له سنة ١٩٢٣ يخاطب المواطنين :

ويد الإله مع الجماعة فاضربوا بعضا الجماعة تظفروا بنجاح
كونوا رجالا عاملين وكذّبوا -والصبح أبلغ- حامل المصباح^(١)
ودعوا التخاذل في الأمور فإنما شبح التخاذل أنكر الأشباح
والله ما بلغ الشقاء بنا المدى بسوى خلاف بيننا وتلاحي^(٢)

* * *

قم يا ابن مصر فأنت حرٌ واستعد مجد الجود ولا تعد لمراح^(٣)
شمر وكافح في الحياة فهذه دنيالك دار تناحر وكفاح
وإذا ألح عليك خطبٌ لا تهن واضرب على الإلحاح بالإلحاح
وخض الحياة وإن تلاطم موجها خوض البحار رياضة السباح
في البحر لا تننيك نار بوارج في البر لا يلويك غاب رماح
وانظر إلى الغربي كيف سمّت به بين الشعوب طبيعة الكداح

إلى أن قال :

واين الكنانة في الكنانة راكدا يرنو بعين غير ذات طماح
لا يستغل كما علمت ذكاءه وذكاؤه كالحافظ اللماح
فانهض ودع شكوى الزمان ولا تنح في فادح اليؤسى مع الأنواح
واربح لمصر برأس مالك عزّة إن الذكاء حباله الأرباح
واشرب من الماء القراح مُنعما فلكم وردت الماء غير قراح

(١) الإشارة إلى الفيلسوف ديوجنس الذي كان يحمل في رابطة النهار مصباحا يبحث عن رجل.

(٢) التلاحي : التفاصم.

(٣) يريد بمراح : الأخذ بأسباب المرح واللّهو.

يحذر سعدا من خداع الإنجليز

قال سنة ١٩٢٤ يخاطب سعد زغلول من قصيدة له في تهنتته بنجاته من محاولة اغتياله وكان إذ ذاك معتزماً السفر إلى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية في القضية الوطنية:

| | |
|--|--|
| لا تقرب (التاميزَ) واحذر ماءه | مهما بدا لك أنه معسولٌ |
| الكيدُ ممزوجٌ بأصفى مائه | والختلُ ^(١) فيه مُدَوَّبٌ مصقول |
| كم واردٍ يا (سعدُ) قبلك مباءه | قد عاد منه وفي الفؤاد غليل ^(٢) |
| القومُ قد ملكوا عِنانَ زمانهم | ولهم روايات به وفصول |
| ولهم أحابيل ^(٣) إذا ألقوا بها | قنصوا الثَّيَّ أسيرهم مخبول |
| ولكل لفظٍ في المعاجم عندهم | معنى يقال بأنه معقول |
| نصَلت ^(٤) سياستهم وحال صباغها | ولكل كاذبة الخضابِ نُصول |
| جمعوا عقاير الدواء وركبوا | ما ركبوه وعندك التحليل |

حافظ والإنجليز وجها لوجه

في سنة ١٩٣٢ ساهم الإنجليز مع العناصر الرجعية في إلغاء الحياة الدستورية، وتظاهروا بأنهم على الحياد في هذه المحنة، مع أنهم مدبروها، وقد هاجمهم حافظ بقصائد رائعة نعى فيها عليهم بغيهم وعدوانهم، وكشف فيها الستار عن حيادهم الكاذب، وطعن على سياسة الاستعمار عامة، وأعاد بحملاته عليهم ذكرى قصائده الوطنية الخالدة التي نظمها في تمجيد الحركة الوطنية ومهاجمته الاحتلال في عهد مصطفى كامل ومحمد فريد.

قال في مارس سنة ١٩٣٢ مخاطباً الإنجليز مندداً بسياسة «الحياد» التي أعلنوها، ناعياً عليهم ظلمهم وإخلافهم وعودهم للأمة:

| | |
|---|---|
| بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ | فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمَامٌ ^(٥) |
| فَعَالَى أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا ^(٦) | وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامٌ |

(١) الختل: الخداع والمكر. (٥) النمام هنا الحق والحرمة.

(٢) الغليل: شدة العطش. (٦) القرن: النؤاية من الشعر.

(٣) الأحابيل: المصايد.

(٤) نصلت: انكشفت وخرجت من لونها الكاذب إلى لونها الحقيقي. وحال: تحول.

فليس لملك الظالمين دَوام
لما قام بين الأمنين خصام
وبعد الجروحِ الناعراتِ ^(١) وئام؟
فليس على باغى الحياة مَلام

أخاف عليكم عِثْرَةً بعد نهضة
أَضَعْتُمْ ودادًا لو رَعَيْتُمْ عهوده
أبعد «حيادٍ» لا راعى الله عهدَه
إذا كان في حسن التفاهم مَوْتُنَا

وقال في هذا المعنى:

فمصابكم ومصابنا سيان
أخلاقنا فتألم الشعبان

لاتذكروا الأخلاق بعد «حيادكم»
حاربتمو أخلاقكم لتحاربوا

وقال عن (الحياد الكاذب):

ت العهدَ نقض الغاصب
وأبنت ود الصاحب
س من «الحياد» الكاذب

قَصَرَ الدُّبَارَةَ قد نقض
أخفيت ما أضمرته
الحربُ أروحُ للنفو

وقال مخاطبًا السير برسى لورين المندوب السامى البريطانى وقتئذ، مندداً بحياد الإنجليز المصطنع:

تصيد البَطَّ بؤس العالمينا؟
من البلوى - ألم تسمع أنينا؟
وقد بعثوك مندوبًا أمينًا؟
وأصبح ظننا فيكم يقينا
وقد برح الخفاء محايدينا
لدى الجلي ^(٣) كرامًا صابرينا
تُطِيفَ عَنا ورغم القاسطينا ^(٤)
من النيران يُعَيى الدّارعينا

ألم تَرَ في الطريق إلى «كياد» ^(٢)
ألم تلمح دموعَ الناس تجرى
ألم تحبر بِنى «التاميز» عَنا
بأننا قد لمسنا الغدر لَمَسًا
كشفنا عن نواياكم فلستم
سنجمع أمرنا فترون منا
ونأخذ حقنا رغم العوادي
ضربتم حَوْلَ قادتنا نطاقًا

(١) الناعرات: الداميات.

(٢) بركة بمركز فاقوس بالشرقية كان المندوب السامى البريطانى يذهب إليها لصيد الطيور.

(٣) الجلى: النازلة الشديدة.

(٤) القاسطون: الظالمون.

عل رغم المروءة قد ظفرتم ولكن بالأسود مصفديننا
فهل يجديكم الأسطول نفعا إذا ما نازل الحق المبينا؟

وقال في هذا المعنى (ابريل سنة ١٩٣٢):

(إلى المحايدين)

| | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| أُمَحَايِدُ أَمْ حَائِدُ | عن منهج الحق المبين؟ |
| نَازِلَتْ شَعْبًا أَعَزَّلَا | بِمُدْرَعَيْنِ مَدَجَجِينِ |
| وَأَمْنَتَ عَقْبِي الظَّالِمِينَ | وَبَشَّ عَقْبِي الظَّالِمِينَ |
| مَهْمَا تُصِبُّ مِنَّا فَلَسْ | نَا الْجَاذِعِينَ الْيَائِسِينَ |
| إِنَّا بِجِبَارِ السَّمَاءِ | وَبِالْعَقِيدَةِ نَسْتَعِينِ |
| إِنَ الْعَقِيدَةِ لَا تَزِلْ | زِلْهَا حَرَابُ الْغَاصِبِينَ |
| فَلْتَنِ مَلَكْتِمَ يَوْمِكُمْ | لَفْدُ لَرِبِ الْعَالَمِينَ |
| أَأَمْنَتُوا صَرْفَ الزَّمِ | سَانِ وَفَتَكِهِ بِالْغَاشِمِينَ؟ |

| | |
|-------------------------------|---|
| كَمْ مِنْ قَوِيٍّ هَدَّهْ | كَيْدُ الضَّعِيفِ الْمُسْتَكِينِ |
| أَوْ لَمْ تَرَوْا مَا ذَاقَهُ | بِالْأَمْسِ ذِيَاكَ السَّجِينِ ^(١) |
| فِي (سَنَتِ هِيلِينَ) قَضَى | مِنْ دَوَّخِ الدُّنْيَا سَنِينَ |
| مَنْ كَانَ فِي غَارَاتِهِ | فِي الْكُونِ مَنَقَطَعَ الْقَرِينِ |
| أَمْسَى أَلَاتُّهُ الْخُطُوبِ | وَكَانَ صَلْبًا لَا يَلِينِ |
| أَوْ تَتَّقُونَ مَصِيرَهُ | أَمْ لَسْتُمْ بِالْمُنْتَقِينَ؟ |

| | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| ضُفْنَا بِكَيْدِ مُحَايِدِ | مَنْ لَنَا وَكَيْدِ مُبْشِرِ |
| ثَارُوا عَلَى دِينِ الْهُدَى | وَتَخَطَّفُوا بِنَا الْبَنِينَ |
| دَاسُوا الْعَرِينَ وَقَدْ خَلَا | مَنْ أَسَدُهُ ذَاكَ الْعَرِينَ |

(١) نابليون، وقد مات أسيرا سجيناً في جزيرة سنت هيلين.

خسر المبشر، إنَّ دين
الله حاميه وكافيه
الحق دين المسلمين
شُرورَ المعتدين

نحن والإنجليز وجهًا لوجه

وقال أيضًا:

قل للمحايد هل شهدت دمائنا
سفكت مودتنا لكم وبدالنا
إن المراحل شرُّها لا يُتقى
لم يبقَ فينا من يئى نفسه
أمن السياسة والمروءة أننا
إنَّا جمعنا للجهاد صفوفنا
تجرى وهل بعد الدماء سلام؟
أن الحياد على الخصام لثام
حتى ينفس كربهنَّ صمام
بودادكم فودادكم أحلام
نَشَقَى بكم في أرضنا ونُضام؟
سنموت أو نحى ونحن كرام

وقال في أبريل سنة ١٩٣٢ تحت عنوان (إلى الإنجليز)، وهى من أبلغ ما قيل في تحدى القوة الغاشمة والصمود أمام الشدائد مهما عظمت:

حَوَّلُوا النِّيلَ واحجبوا الضوءَ عنا
واملأوا البحرَ إن أردتم سفينةً
وأقيموا للعسف في كل شبرٍ
إننا لن نحول عن عهد مصرٍ
واطمسوا النجمَ واحرمونا النسيما
واملأوا الجو إن أردتم رُجومًا
(كونستبلا) بالسوط يَفْرِى الأديما^(١)
أو ترونا في التراب عظمًا رميما

عاصفٌ صانٌ مُلككم وحماكم
غال (أرمادة)^(٢) العدو ففرتم
فعدلتُم هنيهةً، وبَغَيْتُم
فشهدنا ظلمًا يقال له العد
فاتَّقوا غضبةَ العواصفِ إني
وكفاكم بالأمس خطبًا جسيما
وبلغتم في الشرق شأوا عظيمًا
وتركتُم في النيل عهدًا ذميما
لُ وودًا يسقى الحميم الحميما^(٣)
قد رأيت المصير أمسى وخيما

(١) يفري الأديم أن يشق الجلد.

(٢) الأرمادة هى الأسطول الأسباني الذى تحطم في القرن السادس عشر بعاصفة حالت بينه وبين مهاجمة الأسطول الإنجليزي الذى كان دونه قوة وعددا.

(٣) الحميم الأول الصديق، والحميم الثانى الشراب الشديد الحرارة.

وقال أيضًا (أبريل سنة ١٩٣٢):

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| لقد طال الحياءُ ولم تكفوا | أما أرضاُكم ثمنُ الحياءِ؟ |
| أخذتم كل ما تبغون منا | فما هذا التحكُّم في العباد؟ |
| بلونا شدةً منكم ولينا | فكان كلاهما ذرَّ الرِّماد |
| وسألتم وعاديتم زمانا | فلم يُغنِ المُسالم والمعادى |
| فليس وراءكم غير التَّجنى | وليس أماننا غير الجهاد |

وعود الانجليز في الجلاء

وقال في سنة ١٩٣٢ يندد بكتاب فرنسي زعم أن جلاء الإنجليز سيكون في أكتوبر من ذلك العام:

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| كم حددوا يوم الجلاء الذى | أصبح في الإيهام كالمحشر |
| وسن قوم الطيش من جهلهم | كذبة (إبريل لأكتوبر) |

حافظ وصدقى باشا

وقال في سنة ١٩٣٢ يندد بسياسة صدقى باشا رئيس الوزارة وقتئذ من قصيدة لم ينشر منها إلا النزر اليسير:

| | |
|-----------------------------------|--|
| قد مرَّ عامٌ يا سعادُ وعام | وابنُ الكنانة في حماء يضامُ |
| صَبُّوا البلاءَ على العباد فنصفهم | يجبى البلاد ونصفهم حكام |
| أشكو إلى (قصر الدبارة) ماجتى | (صدقى) الوزير وماجبى (علام) ^(١) |

ومنها في مخاطبة صدقى باشا:

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| ودعا عليك الله في محرابه | الشيخُ والقسيسُ والحاخام |
| لا همَّ أحمر ضميره ليذوقها | غصصًا وتنسف نفسه الآلام |

يكافح الاستعمار ويدعو إلى الفداء

قال في حرب طرابلس (سنة ١٩١١ - ١٩١٢) حين اعتدت إيطاليا على العرب يستحث أمم الشرق أن تنهض وتكافح الاستعمار، ويمجد التضحية في سبيل الحرية:

(١) محمد علام باشا، وكيل حزب اشعب الذى ألفه صدقى باشا. يشير إلى ما كانوا يجربونه من الأموال إعانة لحزب الشعب.

طَمَعُ أَلْقَى عَنِ الْغَرْبِ اللَّثَامَا
وَاحْمِلِي أَيْتَهَا الشَّمْسُ إِلَى
وَاشْهَدِي يَوْمَ التَّنَادِي^(١) أَنَّنَا
مَادَتِ الْأَرْضُ بِنَا حِينَ انْتَشَتْ
عَجَزَ الطَّلِيَانُ عَنْ أَبْطَالِنَا
كَبَلُوهُمْ، قَتَلُوهُمْ، مَثَلُوا
ذَبَحُوا الْأَشْيَاخَ وَالزَّمَنِي^(٢)، وَلَمْ
أَحْرِقُوا الدُّورَ، اسْتَحْلُوا كُلَّ مَا
بَارَكَ الْمَطْرَانُ فِي أَعْمَالِهِمْ
أَبْهَذَا جَاءَهُمْ أَنْجِيلُهُمْ
كَشَفُوا عَنْ نِيَّةِ الْغَرْبِ لَنَا
فَقَرَأْنَاهَا سَطُورًا مِنْ دَمٍ

وختم قصيدته بقوله :

فَاطْنِي أُمَمَ الشَّرْقِ وَلَا
إِنَّ فِي أَضْلَاعِنَا أَفْنَدَةً

فَاسْتَفِقْ يَا شَرْقُ وَاحْذَرُ أَنْ تَنَامَا !
كُلُّ مَنْ يَسْكُنُ فِي الشَّرْقِ السَّلَامَا
فِي سَبِيلِ الْحَقِّ قَدْ مِتْنَا كِرَامَا
مِنْ دَمِ الْقَتْلِ حَلَالًا وَحَرَامَا
فَاعْلُوا^(٣) مَنْ دَرَارِنَا الْحُسَامَا
بَذَوَاتِ الْحَذَرِ، طَاحُوا بِالْيَتَامَا
يَرْحَمُوا طِفْلًا، وَلَمْ يُقُوا غُلَامَا
حَرَمَتْ (لَاهَائِي) فِي الْعَهْدِ احْتِرَامَا
فَسَلُوهُ : بَارِكِ الْقَوْمَ عِلَامَا ؟
آمَرًا يُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ سِلَامَا ؟
وَجَلُّوا عَنْ أَفُقِ الشَّرْقِ الظَّلَامَا
أَقْسَمْتُ تَلْتَهُمُ الشَّرْقُ التَّهَامَا

تَقْنَطِي الْيَوْمَ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا
تَعَشُّ الْمَجْدَ، وَتَأْبِي أَنْ تُضَامَا

تمجيده للشورى

قال في عمريته المشهورة التي أنشأها في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب :

يَا رَافِعًا رَايَةَ الشُّورَى وَحَارِسَهَا
لَمْ يُلْهِكَ التَّنَزُّعُ عَنْ تَأْيِيدِ دَوْلَتِهَا^(٤)
لَمْ أُنْسَ أَمْرَكَ لِمَقْدَادٍ يَحْمِلُهُ
إِنْ ظَلَّ بَعْدَ ثَلَاثِ^(٥) رَأْيِهَا شُعْبَا
فَاعْجَبْ لِقُوَّةِ نَفْسٍ لَيْسَ يَصْرِفُهَا

(١) يوم القيامة.

(٢) بعد ثلاث، أي بعد ثلاث ليال. والهوادي : الأعناق.

(٣) أعلموا أي سقوا.

(٤) الزماني : ذؤ العاهات.

دَرَى عَمِيدُ بَنَى الشُّورَى بِمَوْضِعِهَا فَعَاشَ مَا عَاشَ يَبْنِيهَا وَيُعْلِيهَا
وَمَا اسْبَدَّ بِرَأْيِي فِي حُكُومَتِهِ إِنَّ الْحُكُومَةَ تُغْرَى مَسْتَبِدِّهَا
رَأَى الْجَمَاعَةَ لَا تَشْقَى الْبِلَادُ بِهِ رَغْمَ الْخِلَافِ وَرَأَى الْفَرْدَ يُشْقِيهَا

الاستمرار في الكفاح

قال سنة ١٩٢٤ يدعو إلى الاستمرار في الكفاح:

إِنَّا سَنَعْمَلُ لِلْخِلَاصِ وَلَا نَبِيَّ وَاللَّهِ يَقْضِي بَيْنَنَا وَيُذِيلُ^(١)
كَمْ دَوْلَةٍ شَهِدَ الصَّبَاحُ جَلَالَهَا وَأَقَى عَلَيْهَا اللَّيْلَ وَهِيَ قُلُوبُ
وَقُصُورِ قَوْمٍ زَاهِرَاتٍ فِي الدُّجَى طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ طُلُوبُ

يَأْيَا النُّشَّاءَ الْكِرَامَ تَحِيَّةً كَالرَّوْضِ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِ قَبُولُ^(٢)
يَا زَهَرَ مِصْرَ وَزَيْنَهَا وَمُحَاتَهَا مَذْحَى لَكُمْ بَعْدَ الرَّئِيسِ^(٣) فُضُولُ
جُدْتُمْ لَهَا بِالنَّفْسِ فِي وَرْدِ الصُّبَا وَالْوَرْدَ لَمْ يُنْظَرُ إِلَيْهِ ذُبُولُ
كَمْ مِنْ سَجِينٍ دُونَهَا وَمِجَاهِدٍ دُمُهُ عَلَى عَرَصَاتِهَا مَطْلُوبُ
سَيَرُوا عَلَى سَنَنِ الرَّئِيسِ وَحَقَّقُوا أَمَلَ الْبِلَادِ فَكُلُّكُمْ مَأْمُولُ
أَنْتُمْ رِجَالُ غَيْدٍ وَقَدْ أَوْفَى غَدُ فَاسْتَقْبِلُوهُ وَحَاجِّلُوهُ وَطُولُوا^(٤)

تقريره للمواطنين

وبلغ حثه المواطنين على النهوض حد التقرير أحياناً. وله سنة ١٩٠٤ قصيدة ينعى فيها على مواطنيه بعض عيوبهم الاجتماعية، وقد نظمها لمناسبة قضية شخصية ثار لها الرأي العام بغير موجب، إذ تزوج صاحب المؤيد المرحوم الشيخ على يوسف بكريمة السيد عبد الخالق السادات، فرفع هذا دعوى أمام المحكمة الشرعية طالباً فسخ عقد الزواج بحجة عدم الكفاءة في النسب، وانحاز الرأي العام إلى جانب المدعى، وأخذ القضاء بوجهة نظره رغم علو مكانة الشيخ على يوسف في الهيئة الاجتماعية، قال حافظ:

(١) يذيل، أى يعمل الدولة لنا عليهم.

(٢) القبول؛ ربح الصبا.

(٣) يقصد هنا سعد زغلول.

(٤) حجلوه، أى اجعلوه يوماً أبيض، وطولوا أى افخروا واعتزوا.

وَعَفْتُ الْبَيَانَ فَلَا تَعْتَبِي
وَلَا أَنْتِ بِالْبَلَدِ الطَّيِّبِ
أَقَالَ الْيِرَاعَ وَلَمْ يَكْتُبِ
فَقَدْ ضَاقَ مِنْكَ مَا ضَاقَ بِي
سَكُوتَ الْجَمَادِ وَلِعَبُّ الصَّبِيِّ؟
لَسَلْبِ الْحَقُوقِ وَلَمْ تَغْضَبِ

حَطَمْتُ الْيِرَاعَ فَلَا تَعْجَبِي
فَمَا أَنْتِ يَا مَصْرَ دَارَ الْأَدِيبِ
وَكَمْ فِيكَ يَا مَصْرَ مِنْ كَاتِبٍ
فَلَا تَعْذِلِينِي هَذَا السُّكُوتُ
أَيَعْجَبُنِي مِنْكَ يَوْمَ (الْوَفَاقِ)^(١)
وَكَمْ غَضَبَ النَّاسُ مِنْ قَبْلُنَا

مُجِدُّ بِمَصْرَ فَلَا تَلْعَبِي
وَلَلنَّشْرِ شَرٌّ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ
وَبَيْنَ الْمَسَاجِدِ مَثْوَى الْأَبِ؟
كَمَا قَالَ فِيهَا (أَبُو الطَّيِّبِ)^(٢)
وَنَحْنُ مِنَ اللَّهِوَ فِي مَلْعَبِ
فِرَارِ السَّلِيمِ مِنَ الْأَجْرَبِ
وَأُخْرَى تَشْنُ عَلَى الْأَقْرَبِ
وَيَدْعُو إِلَى ظِلِّهِ الْأَرْحَبِ
وَيُطْنِبُ فِي وَرْدِهِ الْأَعْذَبِ
عَلَى غَيْرِ قَصِيدٍ وَلَا مَأْرَبِ

أَنَابَةُ الْعَصْرِ إِنَّ الْغَرِيبَ
يَقُولُونَ: فِي النَّشْرِ خَيْرٌ لَنَا
أَفَى (الْأَرْبَكِيَّةِ) مَثْوَى الْبَنِينَ
(وَكَمْ ذَا بِمَصْرَ مِنَ الْمُضْحَكَاتِ)
أُمُورٌ تَمُرُّ وَعَيْشٌ يَمُرُّ^(٣)
وَشَعْبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالِحَاتِ
وَصُحُفٌ تَطْنُ طَنِينَ الذُّبَابِ
وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ الْأَمِيرِ
وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ السَّفِيرِ
وَهَذَا يَصِيحُ مَعَ الصَّائِحِينَ

رَمَاهُ بِهَا الطَّمْعُ الْأَشْعَبِي
فَجَنَّ جُنُونًا بِبَنْتِ النَّبِيِّ!
وَضَحَّ لَهَا الْقَبْرِ فِي (يَثْرِبِ)^(٤)
وَقَالُوا: تَلَوْنِ فِي الْمَشْرَبِ

وَقَالُوا: (الْمُؤَيَّدُ) فِي غَمْرَةٍ
دَعَاهُ الْغَرَامُ بِسَنِّ الْكُهُولِ
فَضَجَّ لَهَا الْعَرْشُ وَالْحَامِلُوهُ
وَنَادَى رَجَالٌ بِإِسْقَاطِهِ

(١) يقصد الاتفاق الذي عقد بين فرنسا وبريطانيا سنة ١٩٠٤ ويقتضاه أقرت فرنسا الاحتلال البريطاني لمصر.

(٢) يشير إلى قول أبي الطيب المتنبي: (وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء).

(٣) عيش يمر، أى يصير مرأ.

(٤) اسم قديم للمدينة المنورة.

وَعَدُّوا عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ أَلَوْفًا تَدُورُ مَعَ الْأَحْقَبِ
وَقَالُوا لَصِيقُ بَيْتِ الرَّسُولِ أَغَارَ عَلَى النَّسَبِ الْأَنْجَبِ
وَزَكَّى (أَبُو خَطُوءٍ) قَوْلَهُمْ بِحُكْمٍ أَحَدٌ مِنَ الْمَضْرَبِ
فَمَا لِلتَّهَانِ عَلَى دَارِهِ تَسَاقَطُ كَالْمَطَرِ الصَّيْبِ؟
وَمَا لِلْوَفُودِ عَلَى بَابِهِ تَزُفُّ الْبَشَائِرَ فِي مَوَكِبِ؟
وَمَا لِلخَلِيفَةِ أَسَدَى إِلَيْهِ وَسَامًا يَلِيقُ بِصَدْرِ الْأَبَى؟

* * *

فِيَا أُمَّةً ضَاقَ عَنْ وَصْفِهَا جَنَانُ الْمَفُوءِ وَالْأَخْطَبِ
تَضِيعُ الْحَقِيقَةَ مَا بَيْنَنَا وَيَضْلَى الْبَرَىءُ مَعَ الْمَذْنَبِ؟
وَيُهْظَمُ فِينَا الْإِمَامُ الْحَكِيمُ وَيُكْرَمُ فِينَا الْجَهْلُ الْغَبَى -

* * *

عَلَى الشَّرْقِ مَنَى سَلَامُ الْوَدُودِ وَإِنْ طَاطَأَ الشَّرْقُ لِلْمَغْرِبِ
لَقَدْ كَانَ خِصْبًا بِجَدْبِ الزَّمَانِ فَأَجْدَبَ فِي الزَّمَنِ الْمُخْصِبِ

شعره الاجتماعي

يزخر شعر حافظ بالاجتماعيات، فهو من هذه الناحية أغزر مادة وأعمق غورا من شوقي، ولا غرو فقد كان أكثر اتصالا بالطبقات الشعبية، وعانى ما تعانيه من الألم والحرمان، فصار أدق تصويرا لأحوالها وآلامها، وفي ذلك يقول بحق عن نفسه في قصيدته التي أنشدها بدار الأوبرا سنة ١٩١١ في حفلة جمعية رعاية الأطفال:

لَمْ أَقِفْ مَوْقِفِي لِأَنْشِدَ شِعْرًا صُبَّ فِي قَالِبِي بِدِيْعِ النَّظَامِ
إِنَّمَا قَمْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ تَشْوَى مِنْ كُؤُوسِ الْهَمُومِ وَالْقَلْبُ دَامَتِ
فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِظُ النَّأَى سَ عَلَى الْبَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامِ
دُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عَيْسًا دُونَ شُرْبِي قَدَاهُ شَرْبُ الْحِمَامِ^(١)
فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَانًا وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخُطُوبِ الْجِسَامِ
وَمَشَى الْهَمُّ ثَاقِبًا فِي فُؤَادِي وَمَشَى الْحُزْنُ نَاجِرًا فِي عِظَامِي

(١) الحمام الموت.

عطفه على منكوبي حريق ميت غمر

في سنة ١٩٠٢ شب حريق مروع في مدينة ميت غمر، وبقيت النار مشتعلة فيها عدة أيام، فدمرت كثيراً من دورها ومات في الحريق كثيرون؛ ولعظم النكبة تسابق أهل الخير في إعانة المنكوبين وإسعافهم، وفاضت أعمدة الصحف بأنباء ما أصابهم، وفي ذلك أنشأ حافظ قصيدته المشهورة في وصف هذه الكارثة والعطف على ضحاياها. قال:

| | |
|---|---|
| سائلوا الليل عنهم والنهارا | كيف باتت نساؤهم والعذارى؟ |
| كيف أمسى رضيعهم فقد الأ | م وكيف اصطلى مع القوم نارا؟ |
| كيف طاح العجوز تحت جدار | يتداعى وأسقف تتجاذى؟ |
| رب إن القضاء أنحي عليهم | فاكشف الكرب واحجب الأقدارا |
| ومر النار أن تكف أذاها | ومر الغيث أن يسيل انهمارا |
| أين طوفان صاحب الفلك يروى | هذه النار فهي تشكو الأوارا ^(١) |
| أشعلت فحمة الدجاجي فباتت | قلا الأرض والسماء شرارا |
| غشيتهم والنحس يجرى يمينا | ورمتهم والبؤس يجرى يسارا |
| فأغارت وأوجه القوم بيض | ثم غارت وقد كستهن قارا |
| أكلت دورهم قلا استقلت | لم تغادر صغارهم والكبارا |
| أخرجتهم من الديار غراة | حذر الموت يطلبون الفرارا |
| يلبسون الظلام حتى إذا ما | أقبل الصبح يلبسون النهارا |
| حلة لا تقيهم البرد والحد | ر ولا عنهم ترد الغبارا |
| أيها الرافلون في حلل الوش | سى ^(٢) يجرن للذيول افتخارا |
| إن فوق العراء قوما جاعا | يتوارون ذلة وانكسارا |
| أيها السجين ^(٣) لا يمنع السج | ن كريما من يقيل العثارا |
| مر بألف لهم وإن شئت زدها | وأجرهم كما أجرت النصارى |

(١) الأوار: شدة الحرارة والعطش.

(٢) حلل الوش الثياب المزركشة.

(٣) يقصد أحمد المنشاوي باشا المحسن وصاحب المبرات المعروفة.

قد شَهِدْنَا بِالْأُمْسِ فِي مِصْرَ عُرْسًا^(١) مَلَأَ الْعَيْنَ وَالْفُؤَادَ ابْتِهَارًا
سَأَلَ فِيهِ لِلنُّضَارِ حَتَّى حَسِبْنَا أَنْ ذَاكَ الْفِنَاءَ يَجْرَى نُضَارًا
بَاتَ فِيهِ الْمُتَنَعُّمُونَ بَلِيلٌ أَخْجَلَ الصُّبْحَ حُسْنُهُ فَتَوَارَى
يَكْتَسُونَ السَّرُورَ طَوْرًا وَطَوْرًا فِي يَدِ الْكَأْسِ يَخْلَعُونَ الْوَقَارَا
وَسَمِعْنَا فِي (مَيْتَ غَمْرٍ) صِيحًا مَلَأَ الْبِرَّ ضَجَّةً وَالْبَحَارَا

* * *

جَلُّ مِنْ قَسَمِ الْحَظوظِ، فَهَذَا يَتَغَنَّى وَذَاكَ يَبْكِي الدِّيَارَا
رُبَّ لَيْلٍ فِي الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْسًا وَسُعُودًا وَعُسْرَةً وَيَسَارَا!

الجامعة في سبيل الكفاح

وقال من قصيدة له في سنة ١٩٠٨ يدعو إلى معاضدة مشروع الجامعة المصرية.

حياكم الله أحيوا العلم والأدبا إِنْ تَنْشُرُوا الْعِلْمَ يَنْشُرْ فِيكُمْ الْعَرَبَا^(٢)
ولا حياة لكم إلا بجامعة تَكُونُ أُمَّا لَطُلَّابِ الْعِلْمِ وَأَبَا
تَبْنِي الرِّجَالَ وَتَبْنِي كُلَّ شَاهِقَةٍ مِنْ الْمَعَالِي وَتَبْنِي الْعِزَّ وَالْغَلْبَا
ضَعُوا الْقُلُوبَ أَسَاسًا. لَا أَقُولُ لَكُمْ ضَعُوا النُّضَارَ فَإِنِّي أَصْغُرُ الذَّهْبَا
وابنوا بأكبادكم سورًا لها ودُّعُوا قِيلَ الْعَدُوُّ فَإِنِّي أَعْرِفُ السَّبَبَا^(٣)
لا تَقْنَطُوا إِنْ قَرَأْتُمْ مَا يَزُوقُهُ ذَاكَ الْعَمِيدُ وَيَرْمِيكُمْ بِهِ غَضَبَا^(٤)
وراقبوا يومَ لَا تَغْنَى حَصَائِدُهُ فَكُلُّ حَيٍّ سَيُجْزَى بِالَّذِي اكْتَسَبَا^(٥)
بَنَى عَلَى الْإِفْكَ أَبْرَاجًا مُشِيدَةً فَأَبْنُوا عَلَى الْحَقِّ بُرْجًا يَنْطَحُ الشُّهُبَا
وجاوبوه بفعلٍ لَا يُقْوَضُهُ قَوْلُ الْمَفْنَدِ أَنِّي قَالِ أَوْ خَطْبَا
لَا تَهْجَعُوا إِنْهُمْ لَنْ يَهْجَعُوا أَبَدًا وَطَالِبُوهُمْ وَلَكِنْ أَتَجَلَّوْا الطُّلْبَا
وختمها بقوله:

إِنْ تُقَرِّضُوا اللَّهَ فِي أوطَانِكُمْ فَلَكُمْ أَجْرَ الْمُجَاهِدِ طَوْبِي لِلَّذِي اكْتَبَا

(١) يقصد عرس زواج (الأمير) حيدر فاضل من كريمة علي فهمي (باشا) سنة ١٩٠٢ وكان من أعظم المهرجانات.

(٢) أي يبعث فيكم مجد العرب.

(٣) (٤،٣) يشير إلى ما كان يقيمه المعتمد البريطاني من العقبات في سبيل إنشاء الجامعة.

(٥) حصائد أي حصائد الصيد أي ما يقوله لئني به العزائم عن مشروع الجامعة.

رعاية الأطفال

وألقي في إبريل سنة ١٩١٠ القصيدة الآتية في احتفال أقامته جمعية رعاية الأطفال يصف
بؤس أم فقيرة حامل وكيف لقيت الرعاية والإسعاف في مستشفى الجمعية:

| | |
|---|---|
| شَبَحًا أرى أم ذاك طَيْفُ خِيَال؟ | لا ، بل فتاة بالعرَاء حِيَالِ |
| أَمَسْتُ بِمَدْرَجَةِ الخُطُوبِ فما لها | راعٍ هناك وما لها مَنْ وإلى |
| حَسْرَى تكاد تُعيدُ فَحْمَةً لَيْلَهَا | نارا بأنات ذَكَيْن ^(١) طِوَالِ |
| ما خَطْبُهَا عَجَبًا، وما خطبى بها؟ | مالى أشاطرها الوجيعة مالى؟ |
| ذَانِيْتُهَا ولصوتها فى مَسْمَعِى | وَقَعَ النَّبَالُ عَطْفَنَ إِثْرَ نَبَالِ |
| وسألْتُها: من أنتِ؟ وهى كأنها | رَسَمٌ على طَلَلٍ من الأطلالِ |
| فَتَمَلَّمْتُ جَزَعًا وقالت: حَامِلٌ | لم تدرِ طعم الغمض منذ ليلالى |
| قد مات والدُها وماتت أمُها | وَمَضَى الحِمَامُ بِعَمَّهَا والخالِ |

| | |
|--|---|
| وإلى هنا حبس الحياء لسانها | وَجَرَى البُكَاءُ بِدَمْعِهَا الهَطَالِ |
| فَعَلِمْتُ مَا تُخْفِى الفتاةُ وإِنَّمَا | يَحْنُو على أمثالها أمثالِ |
| ووقفت أنظرُها كأنى عابِدُ | فى هَيْكَلٍ يَرْنُو إلى تمثالِ |
| ورأيتُ آياتِ الجمالِ تكفَّلْتُ | بزواهنٍ فوادِحُ الأثقالِ |
| لأشياء أفعَلُ فى النفوسِ كَقَامَةِ | هَبَفَاءِ رَوَّعِهَا الأَسَى بِهِزالِ |
| أوغادة كانت تُربِكُ إذا بَدَتْ | شمسُ النَّهارِ فأصْبَحَتْ كالآلِ ^(٢) |

| | |
|------------------------------------|---|
| قلت: انهضى قالت: أَيْنَهُضُ مُيْتُ | من قبره وَيَسِيرُ شُنْ بِالى ^(٣) |
| فحملتُ هَيْكَلَ عَظْمِهَا وكأَنِّى | حُمِلْتُ حينَ حُمِلْتُ عُودَ خَلالِ |

(١) ذكين، أى توقدن واشتعلن.

(٢) الآلُ السراب.

(٣) الشن. القربة الخلق البالية.

وطِفَقَتْ أَتَّهَبُ الْخَطَا مَتِيماً بِاللَّيْلِ (دار رعاية الأطفال)
أَمْشَى وَأَحْمَلُ بِائِسِينَ: فَطَارِقُ بَابُ الْحَيَاةِ وَمُؤَذِّنُ بَزْوَالٍ^(١)
أُبْكِيهِمَا وَكَأَنَّمَا أَنَا ثَالِثُ لَهَا مِنَ الْإِشْفَاقِ وَالْإِعْوَالِ^(٢)

* * *

وَطَرَقْتُ بَابَ الدَّارِ لَا مُتَّهِيَا أَحَدًا وَلَا مَتَرَقِّبًا لِسُؤَالِ
طَرَقَ الْمُسَافِرِ آبَ مِنْ أَسْفَارِهِ أَوْ طَرَقَ رَبَّ الدَّارِ غَيْرَ مُبَالِي
وَإِذَا بِأَصْوَاتٍ تَصِيحُ: أَلَا فَتَحُوا دَقَاتِ مَرَضَى مُدْلَجِينَ عَجَالِ
وَإِذَا بِأَيْدٍ طَاهِرَاتٍ عَوَّدَتْ صَنَعَ الْجَمِيلِ تَطَوَّعَتْ فِي الْحَالِ
جَاءَتْ تُسَابِقُ فِي الْمَبْرَةِ بَعْضُهَا بَعْضًا لَوَجْهِ اللَّهِ لِلْإِلْمَالِ
فَتَنَاولْتُ بِالرَّفَقِ مَا أَنَا حَامِلُ كَالْأُمِّ تَكْلَأُ طِفْلَهَا وَتُوَالِي
وَإِذَا الطَّبِيبُ مُشْمَرٌ وَإِذَا بِهَا فَوْقَ الْوَسَائِدِ فِي مَكَانٍ عَالِي
جَاءُوا بِأَنْوَاعِ الدَّوَاءِ وَطُوفُوا بِسَرِيرِ ضَيْقَتِهِمْ كِبْعُضِ الْآلِ
وَجِثَا الطَّبِيبِ يَجْسُ نَبْضًا خَافَتَا وَيَرُودُ مَكْمَنَ دَائِهَا الْقِتَالِ
لَمْ يَدْرِ حِينَ دَنَا لِيَلُو^(٣) قَلْبَهَا دَقَاتِ قَلْبِي أَمْ دَبِيبُ نِمَالِ؟

* * *

وَدَعَيْتُهَا وَتَرَكْتُهَا فِي أَهْلِهَا وَخَرَجْتُ مُنْشَرِّحًا رَضَى الْبَالِ
وَعَجَزْتُ عَنْ شُكْرِ الَّذِينَ تَجَرَّدُوا لِلْبَاقِيَاتِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
لَمْ يُخْجَلَوْهَا بِالسُّؤَالِ عَنْ اسْمِهَا تِلْكَ الْمَرْوَةِ وَالشَّعُورِ الْعَالِي
خَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الْأَنَامِ صَنِيعَةُ تَنْبُو بِحَامِلِهَا عَنِ الْإِذْلَالِ
وَإِذَا النَّوَالُ أَقَى وَلَمْ يُهْرَقْ لَهُ مَاءُ الْوَجْهِ فَذَاكَ خَيْرُ نَوَالِ
مِنْ جِيَادٍ مِنْ بَعْدِ السُّؤَالِ فَإِنَّهُ - وَهُوَ الْحَوَادُّ - يُعَدُّ فِي الْبُخَالِ

* * *

لَهُ دَرَاهِمٌ فَكَمْ مِنْ بَائِسٍ جَمُّ الْوَجِيعَةِ سَيِّءِ الْأَحْوَالِ

(١) طارق باب الحياة: الجنين. ويريد بالمؤذن بالزوال، أمه.

(٢) الإعوال، البكاء.

(٣) ييلو، أى يختبر.

ترمى به الدنيا فمن جوعٍ إلى
عينٍ مُسَهَّدةٍ وقلبٍ واجفٍ
لم يذر ناظره أعريانا يرى
فكأنَّ ناجِلَ جسمه في ثوبه
يا بَرْدُ فاحِملْ قد ظَفِرْتَ بأعزلٍ
يا عَيْنُ سَحَى يا قلوبَ تَفْطَرِي
لولا هُمُ لَقِضَى عليه شقاؤه
لولا هُمُ كان الرَّدَى وقفًا على

عُرَى إلى سُقْمٍ إلى إقلال
نَفْسٍ مُرَوَّعةٍ وجيبٍ خالى
أَمْ كاسِيًا في تَلْكَمِ الأَسْمالِ
خَلْفَ الخُروقِ يُطِلُّ من غُرْبالٍ
يا حَرُّ تَلْكَ فَرِيْسَةُ المُغْتالِ
يا نَفْسُ رَقَى يا مَرِوءَةً والى
وَحْلا المِجالِ لِخاطفِ الأَجالِ
نَفْسُ الفَقيرِ ثَقِيلَةُ الأَحْمالِ

* * *

لله دَرُّ الساهرين على الألى
القائمين بخير ما جاءت به
أَهْلُ اليَتيمِ وكهفه وحماته

سَهروا من الأوجاع والأوجال^(١)
مَدْنِيَّةُ الأديان والأجيال
وربيع أهل البؤس والإحمال^(٢)

* * *

لا تَهْمَلُوا في الصالحات فإنكم
إِنى أرى فقراءكم في حاجةٍ
فَتَسابِقُوا الخيرات فهي أمامكم
والمحسنون لهم على إحسانهم
وجزاء رب المحسنين يَجِلُّ عن

لا تَجْهَلُونَ عواقب الإهمال
- لا تَعْلَمُونَ - لِقائِلُ فَعَالٍ
مِيدانِ سَبَقِ للجِوادِ النَّالِ^(٣)
يَوْمَ الإِثابَةِ عَشْرَةُ الأَمْثالِ
عَدُّ وَعَنْ وَزْنٍ وَعَنْ مَكْيالِ

وقال في سنة ١٩١١ يدعو إلى العطف على البؤساء:

دَعْوَةُ البائِسِ المَعذَّبِ سُورٌ
وهى حَرْبٌ على البَخيلِ وذى البَغْ
إِنَّ هَذا الكَرِيمَ قد صان عِرْضِي

يَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْ حِياضِ الكَرامِ
سِى وَسَيْفٌ على رِقابِ اللُّثامِ
وَحِمائى من عاديّاتِ السِّقامِ

(١) الأوجال. المخاوف.

(٢) الإحمال. الجذب.

(٣) الجواد. الكريم. والنال. الكثير النائل وهو العطاء.

عَالَ طِفْلِي وَعَالَتِي وَحَبَانِي
وَهُوَ مِنْ مَعَشِرِ أَغَاثِ ذَوِي الْبُؤْ
وَأَقَامُوا لِلْبِرِّ دَارًا فَكَانَتْ
مُلِثَتْ رَحْمَةً وَفَاضَتْ حَنَانًا

إلى أن قال في الإحسان والزكاة:

قَدْ نَجَا الْمُنْعَمُ الْجَوَادُ مِنَ الْمَوْتِ
فَأُطْفِئْنَا بِهَا وَقَدْ مَلَأَ الْأَنْدُ
وَشَهْمُنَا ثَقُرَ الْوَفَاءِ تَجَلَّى
وَرَأَيْنَا شَخْصَ الْمَرْوَةِ وَالْب
وَعَلِمْنَا أَنَّ الزَّكَاةَ سَبِيلَ اللَّهِ
حَصَّهَا اللَّهُ فِي الْكِتَابِ بِذِكْرِ
بَدَأَتْ مَبْدَأُ الْيَقِينِ وَظَلَّتْ
لَوْ وَفَى بِالزَّكَاةِ مَنْ جَمَعَ الدُّنْ
مَاشِكَا الْجُوعِ مُعْدِمٌ أَوْ تَصَدَّى
رَاكِبًا رَأْسَهُ طَرِيدًا شَرِيدًا
سَائِلًا عَنْ وَصِيَّةِ اللَّهِ فِيهِ

ملجأ الحرية

ومن قصيدة له سنة ١٩١٩ في تحية ملجأ الحرية، وفيها يهيب بالأثرياء أن يبروا الأيتام والفقراء، ويشير إلى يقظة الأمة سنة ١٩١٩ وما أحدثته الثورة في النفوس من التطلع إلى المثل العليا.

أَيُّهَا الطِّفْلُ لَكَ الْبُشْرَى فَقَدْ
قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا أَنْ نُنْشَرَ^(١)
وَأَبَى سَبْحَانَهُ أَنْ تُقْبَرَا
تَبْكُ عَيْنَاكَ إِذَا خَطَبُ عَرَا^(٢)

(١) نشر: أي نحيا ونبعث.

(٢) عرا: ألم ونزل.

حيث تأوى خاطِرٌ لن يُكسراً
بين أترابك عيشاً أنضراً

لك عند البرِّ في ملجئه
حيث تلقى فيه حَدْباً وترى

تاب عن آثامه واستغفرا
- إن أتى عارِفَةً^(١) - أن يظْهرا
وهو لا يرغبُ في أن يُشْكرا
مِحْنَةً عمت ومقدارٌ جَرى
وأرادتنا على أن نُقْهرا
بركوب الحَزْمِ حتَّى نَظْفِرا
فَغَدَوْنَا قُوَّةً لَا تُزْدَرى
كان قبل اليوم مُنْفَكَّ العِرا
ذاد عن أجفانه سرح الكرى
أن يشيدوا مجدها فوق الذُّرا

لاتسى ظننا بئرينا فقد
كان بالأُمس وأقضى هه
فقدنا اليوم يُواسى شعبه
نَبَّهتْ عاطفة البرِّ به
جَمَعْتَنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ
فتعاهدنا على دَفْعِ الأذى
وتواصينا بصبر بيننا
أَنْشَرْتُ^(٢) فِي مِصرَ شَعْبًا صَالِحًا
كم محبِّ هائمٍ في حبِّها
وشبابٍ وكهولٍ أقسموا

آن أن يُعْمَلَ كُلُّ ما يَرى
أو نقاباتٍ لَزُرَاعِ القُرى
وهو ذو مَقْدَرَةٍ أو قَصْرا
جئت للأيدي له مُسْتَمْطِرا
أنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الفِرا
بات محروماً يتيماً معسِرا؟
ربما أَطْلَعْتَ بَدْرًا نَيِّرا
يُحْكِمُ القَوْلَ وَيَرْقى المنبرا
مَنْ حَمَى الدُّيْنَ وَزَانَ (الأزْهرا)
مثل (شوقى) نابهاً بين الوَرى
يدخل الغِيلَ على أَسَدِ الشَّرَى^(٣)

يارجالَ الجِدِّ هذا وقته
ملجأً أو مصرفاً أو مصنعا
أنا لا أعذر منكم من وَفَى
فابدءوا بالملجأ الحرِّ الذى
واكفلوا الأيتام فيه واعلموا
أبها المثرى! أَلَّا تَكْفُلَ مَنْ
أنت ما يُدريك لو أنبئته
ربما أَطْلَعْتَ (سعداً) آخِراً
ربما أَطْلَعْتَ مِنْهُ (عَبْدَه)
ربما أَطْلَعْتَ مِنْهُ شاعراً
ربما أَطْلَعْتَ مِنْهُ فارساً

(١) العارفة: العطية والمعروف.

(٢) أنشرت، أى أحييت.

(٣) الغيل: الشجر الكثير اللثف تأوى إليه الأسود، والشرى: مأسدة جانب الفرات بضرب بأسداها المثل.

كم طوى البؤس نفوساً لورعت منبتاً خصباً لكانت جوهراً
كم قضى العدم على موهبة فتوارت تحت أطباق الثرى

كلُّ من أحيَا يتيها ضائعاً حسبه من ربِّه أن يؤجراً
إنما تُحمَد عُقبَى أمره من لأخراه بدُنياه اشترى

جمعية إعانة العميان

وقال في سنة ١٩١٦ في احتفال أقامته جمعية إعانة العميان:

إن حق الضَّير عند ذوى الأبد صار حقٌ مستوجب التَّقديس
لم يضره فقْدانه نُور عينيهِ له إذا اعتاض عنها بَأْنيس
آنسوا نفسه إذا أظلم العيْ شش بعلم فالعلم أنس النفوس
وجَّهوه إلى الفلاح يُفدكم فوق ما يستفيد من دروس
أكملوا نقْصه يكن عبقرِياً مثل (طه) مُبرِّزاً في الطُّروس
كم رأينا من أكمهٍ لأيجارى وضريرٍ يرجى ليوم عبوس
لم تقف آفة العيون حجازاً بين وثباته وبين الشموس
عَدِمَ الحِسَّ قائداً فحداه هدىً وجدانه إلى المحسوس
مثل هذا إذا تعلم أغنى عن كثير وجاءنا بالنفيس
ذاك أنَّ الذكاء والحُفْظَ حَلًّا في جوارِ النهى بتلك الرؤوس
فعلى كلِّ أكمهٍ وبصير شكر أعضاءكم وشكر الرئيس

المال والعلم والأخلاق

قال سنة ١٩٢١ باسم مصر، قصيدته - مصر تتحدث عن نفسها -:

وارفعوا دولتى على العلم والأخلا ق فالعلم وحده ليس يجدى

وقال سنة ١٩١٠ من قصيدة له (ص ١٢٦) في الحث على إعانة مدرسة للبنات ببورسعيد:

كم ذا يُكابِدُ عاشقٌ ويلاتى فى حُبِّ مضر كثيرة العُشاق
إنى لأجملُ فى هَواك صَبَابَةً يامِصراً قد خَرَجَتْ عن الأطواق

هَلَفَى عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكَ طَلِيقَةً
كَهْلَفُ بِمَحْمُودِ الْخِلَالِ مُتَيِّمٌ
إِنِّي لَتَطْرُبُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةً
وَتَهْزُنِي ذِكْرِي الْمَرْوَةَ وَالنَّدَى

* * *

فَإِذَا رَزَقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً
فَالنَّاسَ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا
وَالْمَالُ إِنَّمَا لَمْ تَدْخُرْهُ مُحْصَنًا
وَالْعِلْمُ إِنَّمَا لَمْ تَكْتَفِهِ شَمَائِلُ
لَا تَحْسِبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ
فَقَدْ اصْطَفَاكَ مُقْسِمُ الْأَرْزَاقِ
عَلَّمَ وَذَاكَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
بِالْعِلْمِ كَانَ نَهَايَةَ الْإِمْلَاقِ^(١)
تُعْلِيهِ كَانَ مَطْيَةَ الْإِخْفَاقِ
مَا لَمْ يُتَوَجَّ رَبُّهُ بِخِلَاقِ^(٢)

فضل المرأة على المجتمع

وقال في هذه القصيدة ينوه بفضل المرأة في المجتمع:

مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ؟ فَإِنَّهَا
الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أُعِدَّتْهَا
الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَ الْحَيَا^(٤)
الْأُمُّ أَسْتَاذُ الْأَسَاتِذَةِ الْأَلَى
فِي الشَّرْقِ. عَلَّةٌ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ
أَعْدَدَتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ^(٣)
بِالرَّيِّ أَوْرَقَ أَيْمَاءِ إِيرَاقِ
شَغَلَتْ مَأَثَرَهُمْ مَدَى الْآفَاقِ

* * *

أَنَا لَا أَقُولُ دَعَاؤُا النِّسَاءِ سَوَافِرًا
يَدْرُجْنَ حَيْثُ أُرْدَنَ لَا مِنْ وَازِعٍ
يَفْعَلْنَ أَفْعَالُ الرِّجَالِ لَوَاهِيَا
فِي دَوْرِهِنَّ شَتَوْنَهُنَّ كَثِيرَةً
بَيْنَ الرِّجَالِ يَجْلُنَ فِي الْأَسْوَاقِ
يَحْذَرْنَ رَقَبَتَهُ وَلَا مِنْ وَافِي
عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِسِ الْأَحْدَاقِ
كَشُّونَ رَبَّ السِّيفِ الْمَزْرَاقِ^(٥)

(١) الإملاق: الفقر.

(٢) الخلاق: النصب من الخير والصلاح.

(٣) الأعراق: الأصول، الواحد عرق.

(٤) الحيا: المطر.

(٥) المزراق: الريح.

كَلَّا وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا
لَيْسَتْ نَسَاؤُكُمْ حِلِّيَّ وَجَوهًا
لَيْسَتْ نَسَاؤُكُمْ أَثَاءً يُقْتَنَى
تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا
فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصَفُوا
رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا
وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتَكُمْ
فِي الْحُجُبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِرْهَاقِ
خُوفِ الضِّيَاعِ تَصَانٌ فِي الْإِحْقَاقِ
فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِعِ وَطَبَاقِ
دَوْلًا وَهَنَ عَلَى الْجُمُودِ بِوَأَقَى
فَالشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ
فِي الْمَوْقِفِينَ لَهُنَّ خَيْرٌ وَثَاقِ
نُورُ الْهُدَى وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِ

المناصب والفضائل

من قوله في رثائه لمحمود سامي البارودي:

إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزْلِ وَتَوَلِيَّةٍ غَيْرِ الْمَوَاهِبِ فِي ذِكْرِ وَتَخْلِيدِ

ومات حافظ سنة ١٩٣٢ بعد أن خلف لمصر والشرق ذخيرة من الوطنية وكنوزا من الشعر والحكمة والأخلاق لا تفتنى ولا تنفد على مر الزمان.

خليل مطران

مشاعر الحرية

١٨٧٢ - ١٩٤٩



شاعر الحرية والعروبة، حمل لواء التجديد في الشعر،
نيفا ونصف قرن من الزمان، بلغ الذروة في عالم الشعر
والفن والبلاغة والخيال.

ولد سنة ١٨٧٢ في بعلبك إحدى المدن الشهيرة بלבنا،
ونشأ نزاعاً إلى الحرية سمح النفس، كريم الخلق، صفى
السريّة، محباً للخير، وديعاً في شمم وإباء، معتزاً بكرامته،
عيوقاً عن الصغائر.

ضاق صدره منذ صباه بجو يضغط على حرية الرأي
والفكر، فارتحل إلى باريس يتم فيها دراسته وعلومه،
وهناك ارتوى من مناهل الآداب الغربية، وإذ كانت
شاعريته وليدة فطرته وسليقته، فقد اتجهت نفسه بتأثير الأدب الفرنسي إلى التجديد في شعره،
فجمع بين البلاغة العربية والأساليب والمعاني الأوروبية.

ثم هاجر إلى مصر، واتخذها موطنه الثاني، بل موطنه المختار.
أخلص لها، وغرّد في أكنافها، وتعشق نيلها وأرضها وساءها، وهو ثالث الثلاثة الذين عاشوا
معا وانتتهت إليهم زعامة الشعر في العصر الحديث: شوقي وحافظ ومطران.
ألهمه حب الحرية نظم القصائد الرائعة في تمجيدها والذود عنها، والجهاد في سبيلها، فكان من
أعلامها الخالدين.

كان إنساناً في شخصه وفي أخلاقه وفي شعره وأدبه.
كان في شعره ينشد الكمال، ويخلق في أجواء الحرية والوطنية.
كان يستلهم شعره من المثل العليا، وفي ذلك يقول عن نفسه في الاحتفال ببوبيله الذهبي
سنة ١٩٤٨.

كان في الشعر لى مرأى خطير فَعَدَا طَوْقِي الْمَرَامُ الْخَطِيرُ
هائم في الوجود أسأله الوح سى كما يسأل الغنى الفقيرُ
أكبروفى ولست أكبر نفسى أنا فى الفن مستفيد صغير
لا يَضِقُّ صدرُ شاعر بأخيه يكره الفضلُ أن تضيق الصدور
والسمارات لو تأملتَ فيها ليس تُحصى شمسُها والبدورُ
كل جرم يعلو ويصبح نجما فله حَيْرٌ وفيه بدور
والنجوم التى تلوح وتُخَفَى رَبَوَاتٌ وما يضيق الأثير

وبهذه الروح العالية، والنفس الصافية، والود الخالص، والإيثار والأريحية، عاش محبوباً من معاصريه: يحبه ويحبونه، وينشد لهم الخير والكمال.

وقد أرخ في شعره الوطنى العذب مراحل النهضة المصرية والشرقية، وسجل حوادثها ووقائعها، وترجم لرجالها وأشخاصها، وغذى بقصائده الروح الوطنية جيلاً بعد جيل.

يمتاز شعره بسعة الخيال وجمال التصوير وبلاغة التعبير، هذا إلى اقتباسه من آداب اللغة الفرنسية التى درسها وتمكن منها تمكنه من آداب اللغ العربية، فجمع بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية، وهو زعيم مدرسة التجديد فى الشعر العربى، وسار على نهجه تلاميذه ومريدوه.

وقد عبر أبلغ تعبير وأرقه عن منهج التجديد فى شعره، بقوله فى مقدمة الطبعة الثانية لديوانه سنة ١٩٤٨ قال:

«هذا شعرى، وفيه كل شعورى، هو شعر الحياة والحقيقة والخيال، نظمته فى مختلف الآونة التى تخللت فيها عن العمل لرزقى، نظمته مصبحاً وممسيّاً، منفرداً ومتحدثاً مع عشرائى، وقيدت فيه زفرائى وأحلامى، وسجلت بقوافيه أحداث زمانى وبيئتى فى دقة واستيفاء.

«أتابع السابقين فى الاحتفاظ بأصول اللغة، وعدم لتفريط فيها، واستيحاء الفطرة الصحيحة، وأتوسع فى مذاهب البيان مجارة لما اقتضاه العصر، كما فعل العرب من قبلى، أما الأمنية الكبرى التى كانت تجيش بى، فهى أن أدخل كل جديد فى شعرنا العربى بحيث لا ينكره، وأن أستطيع إقناع الجامدين بأن لغتنا أم اللغات إذا حفظت وخدمت حق خدمتها، ففيها ضروب الكفاية لتجارى كل لغة قديمة وحديثة فى التعبير عن الدقائق والجلائل من أغراض الفنون، وإنى لأرجو أن يرى المطلعون على هذا الجزء الثانى وما يليه من أجزاء (ديوان الخليل) مصداقاً لدعواى».

وقال عنه صنوه وصديقه حافظ يشيد بنزعتة في التجديد:

«هو في طليعة أولئك الذين خرجوا من أفق التقليد وصدعوا قيود التقييد، وأوسعوا صدر الشعر العربي للخيال الأعجمي، وأفسحوا فيه للقصص وتصوير الحوادث، وطوّفوا بسرد وقائع التاريخ، ففتح بذلك فتحة جديداً شتّى فيه الغارة على أهل الحفاظ والتمسك».

وكان من أركان المسرح العربي بما كتب لهذا المسرح وعرب، فقد ترجم ليالى البفريد دى موسى، ورواية هرناني لفكتور هيجو، كما ترجم لكورنيل مسرحيات (السيد) وسينا وبوليكت، وترجم روايات شكسبير: هاملت، ومكبث، وعطيل، وتاجر البندقية.

النهضة العربية

قال سنة ١٩٠٨ يحيى نهضة الشعوب العربية:

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| داع إلى العهد الجديد دعاك | فاستأنفى في الخافقين علاك |
| يا أمة العرب التي هي أمنا | أئى الفخار نمتته ونماك؟ |
| يمضى الزمان وتنقضى أحداثه | وهواك منا في القلوب هواك |
| إننا نقاضى الدهر في أحسابنا | بالرأى لا بالصّارم الفتاك |
| وملاك شيمتنا الوفا فائنه | لسعادة الأقوام خير ملاك |
| آمالنا آلامنا أرواحنا | أشباحنا يوم الفداء فداك |
| بالعلم ننشر ما انطوى من مجدنا | وبه نزكى في الورى ذكراك |

مطران ومصطفى كامل

كان بينه وبين الزعيم مصطفى كامل صداقة وود داما طول العمر، كان مؤيدا لدعوته نصيراً لرسالته، دافع عنها في حياة مصطفى، وظل وفيها لها بعد وفاته، ويبدو مبلغ إعجابه به وتقديره لعبقريته في قصيدته التي أنشدها سنة ١٩٠٨ في حفلة الأربعين لوفاته، وقد نشرها في ديوانه وصدرها في طبعته الأولى بهذه الكلمة التي تعد في ذاتها قصيدة من النثر المنظوم، قال: «مصاب الشرق في رجله المفرد، وبطله الأوحّد، مصطفى باشا كامل، أيتها الروح العزيزة! إن في هذا الديوان الذى اختتمه برثائك، نفحات من نفحاتك، ودعوات من دعائك، فى هيكلك المدفون بالتكريم تحية الأخ المخلص للأخ الحميم، ووداع المجاهد المتطوّع للقائد العظيم».

وجعل عنوان القصيدة (حق الوطن وحق الإخاء) قال:

أعلى مكانتك الإلهُ وشرِّفا
اليوم فُزت بأجر ما أسلفتُ
وجزيت من فاني الوجود بخالد
فانعم بطيب جواره يا (مصطفى)
خيرًا، وكلُّ واجدٍ ما أسلفا
ومن الأسى الماضى بقتيل الصفا

* * *

أعظمَّ يومك في الزمان ومن له
حيث الوفود من الملائك أقبلوا
وتحملوك على الأشعة وارتقوا
فسودت وردك في الخلود منعما
لم تُلف قبلك أمة في مشهد
يمشون من حول الجنازة ضائقا
متثاقلين من الوقار وإنما
بحر من الأحياء نعشك فوقه
يبكون في آثاره العلم الذي
بك واصفاً ذاك الجلال فيوصفا
حافين حولك في السرير وعكفا
سرباً يجوز بك الدارارى موجفا
والأرض مائدة عليك تأسفا
يذرو الرجال به المدامع ذرفا
بهم الرحيب من المسالك مصرفا
ساروا بطيف ناحل أو أنحفا
فلك يظلل اللواء مرفوفا
آثاره من رفعة لا تُقتفى

* * *

سعت الخواير حاسراتٍ والأسى
ولئن سفرن ولم يخلن فإنه
فزع الشباب إلى الشيوخ بثأرهم
ومن الغضاضة أن دعا داعى العلا
جزع النصارى واليهود لمسلم
بگوا المرجى في خلاف عارضٍ
واشتد رزء المسلمين وحزنهم
ملق على الأبصار سثرا أغدفا
خطب الآن برؤعه صم الصفا
من دمعهم إن خانهم متكفكفا
بعد الفقيدفق بهم فتوقفنا
هو خير من والى وأوفى من وفى
ليزيل ذاك العارض المتكشفا
لما مضيت ولست فيهم تخلفنا

* * *

من بعد كاتبهم وبعد خطيبهم
من يرى الإسلام من ثم العدى
يبدى لأعين جاهليه فضله
يعلى لهم صوتا وينشر مصحفها؟
ويرد نقد الناقدين مزيفا؟
ويزيل ما يلد التاكُر من جفا

همّاً تعيد له المقام الأشرفا
سُمرّاً تهزُّ لكل خطيِّ معطفها
ليذود عنه خصمه المتعسفا
فلقد تجاوزت الهدى متفلسفا
أَيكون منقصة لها أن تُكسفا؟
يثنى أشعتها إلى أن يُكشفا
للعالمين ورادعاً ومثقفها
أن قصر الأقوام عنه فأخلفها
أن خالفوه فما استحال ولا انتفى
لنابها هذا الرقيُّ مُسلِّفا
ومنى الساحة عوده مستأنفا
والشرُّ كل الشر أن يتخلفا
بين العناصر أويهن ويضعفا
سَقَمٌ ولم يُتلاف عَمٌّ وأتلفا
بسلامة الإسلام وهي لها ينقفا
أرضت خبيراً بالحياة ومنصفها
حقُّ الإبانة هل تبالى مرجفا؟
حتى أنار الكون منها مُشْرِفا

ويثير من غضب الغضاب لمجديه
لكن من أقلام جنيدك حوله
ولعل حُرّاً لا يدين به انبرى
قف أيها الناعى عليه جموده
إن يعتر الشمس الكسوف هنيهة
وهل الكسوف سوى تعرض حائل
لم تنزل الأديان إلا هاديا
بشعار حتى على الفلاح وما بها
وبكل أمر موجب إصلاحهم
قد كان للإسلام عهدٌ باهر
ملاً البلاد إنارة وحضارة
فالخير كل الخير فيه مقبلاً
يدعو البقاء إلى التكافؤ بالقوى
والخلق جسمٌ إن ألم ببعضه
بشرى البرية بعد مُزمن دائها
إن أغضبت تلك السلامة جائراً
يا من نهضت بنصره وأبنته
مازلت في مصر تقيم مناره

* * *

وأرى ترابك من حنين قد هفا
وكأننى بك مُوشِك أن تهتفا
بأعز منك ولم تعز بأحصفا
في الحالتين ملايناً ومعنففا
بصبيب دمعك جارياً مستنزفا
متصدراً لرماتها مستهدففا
ومنى لتكفيها المغير المجحففا

مصر العزيزة قد ذكرت لك اسمها
وكأننى بالقبر أصبح منبراً
مصرُ التي لم تحظ من نجائها
مصرُ التي لم تبغ إلا نفعها
مصرُ التي غسلت يداك جراحها
مصرُ التي كافحت لدُّعْداتها
مصرُ التي سقت الجيوش مناقبا

بلغ الفداء نزاهةً وتعففاً
من شملها ما لم يكن ليؤلفاً
لو لم يضافرُها رداك فيُسعفاً
شعبٌ يعزّ بنفسه مستنصفاً

مصرُ التي أحبتها الحبُّ الذي
حتى مضيتَ كما ابتغيتَ مؤلفاً
أمنيةً أعييتَ خلالها دونها
وهي التي لو قُسمت لَنما بها

بالحق لا شكساً ولا متصفاً
يُعيى الحكيمُ مدبراً ومصرفاً
فيه مهيب الطبع والمستظرفاً
يُجدي البلادَ فتبتغيه مُلحقاً
تهوى ومعطاءً لغيرك مُسرفاً
بما تقول ولا تعاهدُ مُخلفاً

من كان أجراً منك يوم كريمةٍ
من كان أقدرَ منك تصريفاً لما
من كان أطهرَ منك خُلُقاً جامعاً
من كان أزهدَ منك إلا في الذي
من كان أسمعَ منك مناعاً لما
من كان أصدقَ منك لامتصلاً

على اللواء حمى المروءة والوفاء
أغدت معالمهنّ قاعاً صفصفاً
ورجائه كذبَ النعوى وأرجفاً
ملء الوجودَ به وبصبح قد عفاً
بك في جهادك أو أشد وأشففاً
عن مصر تضربُ في البلاد مطوّفاً
بضوء الطريق وتدفع المتخلفاً
همماً وتوشك أن تطمّ فتجرفاً
ويكاد يعزّف كلُّ حرف معزفاً
فهو التسيم وقد ذكا وتلطفاً
نقش المداد رسومها وتخففاً
وتعاف تحلية لئلا تكشففاً
تلك النفوس مروّعا ومشففاً
ذكرى وعرفنا الحياة لنعرفا

لهفى على فخر الصبى هادى النهى
يا من نعى تلك الفضائل والعلّى
لألا وحقك يا شهيد وفائه
ما أنت بالرجل الذى يسى وقد
إنى أراك ولا تزال كعهدنا
ثابر على تلك العزائم ذائداً
أصدر صحائفك التي تحيى بها
تجرى بها الأنهار وهى دوافقُ
وتكاد أسطرها تهب نواطقاً
فإذا حنوت على الحمى متحبيّاً
وكأنما الألفاظ ما خففتُ
تُستام من أثوابها أرواحها
قم للخطابة في المجامع واملك
أعد القديم من الممالك والقرى

شَدُّ عَزَائِمِنَا وَقَاتِلُ ضَعْفِنَا
 مَا هَذِهِ الْآيَاتُ يَرْمِي لَفْظُهَا
 مَا ذَلِكَ التَّرْصِيعُ لَيْسَ مَرَّصَعًا
 وَحَيَّ بِأَهْجِيَةٍ إِذْ مَا أَطْلَقْتُ
 تُحْيِي حَرَارَتَهَا وَيَهْدِي نَوْرَهَا
 تَاللَّهِ مَا أَنْتَ الْخَطِيبُ وَإِنَّمَا
 عَنْ نَطْقِهِ تَقَعُ الصُّرُوفُ مَوَاعِظًا

* * *

يَا حَبِذَا لَوْ كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَزَلْ
 وَالْآنَ نَحْنُ لَدَى ثَرَاكَ نَحْجُّهُ
 نَتْنِي وَهَلْ يَوْفَى ثَنَاؤُكَ حَقَّهُ
 مَاذَا يُعِيضُكَ مِنْ شَبَابِكَ نَظْمُنَا
 وَيُعِيضُ مِنْكَ وَكُنْتَ جَوْهَرَةَ الْحَمَى
 لَكِنَّهُ حُلُمٌ مَضَى مُسْتَطَرَفَا
 مَتْلَهَبِينَ تَشْوَقَا وَتَشَوْفَا
 وَبَأَى أَلْفَاظَ الْمَحَامِدِ يُكْتَفَى
 فَيْكَ الرِّثَاءَ مَنْسَقَا وَمَصْفَا
 صَوِّغُ الْكَلَامِ مَرَّصَعًا وَمَزْخَرَفَا

* * *

يَا أَخْلَصَ الْخُلَصَاءِ أَبْكِي بُعْدَهُ
 هَذَا مِثَالُكَ لَاحَ يَرَعَانَا وَقَدْ
 جَادَ الْهَلَالُ بِرَسْمِهِ تَاجًا لَهُ
 يَا مَنْ رَمَاهُ عُدَاتُهُ بِتَطْرِفِ
 كَهْوَاكَ لِلْأَوْطَانِ فَلْيَكُنِ الْهُوَى
 يَجْرِي عَلَى قَدْرِ الْمَطَالِبِ تَامِيَا
 أَنْشَأَتْ مِنْ مِصْرَ الشَّتَاتِ بِفَضْلِهِ
 أَحْدَثَتْ فِيهَا أُمَّةً أُنْدَى يَدَا
 عَرَفَتْ أَهْلِيهَا حَقِيقَةَ قَدْرِهِمْ
 نَفَحَاتُ رُوحِكَ خَامَرَتْ أَرْوَاحَهُمْ
 حِصْنٌ أَشْمٌ تَسَانَدَتْ أَجْزَاؤُهُ
 كَيْكَاءُ مِصْرَ تَحَرَّقَا وَتَلَهَفَا
 كَشَفَ الْجَوَى عَنْهُ الْحِجَابَ فَأَشْرَفَا
 وَكَسَتْهُ نَاسِجَةُ الطَّهَارَةِ مُطَرَفَا
 حَقَّقَتْ آمَالَ الْهُدَى مُتَطَرَفَا
 لَا مِفْتَاحَ فِيهِ وَلَا مِتْكَلْفَا
 وَيَجَلُّ فِي مَجْرَاهُ عَنْ أَنْ يَصْدِفَا
 مِصْرَ الْفِتْنَةِ حِمَى يُعِزُّ وَمَأَلَفَا
 لِلصَّالِحَاتِ وَبِالْعِظَائِمِ أَكَلَفَا
 وَكَفَاهُمْ مِنْ قَدْرِهِمْ أَنْ يُعْرِفَا
 فَهَمْ مَرَامُكَ سَاءَ دَهْرٌ أَوْ صَفَا
 عِلْمًا وَأَمْنَهُ النَّهْيُ أَنْ يُنْسَفَا

فارقُذْ رقادَكَ إن ربك قد محا بك ذنْبَ مصر كما رجوتْ وقد عفا

وله في سنة ١٩٣٣ قصيدة عصاء ألقاها لمناسبة مرور عام على وفاة حافظ إبراهيم، ضمنها وصفاً رائعا للنهضة القومية التي كونت حافظا، وجعلته الشاعر المطبوع المترجم عن آملها وآملها، وكيف أن هذه النهضة هي غرس مصطفى كامل، وكيف تعهدا بجهاده إلى أن مات، وبموته كانت الآية التي تم بها استقرارها، قال فيها:

| | |
|--|---|
| طرأتْ حالةٌ تيقِّظُ فيها | لدعاة الهدى ضمير السواد ^(١) |
| فإذا (حافظ) وقد بثَّ ما في | نفسه من تجهم واربداد |
| وبدا للمنى الجلائلِ فيها | أفقٌ واسع المدى لارتداد |
| ما تجلَّى نبوغه كتجليه | وقد هبَّ (مصطفى) للجهاد |
| يوم نادى الفتى العظيم فليئى | من نَبَا ^(٢) قبله بصوت المنادى |
| وَوَرَى ^(٣) ذلك الشعور الذى كا | ن كميناً كالنار تحت الرماد |
| فتأتى بعد القنوط الدُّجوج | سَيَّ ^(٤) رجاءٌ للشاعر المجواد |
| مس منه السواد فانبجست نا | ر ونور من طيَّ ذاك السواد |
| أكبر الدهرُ وثبةً وثبتها | مصرُ مفتكة من الأصفاد |
| وثُغَاء ^(٥) غدا هزيمًا ^(٦) فألقى | رُعبه فى مرابض الآساد |
| ما الذى أخرج الشجاعة من حيد | ث طوتها قرون الاستبداد |
| وجلا غرة الصلاح فلاح | تزدهى من غياهب الإفساد |
| فإذا أمة أبية ضيم | مالها غير حقها من عتاد |
| نهضت فجأة تنافح فى آ | نِ عدوين أسرفا فى اللداد |
| أجنيباً ألقى المراسى حتى | تقلع الراسيات فى الأطواد |
| وهواناً كأنما طبع الشعب | ب عليه تقادم الإخلاق |
| حلبة يُعذَّر المقصر فيها | والخواتيم رهن تلك المبادئ |
| ليس تغييرٌ ما يقوم يسيراً | كيف ما عُودوه من آماد؟ |
| غير أن الإيمان كان حليفاً | لقلوب الطليعة الأنجاد |

(٤) المظلم.

(٥) الثغاء: صوت الشاة والمعز.

(٦) الهزيم: صوت الرعد.

(١) يريد الجمهور.

(٢) نبأ: جاني وتباعدا.

(٣) ورى: الزند: خرجت ناره.

فاستعانوا به على ما ابتغوه غير باغين من بعيد المراد إلى أن قال:

بعد وثب في إثر وثبٍ عنيف ساور الأمة التردد والتا
لا تسل يومذاك عن جلد القا
كلما ازدادت الصعاب أبوا إ
يبدلون القوى وفوق القوى غير
و (الزعيم الأبر) أطيبهم نفس
هل ينجي شعباً من اليأس إلا
مصطفى مصطفى بحسبك إن يذ
مصطفى مصطفى ليهنئك أن أحـ
دب فيهم روحٌ جديد له ما
تنقضى الحادثات بعدك والرو
كاذ يومٌ شيعت فيه يريهم
صدروا عنه بالعارف فيما
واستشفوا لبأسهم فيه سرا
هذه مصر الفتية هبت
رجل مات مُخْلَقاً منه جيلاً
عهد نور من الحفاظ ونار
تخذت عبقرية الشعر فيه
أبلغت (حافظاً) من الحظ أوجاً

وارتداد في الشوط غب ارتداد
ث^(١) عليها في السير وجه الرشاد
دة في مُلتقى الخطوب الشداد
لا كفاحاً وعزمهم في ازدياد
مبالين أنها لنفاد
ما عن النفس صراع العوادي
حَدَث من خوارق المعتاد
كر فداءً أن كنت أول فاد
بيت قومًا بذاك الاستشهاد
بعده في القلوب والأخلاق^(٢)
ح مقيم فيهم على الآباد
لمحة من جلال يوم المعاد
بينهم وهو قوة الأعداد
كم تحامى أن يدركوه الأعادي
في صفوف فتية للذيات
رابط الجأش غير سهل المقاد
بعد طول الخمود والإخماد
سلمًا للعروج والإصعاد
زاد منه العلياء كل مراد

إزاحة الستار عن تثال مصطفى كامل

وله في سنة ١٩٤٠ قصيدة عن مصطفى كامل نظمها لمناسبة إزاحة الستار عن تثاله بعد
ظل حبيسا في «مدرسة مصطفى كامل» من سنة ١٩١٤. قال:

(١) التاث عليه الأمر: اختلط والتبس.

(٢) الأخلاق: العقول.

ماذا خشوا من فتنة التمثال؟
 فاضت أسي ودموعهن غوال
 وجلاء من أوفى بنيتها جال
 وتذاد عنهم يوم الاستقلال؟
 في بدئها ولكل بدء تال
 فيما ادعى صلفا وجدك عال
 تلقاك بالإكرام والإجلال
 من غرّ فتیانٍ وصيد رجال
 في هذه الآساد والأشبال
 وسواك يحسبه رجاء محال
 سرف لمطلوب بعيد نوال

أمنوا بموتك صولة الرئبال
 حبسوه عن مقل إليه مشوقة
 حتى أرادت مصر غير مرادهم
 إتهبىء استقلال قومك جاهداً
 أنصفت بعض الشيء بل هي توبة
 فلقد تتوب وجد غيرك عاثر
 يا حسن عودك والكنانة حرة
 أيروعك الحشد الذى بك يحتفى
 ماذا بثت من الحياة جديدة
 بعث لموطنك العزيز رجوته
 خاطرت فيه بالشباب وبذله

توقى إليك فهن جد طوال
 زالوا ولم يشأ القضاء زوالى
 فأحق حى بالأسى أمثالى
 وجب الرثاء فإنما يرثى لى
 وشخصهم ملء الزمان حيالى
 وإلى يمينى تارة وشمالى
 فى كل حادثة ولست بآل
 يقضى الحمى من حقهم ويوالى
 متجددا بتعاقب الأحوال
 يغدو الفراق بها شبيه وصال
 لا ينقضى بتحول الأحوال

أى مصطفى! ولت سنون وما اشتفى
 عجب بقائى بعد أكرم رفقة
 هم صفوة الدنيا وكانوا صفوها
 حزن بعيد الغور فى قلبى فإن
 ماذا أقول وهذه أسماؤهم
 تعتادنى فى مسمعى أو ناظرى
 إنى لأحفظ عهدهم وأصونه
 وكأن حسى حسهم فرحا بما
 كم فى مغارسهم جنى ألفيته
 سلوى أتاحتها مآثرهم وقد
 وكذاك مجد العبقريّة والفدى

لو كان يتصف امرؤ بكمال
 غير المكاره فيه والأهوال
 عانيت فى الغدوات والآصال
 من جهد أيام وسهد لبالى

أى مصطفى ما كنت إلّا كاملا
 ماذا لقيت من الصبى ونعيمه
 إنى شهدت شهادة العينين ما
 متطوعا تسخو بما يفنى القوى

فيمن أهبت بهم مجيب سؤال
 زمنا نما من مسعد وموال
 لكن يرون له رفيف الآل
 في كل جل منك أو ترحال
 تلقى إلى نظر الحبوط ببال
 لا ينثنى وبلاء غير مبال
 دعواك آية ربك المتعالى
 مصر بعقبى دائك المغفال

إذ قمت بالأمر الجسام ولم يكن
 حال التورع دون إغراء المنى
 والقوم فى ظمأ ووعدك مطمع
 تسعى ويعترض السبيل قنوطهم
 فتظل تضرب فى جوانبه وما
 لك دون ما تبغى مضاء مصمم
 حتى إذا وضع اليقين وصدقت
 فتويت أظهر ما تكون على عدى

بأشد منها هزة الزلزال
 آل وقد رزثوا عزيز الآل
 أن الحياة مطالب ومعال
 لا يستطال بها مدى الآجال
 متضافرين دوام تلك الحال
 برئت من الأحقاد والأوجال
 مستبسلين ضروب الاستبسال
 فى يومه إحسان يوم خال
 متخضيا بدم الشباب الغالى
 لا أنت ساليه ولا هو سال
 فى أفقه كالكوكب المثلالى
 ولزهرها المتألقات مجال
 وإذا نأت عنا فتلك لآلى
 وتجول فى الأفكار كل مجال
 برج حللت به لغير زبال
 فالحال متصل بالاستقبال
 فرضت محبته على الأجيال

هزت منيتك البلاد ولم تكن
 فالقوم من جزع عليك كأنهم
 كشف الأسى لهم الحجاب فأيقنوا
 وتبينوا أن الخنوع مهانة
 لله حسن بلائهم لما أبوا
 وتوثبوا بعزيمة مصدوقة
 يردون حوضا والمنايا دونه
 حتى أتيح الفتح يجلو حسنه
 فتح بدا اسمك وهو فى عنوانه
 إليها شديد الحب للبلد الذى
 أبهج بأوبتك السنية طالعا
 للذكر آفاق سحيقات المدى
 فإذا دنت منا فتلك عوالم
 تطوى من الأدهار مالا ينتضى
 أنوار وجهك طالعتنا اليوم من
 قد أثبتتها مصر بين عيونها
 نعم الثواب لذى مآثر فى الفدى

عانتة فى الأصفاد والأغلال

فتيان مصر وعهدها غير الذى

حيوا مدبل حياتها من يأسها ومذلل الآلام لآمال
حيوا زعيم اليقظة الأولى بها وخطيب تورتها في الاستهلال
هذى مواكبها وتلك وفودها في ملتقى ذى روعة وجمال
حفلت برمز نهوضها ومثاله مالا تدانى صنعة المثال
لكنها مهج بنته ولم تكن إلّا ذرائعها فضول المال
وكفاه فخرا أن ذاك المال لم يك مكس جاب أو تطول وال
رسم يلوح وفيه معنى أصله فيروع بين حقيقة وخيال
لان الحديد له فصاغ لعينه أثرا على الأيام ليس يبال
كم في بليغ سكوته من عبرة أوفى وأكفى من فصيح مقال
هو خالد ويظل مدره قومه في كل نازلة وكل نضال

تحيته للمجاهدين في المؤتمر الوطنى ببروكسل سنة ١٩١٠

ونظم في سنة ١٩١٠ قصيدة ناجى فيها الوطنيين الأحرار الذين اغتربوا عن مصر لحضور المؤتمر الوطنى الذى عقد برآسة المرحوم محمد فريد بمدينة بروكسل في سبتمبر سنة ١٩١٠. قال:

أتراه فوق مناكب الأدهار شفقٌ تخلف عن بديع نهار^(١)
حقبٌ دَجَّتْ منها السُّفوح ولم يزل فوق الذرى منها بريق نضار^(٢)
يا مغرب الماضى أما من آية فتعود فى سَحَر من الأسحار؟
هذا صباحٌ مقبل من غيبه فتبينوه يا أولى الأبصار
تجد العيون على نواصى أفقه ضواءٌ تألق من وراء ستار
سَحَر الرجاء بدا لكم وإزاءهُ شفق البقية من عُلا وفخار^(٣)
شقان من حلى أغرّ تصوغه تاجاً لمصر أناملُ المقدار^(٤)

(١) يشير إلى ذكرى المجد القديم وأنها ناقية على الدهر ويعبر عنها بالشفق، أى النور المتخلف عن الشمس بعد غروبها.
(٢) الحقب السنون. ودجا أظلم. الذرى؛ جمع ذروة، أعلى الشيء. والنضار الذهب. أى أن جهود التأخر قد تركت ظلاماً مخيها على البلاد. ومع ذلك لا يزال فوق الذرى نور الشمس التى غربت.
(٣) أى يتجلى فجر الأمل وأمامه الذكرى الساطعة للمجد القديم.
(٤) الحلى وجمعه حلى ما يصنع من مصوغ المعدنيات، أو الحجارة الكريمة والمقدار هو القدر، يريد أن يجد الماضى والمجد المأمول للمستقبل يتقابلان كشقى تاج لمصر.

تاجٌ ستلبسه الفتاة مخلفاً عن أمها في سالف الأعصار
ويكون من آياته وشُعاغه آيات مجد رجالها الأخيار

نجباء مصر الواترين لعزها وجلالها من ذلة وصغار^(١)
خوضوا غمار الضيم دون رجائكم لا فوز إلا بعد خوض غمار
ما شاء سعدُ الدار أن تشقوا له فاشقوا له ما شاء سعد الدار
إن شقَّ ترحالُ فهذى هجرةً لا شقةً^(٢) في مثلها فبدار
سيروا تتموا في الحياة فطالما كان التقاعس مؤذنا ببوار
ما اللُّجُ وادَّعَ أو تشاكسَ حارِناً إلا ذلول الراكب الكرار^(٣)
ما البرُّ أنجد أو أغار بجائب إلا سليب خطي ونهبُ قطار^(٤)

ركبَ النجاة استطلعوا لبلادكم في الغرب كل مطالع الأنوار
هزوا منابرَه بعالي صوتكم حتى يرنَّ صده في الأقطار
أنتم جنود السِّلْم رُسل جهاده أنتم أشعة مصر في الأمصار
أنتم أشعة حزمها شَفَافَةٌ عن حزنها والنورُ بثُّ النار
ترجون أن تحيوا وتحيا مصركم حق الحياة وما بها من عار
لا تسأمون تغربا في مبتغى أسمى الهنات وأشرف الأوطار

الحكم شورى لا تفرد صالحٌ في غير حكم الواحد القهار
لا تسترق عسيرةً وديارها لعشيرة غلابةً وديار

(١) مخاطب ركب المؤتمر وأعضائه. ويصفهم بأنهم ذاهبون ليثأروا لمصر مما أصابها من ذلة وضم.

(٢) الشقة: السفر البعيد.

(٣) لجج البحر أمواجه. أى ليس البحر إن سهل أو صعب إلا كالركوبة الذلول للفارس الذى يروضها.

(٤) الجانب المسافر.

العدل إن يُقصد فليس بكائن في نُكر معرفة وغصب جوار
الرأى تكمد شمسهُ في موطن متناقض الإعلان والإسرار
الخير تُفقد سُبله في مجمع متعارض الإقبال والإدبار

* * *

ماذا عليكم أن تكون شعاركم هذى المطالبُ وهي خير شعار
لستم بسفاكى دم، لستم إلى غير الحقيقة طامحي الأنظار
لستم غلاة، والأقل مرامكم بين الشعوب السُّبق الأحرار
لستم غلاة، خال ذلك منكم من لم يخلكم من ذوى الأخطار^(١)
ليس الذى تبغونه من مطلب إلا أحقَّ مطالب الأحرار
من لم يخل في مصر عيداً شاكياً في فترة التفكير والإضرار
أجزعُ بسارٍ آمِنٍ في معهد وثبت عليه فجأةُ التزَّار^(٢)

* * *

إنى ليعجبنى كبيرُ مرامكم وهو الحقيق بغاية الإكبار
وأقول للمزرى بسنَّ صفاركم ليس العظيم نفوسُهم بصغار
أمهجرى أرض الكنانة إنكم وجميع من فيها من الأنصار^(٣)
إمضوا دعاةً للهدى واستنصفوا بالحق للبلد العزيز الجار
كونوا الشهود له على أعدائه برجوع شمسِ نهاره المتوارى

الثبات في الكفاح

وقال لما زاد اضطهاد الحكومة للأحرار وسلطت قانون المطبوعات على الصحف:

شَرِّدُوا أَخْيَارَهَا بَحْرًا وَبَرًّا واقتُلُوا أَحْرَارَهَا حُرًّا فَحْرًّا

(١) أى لستم غلاة كما توهم ذلك من ظن أنكم لستم من ذوى الكفايات والأقدار.
(٢) أجزع: أى ما أشد جزع. والفجاءه مصدر فجأة. والتزَّار زئير الأسد. يريد أن الإنجليز فوجئوا بالحركة الوطنية في ذلك العهد، كما يفاجأ السارى بزئير الأسد.
(٣) يسعى أعضاء المؤتمر المهاجرين. وسكان مصر الأنصار، تشبيها لهم بالمهاجرين والأنصار في صدر الإسلام.

إِنَّمَا الصَّالِحُ يَبْقَى صَالِحًا آخِرَ الدَّهْرِ وَيَبْقَى الشَّرُّ شَرًّا
كَسَرُوا الْأَقْلَامَ هَلْ تَكْسِيرُهَا يَمْنَعُ الْأَيْدِيَّ أَنْ تَنْقُشَ صَخْرًا
قَطَّعُوا الْأَيْدِيَّ هَلْ تَقْطِيعُهَا يَمْنَعُ الْأَقْدَامَ أَنْ تَرْكَبَ بَحْرًا
حَطَّمُوا الْأَقْدَامَ هَلْ تَحْطِيطُهَا يَمْنَعُ الْأَعْيُنَ أَنْ تَنْظُرَ شَرًّا
أَطْفَأُوا الْأَعْيُنَ هَلْ إِطْفَاؤُهَا يَمْنَعُ الْأَنْفَاسَ أَنْ تَصْعَدَ زَفْرًا؟
أَخْبِدُوا الْأَنْفَاسَ، هَذَا جُهْدُكُمْ وَبِهِ مَنَاجَاتُنَا مِنْكُمْ... فَشُكْرًا!

وقال في هذا المعنى حين توعدته الحكومة بالنفى من مصر على أثره نشره الأبيات السابقة:

أَنَا لَا أَخَافُ وَلَا أَرْجِي فَرَسِي مَوْهَبَةٌ وَسَرَجِي
فَإِذَا نَبَأَ بِي مَتْنٌ بَرٌّ فَالْمِطِيطَةُ بَطْنٌ لُجٌّ
لَا قَوْلَ غَيْرِ الْحَقِّ لِي قَوْلٌ وَهَذَا النَّهْجُ نَهْجِي
الْوَعْدُ وَالْإِبْعَادُ مَا كَانَا لَدَى طَرِيقِ فُلْجٍ^(١)

يحيى رأس السنة الهجرية

ونظم سنة ١٩١١ قصيدة عصماء حيًّا بها العام الهجرى (١٣٢٩)، خاطب فيها شباب مصر ودعاهم إلى الاعتبار بما في هجرة الرسول الكريم من المعاني الجليلة، والأغراض السامية. وأهاب بهم أن يضاعفوا جهودهم لبعث الحياة في مصر والشرق. قال:

هَلْ الْهَلَالُ فَحَيُّوا طَالَعَ الْعِيدِ حَيُّوا الْبَشِيرَ بِتَحْقِيقِ الْمَوَاعِيدِ
يَا أَيُّهَا الرَّمْزُ تَسْتَجَلِي الْعُقُولَ بِهِ لِحِكْمَةِ اللَّهِ مَعْنَى غَيْرِ تَحْدُودِ
كَأَنَّ حُسْنَكَ هَذَا وَهُوَ رَائِعُنَا حُسْنٌ لِبَكْرِ مِنَ الْأَقْمَارِ مَوْلُودِ
لِللَّهِ فِي الْخَلْقِ آيَاتٌ وَأَعْجَبُهَا تَجْدِيدُ رَوْعَتِهَا فِي كُلِّ تَجْدِيدِ

فَتَيَانُ مِصْرَ وَمَا أَدْعُو بِدَعْوَتِكُمْ سَوَى مُجِيبِينَ أَحْرَارًا مَنَاجِيدِ^(٢)
سَوَى الْأَهْلَةِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ أَدَبٍ مُؤْمِّلِينَ لِفَضْلٍ غَيْرِ مَجْهُودِ

(١) الفلج: الظفر.

(٢) المناجيد: الشجعان السياقون إلى النجدة.

المستَسِرُّ شعار المقتدين به
ما زال من مبدأ الدنيا يُنبئنا
فإن تسيروا إلى الغايات سيرته
العاملين بمغزى منه مقصود^(١)
أن التمام بمسعاة وبجهود
إلى الكمال فقد فُزْتُم بمنشود

* * *

يا عبيدُ جئت على وعدٍ تُعيدُ لنا
بل كنت «عيدين» في التقريب بينها
رُدِدَتْ يوماً يُسرُّ المؤمنون به
أولى حوادثك الأولى بتأييد
معنى لطيف ينافي كل تبعيد
ولم تكن بادئاً يوماً لتعييد

* * *

رسالة الله لا تنهى بلا نصيب
رسالة الله لو حلت على جبلٍ
ولو تحمّلها بحرٌ لشبَّ لظى
فليس بدعاً إذا ناء الصفيُّ بها
ينوى الترحل عن أهلٍ وعن وطنٍ
يكاد يمكث لولا أن تداركه
يشقى الأمين وتغريبٍ وتنكيد
لأنذك منها وأضحى بطنٍ أخذود
وجفّ وانهاه فيه كل جلمود
وبات في ألمٍ منها وتسويد
وفي جوانحه أحزان مكبود
أمر الإله لأمرٍ منه موعود

* * *

فإذ غلا القوم في إيذائه خطلاً
دعا الموالين إزماعاً لهجرته
مضى هو البذلّة، والصديقُ يصحبه
مولياً وجهه شطر (المدينة) في
حتى إذا اتخذ الغار الأمين جُمى
حماءً وشئى بباب الغار منسدلاً
يا للعقيدة والصديق في سهرٍ
وشرّدوا تابعيه كل تشريد
فلم يجبه سوى الرهط الصناديد
يفامرُ الحزن في تيهاء صيخود^(٢)
ليلٍ أغرّ على الأدهار مشهود
ونام بين صفاه نوم مجهود
من الآلى هددوه شرّ تهديد^(٣)
تؤذيه أفعى ويكى غير منجود

(١) المستسر: المستتر، أى القمر الذى لم يبد في مظهره إلا أقله.

(٢) التيهاء: أرض يتيه فيها السالك. وصيخود شديدة الحر.

(٣) إشارة إلى ما نسج العنكبوت بهابه فضل المتعقبين للرسول.

مُنْفَى الْقُرَى فَمِى حَصْنٌ غَيْرُ مَهْدُودٍ
سَارِينَ فِي كُلِّ مَسَرَّى غَيْرِ مَرْصُودٍ
كَهَوْلَاءِ الْأَعْزَاءِ الْمَطَارِيدِ^(١)
فِرْسَانَ رُؤْيَا لَشَانٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ
مَالٍ خَيْرِ سِرْتٍ فِي مَهْجَةِ الْبَيْدِ
فَوْقَ الظَّلَالِ عَلَى الْمَهْرِیَّةِ الْقُودِ

إِنْ الْعَقِيدَةُ إِنْ صَحَّتْ وَزَلْزَلَتْ
أَمَّا الصُّحَابُ الَّذِينَ اسْتَخَرُوا تَلَّوْا
مَاجِدًا قَيْصَرَ أَوْ كَسَرَى إِذَا افْتَخَرُوا
كَأَنَّهُمْ فِي الدُّجَى، وَالنَّجْمُ شَاهِدُهُمْ،
كَأَنَّهُمْ وَضِیَاءُ الصُّبْحِ كَاشِفُهُمْ
فِي حَيْطَةِ اللَّهِ مَا شَعَّتْ أَسْنَتُهُمْ

* * *

لِمَ أُرْبٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَحْمُودٍ
حَتَّى يَعُودَ بِتَمَكِّينَ وَتَأْيِيدٍ
قَدْرَ الْحَيَاةِ، وَمَنْ فَادَى بِهَا فُودَى
لِلْإِحْفَازِ بِعَمْرِ رَهْنٍ تَحْدِيدٍ
وَلِيَبِغِ فِي الْأَرْضِ شَقًّا كُلُّ رِعْدِيدٍ
عَدَا الْفَنَاءَ بِذِكْرِ غَيْرِ مَلْحُودٍ

عَانِي «مُحَمَّدٌ» مَا عَانِيَ بِهَجْرَتِهِ
وَكَمْ غَزَاةٍ وَكَمْ حَرْبٍ تَجَشَّمَهَا
كَذَا الْحَيَاةَ جِهَادًا، وَالْجِهَادَ عَلَى
أَذْنَى الْكَفَاحِ كِفَاحَ الْمَرْءِ عَنْ سَفِهِ
لِيَغْنَمَ الْعَيْشَ طَلَقًا كُلِّ مَقْتَحَمٍ
وَمَنْ عَدَا الْأَجَلَ الْمَحْتَمُومَ مَطْلَبُهُ

* * *

لَكِنْ صَوْتِي فِيكُمْ صَوْتُ تَرْدِيدٍ
مِنْ صَالِحَاتٍ أَعَدَّتْهَا لِتَخْلِيدٍ
طِوَالِ مَا خَلَقْتُ^(٢) فِيهَا بِتَسْوِيدٍ
فِي كُلِّ مَسْرَحٍ بَادٍ كُلُّ تَوَطِيدٍ
إِلَّا كَعْبِدَ لَهُمْ فِي شَكْلِ مَعْبُودٍ
بَعْضُ الْمَعَادِنِ أَوْ بَعْضُ الْجَلَامِيدِ^(٣)
ثَقَالُ بَطْشٍ لِدَانٍ كَالْأَمَالِيدِ^(٤)
إِلَّا مَنَازِلَ تَشْتِيَتْ وَتَبْدِيدٍ
إِلَّا كَمَا صِيحَ فِي عُفْرِ عِبَادِيدٍ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ، وَمَا مِثْلِي يُتَبَثِّكُمْ
مَا أَثْمَرَتْ هَجْرَةُ الْهَادِي لِأُمْتِهِ
وَسَوْدَتِهَا عَلَى الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
بَدَا وَلِلشُّرْكِ أَشْيَاعٌ تُوَطِّدُهُ
وَالْجَاهِلِيُونَ لَا يَرْضُونَ خَالِقَهُمْ
مُؤَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ صِنَاعَتِهِمْ
مُسْتَكْبِرُونَ أَبَا الضَّيِّمِ غُرُجِي
لَا يَنْزِلُ الرَّأْيُ مِنْهُمْ فِي تَفَرُّقِهِمْ
وَلَا يَضُمُّ دُعَاءٌ مِنْ أَوَابِدِهِمْ

(١) المطاريد. فرسان الطراد في الحرب

(٢) خلقت: استحدثت.

(٣) الجلاميد: الصخور.

(٤) لدان، جمع لدن، وهو اللبن.

ولا يطيقون حكماً غير ما عقدوا لذي لواءٍ على الأهواء معقود

بأى حلمٍ مبيد الجهل عن ثقة أعاد ذاك الفتى الأُمى أمتَه
لِتلك تالية الفرقان في عجبٍ صعبان راضها: توحيد معشرهم
وزاد في الأرض تمهيداً لدعوته وبدئه الحكم بالشورى يتم به
هذا هو الحق والإجماع أيده فمن يُفَنِّدُه أولى بتفنيده

أنى مسلمى (مصر) إن الجِدَّ دينكم طال التّقاعس والأعوام عاجلة
هُبوا إلى عمل يُجِدِّي البلاد فما سعيًا وحزماً، فوَدَّ العدل وُدَّكم
تعلّموا كلَّ علمٍ وانبُغوا وخذوا فكوا العقول من التّصفيد^(١) تتطلّقا

وبس ما قيل: شعبٌ غير مجدود والعام ليس إذا ولّى بمرّدود
يفيدها قائلٌ: يا أُمّى سودى وإن رأى العدل قوّم غير مؤدود
بكلّ خلقٍ نبيه أخذ تشديد وما تبالون أقداماً بتصفيد

(مصر) الفؤاد فان تُدرك سلامتها فالشرق ليس وقد صَحَّت بمفؤود^(٢)
الشرق نصفٌ من الدنيا بلا عملٍ سوى المتاع بما يُضنى وما يودى
والغرب يرقى وما بالشرق من همٍ سوى التفاتٍ إلى الماضى وتعدد
تشكو الحضارة من جسمٍ أشلَّ به شَطْرٌ يُعَدُّ وشَطْرٌ غير معدود

أبناء (مصر) عليكم واجبٌ جَلَلٌ لبعث مجيدٍ قديم العهد مفقود

(٢) المفؤود: المصاب فؤاده.

(١) التصفيد: التقييد.

وَلْتُرْزَهْ (مصر) بكم مرفوعة الجيد
حقيقة الفعل والذكرى بتمجيد
من حاسد كائد كيّداً لمحسود
حُرَّان من كلّ تقييد وتعبيد
إلا تداركه الثّاني بتسديد
لما يُعمّ بنفع كلّ موجود
من رَوْضكم كلّ نامٍ ناضر العود
دَعْ زعم كلّ عدوّ الحقّ مرِيد^(١)

فَلْيَرْجِعِ الشرق مرفوع المقام بكم
ما أجل الدهرَ إذ يأتي وأربُعنا
والشرق والغرب معوانانٍ قد خلاصا
صنوان برّان في علمٍ وفي عملٍ
لا فِعْلَ يُخْطِئُ فيه الخيرَ بَعْضُهما
ولا خصومة إلا في استباقهما
هذي الثّمار التي يرجو الأنام لها
لمصر والشرق بل للخافقين معاً

فقد تبدّل منحوسٌ بمسعود
يُنْفَى بحسنٍ ولا يُوهى بتهديد
بُشرى التّمام لوقتٍ غير ممدود
بخاتمِ النّور زلّاتِ الدّجى السود

جُوزوا على بركات الله عامّكم
رجاؤكم أبداً ملءُ النفوس، فما
بدا الفلاح، وفي هذا الهلال لكم
غداً نرى البدر في طُرسِ السّماء محّا

يحيى بعثة الأطباء إلى حرب طرابلس

وقال سنة ١٩١١ يحيى بعثة الأطباء المصريين الذين ارتحلوا إلى ليبيا لمعاونة المجاهدين العرب
الذين قاوموا العدوان الإيطالي :

أجر الجهاد وأجر البرّ بالناس
صدع الرّصاص وجرح الصّارم القاسى
غول الرّدى بين أنيابٍ وأضرار
ترى العيونُ غياضاً فوق أفراس
نَدَى الجفاف وتخبّو شعله البّاس
وإن هم استوحشوا إخوان إيناس
ودافعوا الموت عنهم دَفَعَ أكياس^(٣)

سيروا على بركات الله واغتنموا
لِيَشْفِ مِبْضُكُمْ والرفقُ يُعْمَلُهُ
هَلْفَى على شُوس^(٢) أبطالٍ تلوّكهم
كانوا وقد ركبوا للحرب أبهج ما
واليوم قد عثروا وتَدَى نضارُهم
كونوا لهم إن شكوا إخوان تأسيةً
رُدُّوا على الوطن الباكي أَعَزَّتْهُ

(٣) أكياس جمع كيس وهو الفطن الذى يحسن الفهم.

(١) مرید: الخبيث.

(٢) شوس جمع أشوس وهو الشجاع الجرىء.

فإن أسقامهم في كل جارحة
 لله مسعاتكم والحق يشكرها
 مبرةً ظهّرت أرواحكم وسمت
 خوضوا المصاعب لا يُلمّ بأنفسكم
 هذا الهلال لكم رآد النهار هدى
 وإن في ظله النّادى برحمته
 أئى عصابة الخير داووا أبرياء هؤوا
 لو صور الله في جسم امرئ ملكا
 منّا وآلامهم في كلّ إحساس
 والخلق يذكرها ترديد أنفاس
 بها مراتب فوق الضيّم والياس
 ما قد تلاقون من من ضر ومن باس
 وفي اعتكار الدّياجى خير نبراس
 لبّسنا لجراح القلب والرّأس
 صرعى مطامع قواد وسواس
 لصور المسلك الإنسى في آس^(١)

عتب وطنى

وقال سنة ١٩٢٠ يعتب على أحرار مصر في موقف تردد:

إن تكونوا أمّاتها وبنيتها
 أترضون أن تهون عتيذاً
 تلك أوطانكم تُباع عليكم
 ما لتلك الذّناب تعشّ فيها؟^(٢)
 بعد ذاك الإباء في ماضيها؟
 صفقة بخسة فمن مشربها؟

رثاؤه لمحمد فريد

ونظم قصيدة رائعة في رثاء الزعيم الشهيد محمد فريد سنة ١٩١٩؛ قال:

أفريد لا تبعد على الأدهار
 بالأهل بالدم بالرفاهة بالغنى
 حررت نفسك دائب المسعى إلى
 مسترسلا والدهر في إقباله
 ثبّتا إذا ما الراسخون تقلقلوا
 فبررت بالعهد الذى عاهدته
 ما كان ذاك العمر إلا قربة
 ومن المنى ما ليس يوفى حقه
 أنت الشهيد الخالد التذكار
 فدّيت مصر وفديت من دار
 تحريرها لتعزّ بعد صغار
 مستبسلا والدهر في الإدبار
 متوافق الإعلان والإسرار
 ووفيت في الإيسار والإعسار
 موصولة الآصال بالأسحار
 حتى يكون الجود بالأعمار

(٢) تعشّ تطرق ليلا.

(١) آس أى مداو للجروح

فريد ومصطفى :

إني لأذكر مصطفى ورفيقه
متوخيًا إعتاق مصر كلاهما
وكلاهما يسعى الغداة مذلا
وكان مصر حيال كل مخاطر
في قلبها حب الحياة طليقة
وضيرها أنا فأنا يُجتلى
عرفا حقيقتها وبثا بثها
لم يلبثا متآزرين بنية
حتى إذا ما أيقظا إيمانها
أبدت أساها يوم فارق مصطفى

في مستهلها وفي الإبدار
وكلاهما لأخيه خير مبار
سبل النجاح لمقتفى الآثار
إذ ذاك في شغل عن الأخطار
لكنها تخشى أذى الإظهار
فبُرى كما اقتدح الزناد الوارى
ثقة وما كانا من الأيسار
مصدوقة في خفية وجهار
فذاك ذكاء النور قبل النار
هذا الجوار ورام خير جوار

فريد رئيسًا للحزب الوطنى :

ذهب الرئيس فنيط عبء مقامه
أفريد هذا الشأو قد أدركته
فتقاض أضعاف الذى قدمته
إن تلتمس جاها أصب ما تشتهى
والشرق يقبل قد عملت من الأولى
الشعب شبه البحر لا تأمن له
فغداً ويا حذرا لملك من غد
يسلو الأولى عبدوك أمس وربما
فتبيت صفريد وكنت مليئها
لكن أبيت العرض إلا سالما
لم تعتقد إلا الولاء وقد أبى
وسموت عن أن يستميلك خادع
فظللت مبدوك القويم كعهده

بالأنزه الأوفى من الأنصار
وسبقت من جارك في المضمار
واستسق صوب العارض المدرار
أو رفعة فاطفر بالاستيزار
يتحملون غرائب الأعذار
ما أمن مقتعد متون بحار
قد تستفيق ولات حين حذار
كوفئت من عرف بالاستنكار
وتذوق كل مرارة الإقتار
وإن ابتليت بشقوة وضرار
لك أن تلبى داعى الإخفار
بالمنصب المزجى أو الدينار
عند الوفاء وفوق الاستئثار

ورسوخ إيمان بالاستمرار
يرنو إليك بمقلة الغدار
والبغي جناء على الأطهار
عدت فضائله من الأوزار

تزداد صدق عزيمة براسه
ما إن تبالي ساهراً مترصدًا
يحنى عليك لغير ذنب باغيا
من كان جار السوء يوما جاره

فريد في السجن:

إن السجون معاهد الأحرار
أن اعتقالك مطلق الأفكار
نورًا تضاء به سبيل السارى
فيلوح فوق ذراه ضوء منار
ونرى هدى في وجهك المتوارى
غَنِيَتْ عن الأسماع والأبصار
علم بأن التَّمُّ بعد سِرار
لزموا التفرد عن رضا وخيار
شظفى المعاش لا بسى الأظفار
لقيام دعوتهم على الأخطار
بعثوا الهدى كالشمس في الإزهار
كلم المهيمن في اصطعاق النار
يسمو به راقٍ من الأنوار
في الغار عن صرعاته في الغار
للنفس حررها بالاستتسار
من أن تمحصهم يد المقدار

قل للرئيس إذا مررت بسجنه
وافيته طوعا ورأيك ثابت
إن يجبوك فإن فكرك رافع
كم تحجب الظلمات طودًا شامخًا
إننا لنسمع من سكوتك حكمة
وإذا النفوس تجردت لمرامها
حاشاك أن تأسى وهل تأسى على
الأنبياء انتابهم زمن به
لجأوا إلى الخلوات واحتبسوا بها
مستجمعين مروضين قلوبهم
ومن الغيابات التى أمسوا بها
سل موحشًا في طور سينا سامعًا
سل طيف جلجلة يكاد من الطوى
سل خاليا بحرًا يلبي ربه
بالعزلة اكتملوا ورب مروض
لا شيء أبلغ بالدعاة إلى المنى

فريد في طريق المنفى:

ما فوق غَلَّ الجيد والإحصار
أعلى وأعلى صفقة للشارى
شرفا إلى سجن بغير جدار
إلا ليدركه القضاء الجارى

لم يكفه ما كان حتى جاءه
النفى بعد السجن: تلك عقوبة
يسموا بها السجن القريب جداره
لا يترك الجارى عليه حكمه

إحدى المدائن سمرت ببخار
دامى الفؤاد وشيك الاستعبار
والزاحفات أمانة الأحجار
ما فيه من غصص ومن أكرار
لشفاء مسغبة به وأوار
أعطافها بالأزرق الزخار
أنس الحمى وجماله السحار
من طيب تلك الجنة المعطار
لغة الأنيس إلى لغى الأطيّار
سيهيم في الدنيا بغير قرار
في قومه ويزور كل مزار
بسكينة للكوكب السيار؟
أنضته في الرحلات والأسفار
إلا شكاة المحرب الكرار
في العالمين، الفوز للصبار
عزا ويسترها بستر وقار
أن يجنحوا وجلاً إلى الإقصار

أى السفائن تستقل كأنها
ينأى بها عن أهله ورفاقه
ينبو ذرا البلد الأمين بمثله
متلفتاً حين الوداع وفي الحشى
متشبعاً متروياً مما يرى
يرنو إلى صفر الشواطئ مُنطقت
ويذوب قبل الين من شوق إلى
يستاف ما تأقى الصبا بفضوله
وبسمعه لحن المواطن جامعا
لهفى عليه مشرداً قبل الردى
من أجل مصر يؤم كل ميمم
لا يوم يسكن فيه من وثب، ومن
في غربة موصولة آلامها
تنتابه الصدمات لا يشكو لها
ثقة بأن الفوز ليس لجازع
وتعضه الفاقات لا يلوح بها
حرصاً على المتولين بفضلهم

فريد في مرضه:

تردى الأسود ضرورة الأخدار
بين الجوانح أنذرت بيوار
واليوم عدن عليه غير قصار
خلع النضارة واكتسى ببهار؟
كالرسم في جرف به منها؟
عثرت به العلات كل عثار؟
تنتابه هدآت الاستقرار؟
من لم يذق في العمر طقم عقار

ما كان هذا الحد حد عذابه
صال الشقاء على فريد صولة
قصرت لياليه على مجهوده
ما بال ذاك الوجه بعد تورّد
ما بال ذاك الوجه بات من الضنى
ما بال ذاك العزم بعد مضائه
ما بال ذاك القلب بعد خفوقه
أسمى يعالج سكرة في نزعه

ولو استطاع لما أضاع دقيقة
وفى بما أعطاه حق بلاده
أمكانه هذا ألتك حليه
أكذاك يختم فى الشقاء حياته
ماذا تفى من حقه بعد الذى
إن الذى يبلوه شارى قومه

عظة وفاته:

مات الرئيس فراع مصر وأهلها
مات العصامى العظامى الذى

تحية الختام:

أفريد هذا ما بهيته الفدى
نم إن مصرا عنك راضية وفز
أوشكت أجزع فانتھيت بأنى
لعشيرة فديتها وديار
من شكرها بمتوبة الأخيار
آنست فيك مشيئة للبارى

تحية الشهداء

قال فى حفلة أقيمت سنة ١٩٢٤ لتحية أرواح شهداء الحركة الوطنية:

إلى أرواح الشهداء

تحية أيها القتلى وتسليما
لا يعبد المرء رباً لا ولاوطناً
قلتم وصدق ما قلتم تحملكم
ما الموت إن كان إنقاذ البلاد به
يحطّم العظم منكم دون بُغيثكم
براً (بمصر) وخوفاً أن يُسلّمها
ليس الشهادة إلا من يموت على

بلغتم الشأ وتخليداً وتعظيماً
بمثل إغلائه القربان تقديماً
أذى يَرُدُّ فِرْنَد الصبر مثلوماً^(١)
من غاصب وانتصافُ الشعب مظلوما
فتصبرون ويأبى العزم تحطيماً
إلى العدى وإينو الإيمان تسليماً
حق ومن لا يبالي فيه ما سيم

(١) القرند: حد السيف.

إمضوا رفاقاً كراماً، حسبكم عَوْضاً
للمشتري بصباهُ عِزُّ أُمته
وللتى استبدلت بالقبر مرتعها
لا تحسبوا مصر تنساكم فكلُّكمو
وفي المربع من أرواحكم نَسَمٌ
مجدُّ عزيز على الحُطَّاب إن رِما
ذكرٌ يُدِيمُ اسمه بالتبر مرقوما
قَسَطٌ من الفخر فوق العمر تقويما
يَبْقَى على الدهر مَرُوءًا ومرحوما
تظلُّ تَأْتِي بها لأرواح تنسبها

تحية للذين أطلقوا من الاعتقال

وقال في هذه القصيدة مخاطبا من أفرج عنهم من الاعتقال:

يا خارجين كراماً من محابسهم
كم كُيِّلَ الحقُّ بالأصفاد من قِدمِ
يا سوء دهرٍ قَضَتْه قبل نهضتها
تَبَى قَوَى اللَّيْثِ من عَيْثِ الذَّنَابِ بها
فاليوم عاد إلى رأى يُشْرِفُها
دَلَّتْ على قوَّةٍ فيها صلابتكم
هل يُجْزِيءُ الشكر من ضيمٍ تحمله
قد أئموكم وكم من مُثَلَّةٍ نزلتْ
وبعض ما عاقبوكم فيه جَعَلُكمو
لا حاكماً دون ما أوحَتْ ضمائرُكم

ومنبهجي كلَّ قلب كان مغموما
ثم انطَوَيْنَ وباء البُطْلُ مهزوما
(مُضَرٌّ) يَحْيِمُ فيها الذُّلُّ تخيما
ويلتوى الأمرُ تحليلاً وتَحْرِيا
من ظنَّ إقليمها للخفض إقليما
تذود عنها الأشِدَاءُ المقاحيما
بالأمس من كان منكمو في رأيه ضيما
بالأبرياء وبالأبرار تأثيما
صِدْقُ الهوى لِلْجَمَى ديناً وتعليما
تُراقبون ولا تَرَعُونَ محكوما

لقد ظفرتم بما أدنى القَصِيٍّ لكم
هل استقام زمانٌ لا يُقَوِّمُه
أونال حُرِّيَّةَ قومٍ بها جَدُّروا

من المرام فليس الفوزُ مزعوما
بنوه بالصبر والإقدام تقويما؟
وهم يبالون تَقْتِيلًا وتكليما^(١)

يا سادةً كالنجوم الفُرَّ منزلةً
وسيداتٍ كِعَقْدِ الدُّرِّ منظوما

(١) التكليم: التجريح.

حمداً لإقبالكم هذا وحفلتكم
من الأولى ما وئسوا عن واجب قبئوا
أولئكم إن بدا من فضلهم أثر
فلتحنى «مضر» وأبرار نجلهمو
تهنئون الصناديد المقادير
لعز «مضر» طرافاً^(١) كان مهدوما
فكم لهم من جميل ظل مكتوما
ونحتفى بهم حبا وتكريما

رثاؤه لأمين الرافعى

ومن قصيدة له في رثاء المرحوم أمين الرافعى الذى انتقل إلى جوار ربه في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧. وقد ألفت هذه القصيدة في حفلة تأبينه:

باعوا المخلد بالحطام الفانى
تلك الحياة أمانة أديتها
بالصبر والإيمان أخلص بذوها
أعرضت عن لذاتها منذ الصبي
متوخياً من دونها أمنية
تهوى البلاد ولا هوى لك غيرها
ظلت تنازعك الصرُوف بما بها
مستنزفاً دمك الزكى ولم يرق
في صولة للدهر تعقب صولة
حتى قضيت شهيد رأيك وانقضى
ويح الأبيّ تسوء أيامه
من يقدم في الرجال وما به
ماذا دهي «الفسطاط» حين تجاوبت
وجلا عن القدر المخبأ ليها

وشريت بالأغلى من الأمان
بتمامها لله والأوطان
وختامها بالصبر والإيمان
والرؤى تغرى والقطوف دوانى
لم يوه وحدتها شتيت أمانى
أو تفتدى من ذلّة وهوان
من منة، وظلت ثبتت جنان
بشباة قرضاب ولا بسان
منتابة في الآن بعد الآن
ما كنت تلقى دونه وتعاقى
وتسر كل مماذني^(٢) مذعان
إلا الطلاء بكاذب الألوان
أصداؤها لنواك بالإرنان؟^(٣)
وبدا الصباح مقرح الأجفان

(١) الطراف: البيت.

(٢) مماذني: أى غير مخلص.

(٣) الإرنان: رفع الصوت.

خطبَ أَرانا في مجالاتِ الفِدَى والصدقِ كيف مِصارعُ الشجعانِ
فالشرقُ في سَرَقٍ من الدمعِ الذي أجرى العيونَ وفاضَ بالغُدرانِ

* * *

أى «مصطفى» يبيك قومك كلما عادتهمو ذكرى فتي الفتيانِ
يوم الوفاء دعا فكنتَ لواءه وطليلةً لطليلةِ الفرسانِ
هذا شهيدٌ من ولاتك خامسٌ يهوى بحيث هويت في الميدانِ
لكنهم، والموتُ أسوأُ مغنمٍ، يترაკضون إليه خيلَ رهانِ
بذلوا النفوسَ لله آذلتَ وأرخصوا ما عزَّ من جاءٍ ومن قُنيانِ
فإذا دُكرتَ وأنت عنوان الفدى فاسم الرفاقِ تنمة العنوانِ

وظل خليل مطران يغرد بشعره ألحان الحرية، ولا ينقطع عن التغريد حتى فاضت روحه
الكريمة مساء ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٩.

* * *

أحمد محرم

١٨٧١ - ١٩٤٥



شاعر ملهم، من شعراء الوطنية والأخلاق، كان أديباً الجليل يضعونه في صف سوقى وحافظ ومطران، وكان سيخ الشعراء إسماعيل صبرى يتغنى بسعر هؤلاء الأربعة ويطيب له التحدث عنهم، وامتاز محرم إلى جانب مكانته الشعرية بحرارة العاطفة، وتذوقه للفن والجمال، وقوة إيمانه، وتأملاته العميقة الفلسفية، واستمساكه طول حياته بمبادئه الوطنية، فكان شعره كله وفقاً على المبادئ، لم ينحرف عنها يوماً في قصيدة أو في أى بيت من الشعر، ظل مقبلاً عليها وفيها لها في السراء والضراء، فكان حقاً مثلاً أعلى في الشعر والوطنية، وكان مصطفى كامل يعجب به

وبشعره، ويشيد به على صفحات (اللواء)، ويسميه (نابغة البحيرة)، وبقي أحمد محرم على صلته به ووفائه له ولذكراه، كما ظل وفيّاً لمبادئه الوطنية إلى أن توفاه الله في ١٣ يونيه سنة ١٩٤٥. كان شاعراً بفطرته وسليقته، قال الشعر وهو في سن مبكرة. ومعلّفته التي يقول في مطلعها:

منازل سلمى لا عدتك الغمام وإن درست بالجزع منك المعالم
قد نظمها وهو في السادسة عشرة من عمره.

وطنيته في شعره

تتجلى روحه الوطنية التي ألهمته الشعر أكثر ما تتجلى حين أصدر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٨، فقد أهداه إلى (النيل)، وكتب كلمة الإهداء في عنوان الكتاب (هدية النيل)، وأعقبها بهذا البيت الذى يترجم عن وطنيته الأصيلة مخاطباً النيل قال:

وَهَبْتُكَ مُلْكَ القريض العتيد وذلك أفضل ما يوهبُ

وقال في مقدمة ديوانه يشرح المعنى الذى استوحاه في إهداء ديوانه إلى النيل:

«لقد جرى أكثر الكتاب والشعراء على أن يهدوا مؤلفاتهم إلى من شأوا من ذوى الثروة

والجاء تعرضاً لمؤازرتهم والانتفاع بهم وسط هذا الكساد الآخذ بأكظام الأدب في بلادنا، ولكنني انصرفت بشعري عن تلك المواقف، وبرئت إلى نفسي أن آخذ بهذه الأسباب، على ما أعلم من وعورة مسلكي، وضيق مضطربي، وما كنت في ذلك إلا جاريًا على سنتي في سياسة نفسي، وتصريف ما آتى وأدع من أمور الحياة، فما استظهرت بغير أخ حقّي، أو صديق صفّي، ولا آثرت أن أهدي ديواني إلى غير (النيل)، ذلك الأب الذي وهبني نعمة الحياة، وأفاض على هذه المنح والصلوات.

| | |
|---|---|
| وَأَنْتِ الْأَمِيرُ وَأَنْتِ الْأَبُ | فِيَا نَيْلُ أَنْتِ الْهَوَى وَالْحَيَاةُ |
| وَأَنْتِ الْأَخُ الْأَصْدَقُ الْأَطِيبُ | وَيَا نَيْلُ أَنْتِ الصَّدِيقُ الْوَفِيُّ |
| فِيَزْهَى بِهِ الشَّرْقُ وَالْمَغْرِبُ | وَأَنْتِ الْقَرِيبُ الَّذِي أَقْتَفَى |
| فَمَا سَنَنْتَ لَهَا تَخْصِبُ | فَإِنْ أَهَبَ التَّخْصِبَ هَذِهِ الْعُقُولُ |
| فَصَوْتُكَ لَا صَوْتِي الْمَطْرَبُ | وَإِنْ أَنَا أَطْرَبْتُ هَذِهِ النُّفُوسُ |
| وَتَجْرِي فَتَسْتَبِقُ الْجَوُّبُ | تَسِيلُ فَتَتَدَفَّقُ الرَّائِعَاتُ |

إلى أن قال:

| | |
|--------------------------------------|--|
| فَمَا فَاتَنِي الْأَدَبُ الْمَذْهَبُ | لِئِنْ فَاتَنِي الْمَذْهَبُ الْمُسْتَفَاضُ |
| وَذَلِكَ أَفْضَلُ مَا يُوْهَبُ | وَهَبْتُكَ مُلْكُ الْقَرِيبِ الْعَتِيدُ |

وقد ظهر الجزء الثاني من ديوانه سنة ١٩٢٠.

دعوة الوطنية

قال يدعو مواطنيه إلى الإخلاص لبلادهم والعمل على استعادة مجدها:

| | |
|---|--|
| وَنَادَى فِرَاعَ الْأَمْنِ نِدَاؤُهُ | دَعَا فَاثَارَ السَّاكِنِينَ دَعَاؤُهُ |
| وَذُو أَرْبٍ مَا أَنْ يَحِينُ قَضَاؤُهُ | أَخُو وَصَبَ مَا أَنْ يَحْمَ انْقِضَاؤُهُ |
| فِيَالَيْتَ شَعْرِي هَلْ يَزُولُ عَنَاؤُهُ؟ | بِهِ مِنْ بَنَى مِصْرَ عَنَاؤُ مَبْرَحٍ |
| بَكَاءَ عَلَى مِصْرٍ لَطَالُ بَكَاءُهُ | أَمَّا إِنَّهُ لَوْ كَانَ يُسْفَى غَلِيلُهُ |
| فِيَحْمِي وَلَا وَاقَ فَيُزْجَى وَقَاؤُهُ | تَقْسِمُهَا الْأَقْوَامُ لَا ذُو حِمِيَةٍ |
| عَزِيزَ عَلَيْنَا أَرْضَهُ وَسَمَاؤُهُ | وَمَا مِصْرَ إِلَّا مَوْطِنُ نَحْنُ أَهْلُهُ |

إلى أن قال يستنكر الاحتلال البغيض ويهيب بالأمة أن تحاربه:

ثوى فيه أقوامٌ مللنا ثواءهم ·
 لقد كان يابى أن يذلَّ لغاصب
 لقد كان يرعاه رجال أعزة
 هم تاضلوا عنه فصانوا ذماره
 ويا ربَّ ثاوٍ لا يُملُّ ثاؤه
 فياليت شعرى أين ضاع إباؤه؟
 بهم من صروف الدهر كان احتماؤه
 بصارم عزم ما يُردّ مضاهؤه

* * *

بنى وطنى لا تسخطوه عليكم
 بنى وطنى خلّوا التخاذل إنه
 سلامٌ عليكم من أخ ذى حمية
 فليس سواءً سخطه ورضاه
 بسلاؤكم يحتاجكم وبلاؤه
 دعى فأنار الساكنين دعاؤه

لواء الوطنية

وقال يجد لواء الوطنية ويدعو إلى الالتفاف حوله والتضحية في سبيله:

فداؤك نفسى من لواء محبب
 إذا ما دعى أنصاره التف حوله
 فمنهم قوول للصواب مسدّد
 يدين له الجبار غير معذل
 ومنهم فعول للمكارم ماجد
 هم الصحب صانوا للديار لواءها
 يكرّون كرّ الدارعين إلى الردى
 إذا طلبوا حقا تداعوا فأجلبوا
 حمى جانبيه كل ماضٍ مدرّب
 جحا جحة^(١) من ذائد ومذنب
 يصرف صرّاراً له وقع أشطب
 ويعنو له المغوار غير مؤنّب
 يلبي نداه كل داعٍ مثوّب
 وصالوا على أعدائها غير هُيب
 إذا الحرب أبدت عن عبوس مقطب
 على ساليه فانتثوا غير خُيب

إلى أن قال:

وما منع الأوطان إلا حمائها
 هم ذخرها المرجو في كل حادث
 سلامٌ عليهم من كهول وفتية
 وذادتها من ذى شباب وأشب
 وعدتها في كل يوم عصّيب
 وبورك فيهم من شهود وغُيب

(١) جماعته جمع جحجاح السيد المسارع في المكارم.

كبوة الشرق

وقال تحت عنوان (كبوة الشرق) يستصرخ أهله ليعيدوا إليه سالف مجده:

| | |
|-------------------------------|-------------------------|
| متى ينهض الشرق من كبوته | وحتى متى هو فى غفوته؟ |
| كَبَا وكذلك يكبو الجواد | براكبه وهو فى حلبته |
| ونام كما نام ذو كربة | تملكه اليأس فى كربته |
| وَهَى عَزْمُهُ ما يطيق الحراك | وقد كان كالليث فى وثبته |
| تَجَرَّ عليه عوادى الخطوب | كلا كلَّها وهو فى غفلته |
| نواهبٌ ما كان من مجده | سوالبٌ ما كان من عزته |

إلى أن قال:

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| فيالهِف قلبى لمجدٍ مضى | ويا شوق نفسى إلى عودته! |
| وياهِف آبائنا الأولين | على الشرق إن ظل فى نكبته |
| همُ غادروه كروض أريض | تتوق النفوس إلى نضرته |
| <u>ونحن تركناه للعاديات</u> | <u>ولم نرع ما ضاع من حرمة</u> |
| فأذهبن ما كان من حسنه | وأفنين ما كان من بهجته |

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| فهل يسمح القول أهل القبور | خطيبٌ فيسهب فى خطبته |
| يناديهم فيم هذا الرقاد؟ | كفى ما دهى الشرق من رقدته |
| لقد ضاع بعدكمو مجده | وكل المثالب فى ضيعته |
| وأنتم رجال ذوو نجدة | فلا تقعدوا اليوم عن نجدته |

يدعو إلى بعث مصر

وقال يذكر مجد مصر الغابر ويدعو مواطنيه إلى النهوض لاستعادة هذا المجد:

| | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| أهذى ديار القوم غيَّرها الدهرُ | فعوجوا عليها نبكها أيها السفر |
| محي آيها مرُّ العصور وكرها | إذا مرَّ العصرُ كر من بعده عصر |

نسائلها أين استقلّ قطينها
وكائن ترى من ذى ثمانين خَضِبْتُ
بكى وطننا أودت بسالف مجده
أغارَت عليه من جنوب وشمّال
وهل تنطق الدار المعطلة القفر؟
لطول البكا من شبيه الأدمعُ الحمر
حوادث دهر من خلائقه الغدر
فما برحت حتى أتىح لها النصر

* * *

ألا إنها مصر التي شقيت بنا
مضى عزّها القُدُموسُ^(١) ما يستعيده
هم رقدوا عنها فطال رقادهم
فياويح مصر ما الذى لقيت مصر؟
بنوها فلا عزٌ لديهم ولا فخر
فديتكمو هُبوا فقد طلع الفجر!

ذكرى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢

وقال عن ذكرى احتلال الإنجليز القاهرة يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ :

نلومك يا يوم النحوس ونعذل
فلانحن ما عشنا عن اللوم نرعوى
إلى أن قال:

لعلك أن تأق بما تعد المنى
لحى الله قوماً غلّونا من الأذى
هم خذلوها فاستبيح حريمها
نفوس رجال أوشكت تملل
بما ضيّعوا الأوطان ما ليس يحمل
وما برحت تبغى انتصاراً فتخذل

يهاجم الاحتلال

وقال سنة ١٩٠٢ ينعى على الاحتلال بغيه وعدوانه، وعلى الإنجليز نقضهم للعهود والمواثيق:

فى كل يوم شرعة ونظام
عشرون عاما والديار مريضة
لم يعرف المتطبّبون دواءها
ما هكذا الأحكام والحكام
تنتابها الأدواء والأسقام
فتنوعت فى دائها الأوهام

(١) القدُموس: القديم.

ترك العليل تذييبه الآلام
حتى يعود الداء وهو عقام
أم كيف يزجى عزها ويرام؟
عنها على زجر المهيب نيام

إن الأساة لتعلم الداء الذى
ولربما غش الطبيب عليه
كيف الشفاء لمصر من أدوائها
والصلحون كما علمت وأهلها

إلى أن قال مخاطبا بريطانيا :

علما تُنكسُ تحتَه الأعلام
إن كان منك لِوِثْقٍ إبرام؟
يا هذه، نقضُ العهد حرام
تأق وتذهب بعدها الأعوام
ليطول لولا الجهل منك مقام

يا دولة رفعت على أوطاننا
أين المواثيق التى أبرمتها
لم تحفل بعهودنا فنقضتها
عشرون عاما ما كَفَتِكَ وهكذا
طال المقام وأنتِ أنتِ ولم يكن

وقال يهيب بالأمة أن تهب للجهاد :

ستنيلها أيديهم الأيام

غنموا نفائسه ونم بقية

ويدوم منه البر والإكرام
أودى بهاتيك النفوس أوام
ترعى لدى أمثاله الأرحام

عجبا لهذا النيل كيف نعقه
لو كان يجزينا بسوء صنيعنا
لكنها رَجِمُ الجدود ولم تزل

أبدًا يكلف نصحك ويسام
عنكم وعنك ذلك الضرغام
هُبى فقد أودت بك الأحلام
والمرء يُظلم غافلا ويُضام
حول الحمى مستيقظون قيام
نومٌ عن الأوطان واستسلام
فعليهم وعلى الديار سلام

يا آل مصر خذوا نصيحة شاعر
لا تغفلوا عنها فليس بغافل
يا أمة خاط الكرى أجفانها
هَبى فما يحمى المحارم راقدُ
هَبى فما يغنى رقادك والعدى
شيثان يذهب بالشعوب كلاهما
إلا يحن للراقدين قيامُ

يدعو إلى البذل والتضحية في سبيل مصر

من قصيدة له نظمها سنة ١٩٠٤ بمناسبة إنشاء مدرسة محمد على الصناعية بالإسكندرية:

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| من يُسعد الأوطانَ غيرُ بنيتها | وينيلها الآمالَ غيرُ ذوبها |
| ليس الكريمُ بمن يرى أوطانه | نَهَبَ العوادي ثم لا يحميها |
| ترجو بنجدته انقضاء شقائها | وهو الذى ببقوده يشقيها |
| وتودُّ جاهدةً به دفعَ الأذى | عن نفسها وهو الذى يؤذيها |
| سُبُلُ المكارم للكرام قويمه | فعلامَ يخطئها الذى يبغيها؟ |
| ما أكثر المتفافرين وإنما | فخر الكرام باحت أيديها |
| يحوى الكريم المالَ لا يبغي به | شيئاً سوى أكرومة يحويها |
| والجود يُحمد حيث كان وخيره | مانال أوطان الفتى وبنيتها |
| ولقلنا أرضى امرؤ أوطانه | حتى تراه بنفسه يفديها |

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| يا آل مصر وما يؤدى حقها | إلا فتى يكفى الذى يعينها |
| هى أمكم لا كان من أبنائها | من لا يواسيها ولا يُرضيها |
| وهبتكم الخيرَ الجزيل فهل فتى | منكم بحسن صنيعها يجزئها؟ |
| سعدت لعمرى بالصنائع حقبة | دلّت على (عجل) فمن يتنيها؟ |
| دار الصنائع خير دار تُبتنى | فالله يجزى الخير من يبنيتها |

يطعن في الملوك، ويستتهجن الرتب والألقاب

من قصيدة بعنوان (الشرف والملوك)، وإذا عرفت أنه نظم هذه القصيدة ونشرها سنة ١٩٠٨ فى الجزء الأول من ديوانه، لرأيت أنه أول شاعر وطنى حمل على الرتب والألقاب، وأول من هاجم الملكية والملوك بهذه القوة والشجاعة، فسبق بهذه القصيدة الخالدة عجلة الحوادث بنصف قرن من الزمان، قال:

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| كذَّبَ الملوك ومن يحاول عندهم | سُرْقاً ويزعم أنهم سُرفاء؟ |
| رُتَبٌ وألقاب تُغرُّ وما بها | فخرٌ لمحرزها ولا استعلاء |

أنا تباع وتارة هي خدعة
كم رتبة نعيم الغبيّ بنيلها
لو كان يعلم ذلّها وهوانها
يلقى الكرامة حيث كان وفعله
تلك الجهالة والغرور وباطل
تمنى بشر سُعاتها الأمراء
من حيث جلّها أسي وشقاء
ما طال منه الزهو والخيلاء
جُم المساوئ والمقال هراء
ما يصنع الأغرار والجهلاء

* * *

ذنب الملوك رمى الشعوب بنكبة
لا المجد مجدّ ما عبثت به
مألوا عن الشرف الصميم وأحدثوا
رفعوا لطفام على الكرام فأشكلت
وإذا الرعاة تنكبت سبل الهدى
وإذا الطبيب رمى العليل بدائه
جلى تنوء بحملها الغبراء
أيدى الملوك ولا السناء سناء
ما شاءت الأوهام والأهواء
قيّم الرجال وربت الأشياء
غوت الهداة وطاشت الحكماء
فيمن يؤمل أن يبلّ الداء ؟

* * *

لو جاور الشرف الملوك لأورقت
ظلم يُبرح بالبرىء وغلظة
الحق منتَهك المحارم بينهم
رفعوا العروش على الدماء وإنما
صُم الصخور وضأت الظلماء
يشقى بها الضعفاء والفقراء
والعدل وهمّ والوفاء هباء
تبقى السفينة ما أقام الماء !

يرثى مصطفى كامل

قال سنة ١٩٠٨ من قصيدة له في رثاء مصطفى كامل :

مازلت تقتحم المصاعب مجهدا
حتى طواك الموت غير مجامل
أحييته وقتلت نفسك بالذى
هلا رحمت نفوسنا فرحتها
نفسا موطنّة على الأهوال
شعبا يملك أيما إجلال
حملتها من فادح الأثقال
وبقيت تكفيننا أذى المغتال

وختمها بقوله :

إن كان قد حُمَّ الفراق فوقفة تشفى نفوسا أذنت بزوال
هيهات ما جزع النفوس لراحل سارت به الحدياء غير خيال
سرٌّ فالحياة كما علمت رواية محتومة الأدواء بالآجال

يدافع عن حرية الصحافة، ويلوم الخديو عباس

قال من قصيدة له سنة ١٩٠٩ ينعى على الحكومة تقييدها حرية الصحافة، وفيها يوجه اللوم إلى الخديو عباس الثاني في خذلانه للأمة:

صُبوا المداد وحطّموا الأقاما واطّوا الصحف وانزعوا الأفهاما!
وخذوا على الوجدان كل ثنية واقضوا الحياة مزملين نياما
ودعوا البلاد تذوق من عنت العدا ما شاء خادمها الخؤون وناما

اليومُ نُنْع أن نئن لمؤلّم أو نشتكى الإغنيات والإرغاما
والله لا ندع الشكاية منهم أو يمنعوا الأوصاب والآلما
كيف القرار على الإساءة والأذى أم كيف نكتم في القلوب ضراما؟
ومتى رضينا أن نعيش أذلة فنطيق مسكنة أو استسلاما؟

إلى أن قال يخاطب الخديو عباس الثاني ويلومه:

ماذا بدا لك فاعتزلت صفوفنا أفأصبحت حرب الغزاة سلاما؟
الحرب دائرة وجيشك قائم ينضى السيوف ويرفع الأعلاما
والملك مضطرب ومصر كعهدها تدعو الحماة وتشتكى الأقواما
إن كنت خاذلها ولست بفاعل فحمايتها لا يخفرون ذماما^(١)
أتخون مصر وما تحوّل نيلها سِماً وما انقلب الضياء ظلاما
نبغى لها الشرف الأسمّ مؤيداً بالبأس نؤيس صرحه الهداما

(١) يقصد بحمايتها أبناءها المجاهدين.

ونعز رايتها ونمنع حوضها ونزيد صادق حبها استحكاما
عباسُ رأيك في البلاد وأهلها أن الأذى يستتظم الأوغاما
إن كان عسف فالزمان مؤرخ يحصى لنا الحسنات والآثاما

قلمي. كتابي. أمي. وطني. متى نشفي نفوسا تستطير أواما؟

يندد بملوك الشرق

من قصيدة له سنة ١٩١٢ بعنوان (الملك الزائل) يندد فيها بملوك الشرق لمناسبة ضياع
مراكش بعد توقيع السلطان عبد الحفيظ المعاهدة التي قبل فيها وضع بلاده تحت حماية فرنسا:

هَوَتْ العروش وزُلْزَت زلزالا عرشُ هَوَى وقديم مُلكٍ زالا!
رِيعَتْ لمصرعه المشارق إذ مَشَى فيها النعْيُ وأجفَلت إجفالا
سَلَبَ المغيرُ حياته واستأصلت أيدي الجوائح عِزَّهُ استئصالا
تَنْجُو الممالك مانجا استقلالها فإذا اضمحلُّ أعارها اضمحلَّلالا
أَيْنَ (الخليفة) ما دهاه وما له؟ أرضي المغيرَ وطاوع الغتلالا

ماقام شعبُ نام عنه حماته واستشعر التفريط والإهمالا
تَأبَى العناية أن تصافحَ أمةً ترضى الهوان وتألف الإذلالا

قد كان يأنف أن يكون قرينهم ويعدهم لجلاله أمثالا
لعب الغرورُ به فضيَّع ملكه واعتاض منه مذلة وخبالا
وإذا أراد الله سرا بامريء تبع الغواة وطاوع الجهالا

أخليفة يعطى البلاد وآخر يهوى القيان ويعشق الجريالا؟
أغرور مفتون وصبوة جاهل بش (الخلائف) سيرةً وفعالا

فظائع الإنجليز في مصر إبان الحرب العالمية الأولى

من قصيدة له سنة ١٩١٨ يندد بفظائع الإنجليز في مصر إبان الحرب العالمية الأولى:

| | |
|---|----------------------------|
| أيها الجند ظافراً يتمشى | في الجماهير معجباً مختالاً |
| يوم غاب الحماية واستصرخت مصر | ر تنادى الرجال والأبطال |
| أقتلت الكرامة في الحرب غلباً ^(١) | أم قتلت النساء والأطفال؟ |
| أنصفى (الظالمين) يا (دولة الفا | روق) منا وعلمي (الجهالا) |
| علمينا كيف الحياة نُعا | نيها وصوفى النفوس والآجال |
| خففى الفتك إتنا قد عيننا | ولقينا في ظلك الأهوال |
| إقبضى ظلك (المحب) عنا | واجعلها عقوبة ونكالا |

إلى أن قال يندد بغدر الاحتلال:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ماذكرنا لكم من الخير شيئاً | مارضينا لكم على الدهر حالا |
| نذكر الحكم ظالماً مارأينا | فيه عدلا ولاوجدنا اعتدالا |
| نذكر العهد شيئاً ماعرفنا | فيه حرية ولااستقلالاً |
| نذكر الشر والبلاء جميعاً | فاذكروا عهدكم وشدوا الرحالا |
| رصعوا (التاج) بالوفاء وحلوا | بجلى الصدق (عزه والجلالا) |
| لاتريقوا دم الضعيف عليه | وانظروه من فوقه كيف سالا |
| أكرموا التاج إنكم إن أبيتم | زاد فينا مهانة وايتذالا |
| طال عهد احتلالكم فحسبنا | أن يوم الحساب يدعى احتلالا |

إلى أن قال منذراً الإنجليز بسوء العاقبة:

| | |
|---------------------------|---|
| هل من الله مهرب أونجاة | حين يزجى جنوده والرعالا ^(١) |
| ياأخذ البر والبحار عليكم | ويريكم نزاله والدحالا ^(٢) |
| تلك عقبى الأذى فلاتنكروها | جاءكم يومكم فذوقوا الوبالا ^(٣) |

(١) غلبا، جمع غلب.

(٢) الرعال جماعة الخيل.

(٣) الدحال الامتناع.

فظائع الإنجليز في ثورة سنة ١٩١٩

ومن قصيدة له سنة ١٩١٩ يندد بفظائع الإنجليز في إخماد الثورة وما ارتكبه من القتل والتنكيل بالأبرياء:

| | |
|-----------------------------|----------------------------------|
| من نكبة تدع النفوس شعاعاً | ياسوء ما حمل البريدُ ويا لها |
| يسترسلون إلى المنون سراعاً | ياربُّ ما ذنبُ الذين تتابعوا |
| صرعى وما سألوا العدو صراعاً | جرحى وما حملوا السيوف لغارة |
| عند النداء بتائها الأسماعاً | قالوا (الحياة) فعوجلوا أن يقرعوا |
| فارتاب ثم رآهمو فارتاعاً | (عزيريل) نبيء ما أصاب جموعهم |
| يدمى القلوب ويقصم الأضلاعاً | مرأى يشق على العيون ومشهد |
| ألقي عليه من الحياء قناعاً | لما أطل الظلم فيه بوجهه |
| حتى تراجع طرفه استفظاعاً | ودعا (بنبيرون الرحيم) فما رنا |
| (للمصلحين) مقابراً ورباعاً | وصفو المصاب (لدنشواي) فكبرت |
| كانوا أبر خلانقاً وطباعاً | واستيقنت أن الأولى نكيت بهم |

* * *

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| ومصاب أهلك جاوز المُسطاعا | يامصر خطيئك في الممالك فادح |
| وتصبيهم نُوب الزمان تباعا | قومٌ يروعهم البلاء مضاعفا |
| هوج الحوادث ركنه فتداعى | لأذوا يحسن الصبر حتى زلزلت |
| وتفور مما تحمل الأوجاعا | حملوا القلوب تفور مما تصلى |
| خطب يروّع منهم الأطماعا | إن هاجهم طمع الحياة رمى بهم |
| حمر خلا الوادى فكن سباعا | وإذا أرادوا نهضة نفرت لهم |

* * *

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| يرمون شعباً لا يطيق دفاعا | سفكوا الدماء بريئة وتنمروا |
| ونظل صرعى في البيوت جياعا | لم يذكروا إذ نحن نبذل قوتنا |
| عدلا لمن يألو العدو قراعا | بئس الجزاء وربما كان الأذى |

جاءوا فقوم يضمرون مودة ورضى. وقوم يظهرن خداعا
فتكافأ الحزبان في حالهما ومضت حقوق العالمين ضياعا

إلى أن قال يهيب بالشعب أن يزود عن حقوقه بالمهج والأرواح والإقدام والشجاعة:

لايستقلّ الشعبُ يترك حقه ويرى البلاد تجارة ومتاعا
يخشى العدو فلا يطيق تشدداً وهال منه فلا يريد نزاعا
إن الحياة لأمة مقدامة تعبي العدو شجاعة ومصاعا
تزجى إليه من الحفاظ جحافلا وتقيم منه معاقلا وقلاعا
إن شامها في الحادثات تفرقا عقدت على خذلانه الإجماعا
وإذا أراد بها الهزيمة أرهفت هما يضيق بها الدهاة ذراعاً

* * *

يارب مصر تول مصر وهب لها شعباً يريد لها الحياة شجاعا
لو سيم يوماً أن يبيع بلاده بمالك الدنيا معاً ما باعا

يرثى فريدا

من قصيدة له سنة ١٩١٩ يرثى محمد فريد:

أترى الكنانة كيف تعبت بالدم الله للشهداء إن لم ترحم
أدنى المراتب في الصباية عندهم تلف المحب وطول وجد المغرم
تزجى تحيتها فيكذب دونها أمل الملول ومطمع المتبرم
ضل امرؤ قتلته (مصر) فلم يصن عهد الولاء لها وحق المنعم
معشوقة يجرى مع الدم حبها في قلب نصرانيها والمسلم
بعثته (مصر) مجاهداً ورميت به فرمت بجيش للفتوح عرمرم
خاض الغمار يهد كل كتيبة وهز رايات الكمي المعلم
متجرداً لله يطلب حقه ويقيم جانب شعبه المتهم
فاذا القياصر بالأرائك تنقى وإذا الأرائك بالقياصر تحتوى
كل به فزع وكل جازع يبقى القرار ولا قرار لمجرم

إلى أن قال:

أرضيت ربك في جهادك فاغنم
إلا كباديء حجة لم تختتم
ضدان من ماض وآخر محجم
تنفى غرام المطلب المتهجم
أن المنية مركب المتجشم
وصفوك ظلمًا بالغريب المعدم
قيست كنوز العالمين بدرهم
ويقين ذى الوجدان أفضل منجم
وارتج ما بين الحطيم وزمزم

يا سيد الشهداء بعد رفيقه
ليس الذى بدأ الجهاد فلم يمت
والناس في شرف الحياة وعزها
وأجل ما رزق الرجال همامة
تتجشم الصعب المخوف وعندها
مأوى الممالك والشعوب وماها
لك من يقينك ثروة إن قدرت
إيمان ذى الإيمان أعظم ثروة
ضحى النعاة فضج كل موحد

ثم قال:

وبرئت من ماضيك إن لم تنقِمِ
بين المضاجع والشعوب النوم
فامشى على آثارها وترسمى
خلق المريب وتثيمة المتوهم
إلا مراقبة العدى واللوم

يا مصر حسبك ماضيت من الأذى
إن التى رمت الممالك باعدت
الأر تركض بالشعوب حثيثة
إن كان قيدك لم يحلّ فإنه
سيرى فما بك غير تلك وما بنا

الله جارك فاغتبط وتنعم
نلقى الهموم بكل أغلب أضخم
لفداء (مصر) من المهم المؤلم
وقضيت من حق عليك محتم
ودعت مسلمة عليك فسلم
وكفيت سوء الذكر من لم يخدم
إلا إذا نال السباء بسلم
والحر مؤثمن وإن لم يقسم

يا نازحًا لم نقض حق بلائه
وانقض همومك عن فؤادك إننا
إن المناكب والنفوس بأسرها
ماذا حفظت لأهلها من حرمة
حيثك (مصر) على البعاد فحيها
جاوزت حسن الصنع فى خدامها
كذب المضلل لن ينالك سعيه
أقسمت مالك فى جهادك مشبه

مازلت تسرف في المغارم دائبًا حتى جعلت النفس آخر مغرم
أى القواضب بعد ما قطع النظبا ولوى الأسنة في الوغى لم يثلم
رددت صوتى في الرثاء وإنما رددت من صوت الكنانة في فمى
حيثك فى الملاء العلى وأزلفت حور الجنان إليك شعر (مخرم)
أسفى لأوبة راحل لم تقضها عدة المنى وتحية لم تنظم

ذكرى فريد

وقال سنة ١٩٢٢ فى ذكرى محمد فريد:

ألا فاذكروا من قومنا كل مقدم ففى هذه الذكرى حياة لأقوام
وما الناس إلا الخالدون على البلى وصرف الليالى من هداة وأعلام
هم ثروة الأجيال لولاهم انطوت على فاقة ما تستطاع وإعدام
إذا المرء لم يعمل لما بعد يومه طوى كل حى ذكره بعد أيام

سلامٌ على الحى المقيم وإن طوى إلى المنزل الأقصى ثلاثة أعوام
على الكوكب الطافى على لجة الردى إذا ما طوى الأعمار طوفانه الطامى

ألا فاذكروا الأبطال وابتدروا الوغى وكونوا أولى بأس شديد وإقدام
هى الوثبة الأولى وإن وراءها لما يستجيش الوثب من كل ضرغام

وقال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له فى ذكراه:

جددوا الذكرى لأهل المشرق وصّفوا المجد لشعب شقيق
يعشق المجد فان لجّت به لوعة الوجد تنحى يتقى
علّموه كيف يقضى حقه نابه الموقف حرّ المصدق
وأروه السبل نارًا ودما من يهبّ فيها المنايا يصعق
مزقوا الأوهام عنه إنه ليظنّ السبل من إستبرق

إلى أن قال:

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| يا (شهيد النيل) لو ناجيته | لشفاه منك عذبُ المنطق |
| شاقه الصوت البعيد المرتقى | والمقام الكسروى الرونق |
| وشجاءه أن يرى صمصامه | غير وضاح السنأ فى المأزق |
| جاشت الأحداث تستقصى المدى | وارتقت من كل صوب تلتقى |

إلى أن يندد بانقسام الأحزاب وبمساوئ الحكم القائم وقتئذ (نوفمبر سنة ١٩٢٥) حكم الرجعية والسراى:

| | |
|------------------------------|--------------------------|
| سائل الأحزاب ماذا عندها | غير ترجاف وهم مقلق |
| وتأمل هل ترى اليوم سوى | دولة فوضى وحكم أخرق |
| فات (نيرون) رجال رزقوا | من فنون الظلم ما لم يرزق |
| لو جرى (فرعون) أو (هامانه) | يتعاطى شأوهم لم يلحق |
| سجنوا الدستور طفلا ناعما | واستبدوا بالسجين الموثق |
| لاجرى (النيل) على الوادى ولا | بورك الشعب إذا لم يُطلق |

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| تلك ذكرى (النيل) للنفس التى | عكف (النيل) عليها يستقى |
| هى عين من حياة عذبة | فى يفاع من سناء مشرق |
| فزعت مصر إلى أبطالها | فالبس النقع وسر فى الفيلق |
| سائل القوم أما من غضبة | لذمام صادق أو موثق |
| لا أرى النجدة إلا فى الأولى | هم أولو العهد الأبر الأصدق |
| ننصر الله ونحمى أمة | نحن منها فى الصميم المعرق |
| همة المقدام من آلائها | وبيان العبقرى المفلق |

الحالة السياسية سنة ١٩٢٥

فى سنة ١٩٢٥ عين اللود جورج لويد معتمدا (مندوبا ساميا) لبريطانيا فى مصر خلفا للمارشال ألنبي الذى استقال من منصبه، وقد حضر المعتمد الجديد إلى مصر فى أكتوبر

سنة ١٩٢٥، فنظم أحمد محرم قصيدة يخاطبه فيها ويحذره مغبة السياسة الاستعمارية، وفيها يتدد بانقسام الزعماء وتنكبهم سبيل الإخلاص والسداد، وهيب بالأمة ألا تقع في شرك الاستعمار ومناوراتهم، وأن تصمد في الجهاد. قال:

| | |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| أتسأل مصر ما حمل (العميد) | وهل عند الرماة لها جديد؟ |
| هو السهم الذي عرفته قدما | وجرّب وقّع الشعب الوئيد |
| تمرد مبدئى وطغى معيد | ولم تنزل الرميّة تستزيد |
| (مسيح الهند) إن بمصر شعبا | يشق عليك إن خضع الهنود |
| فما نظر المسالم أين تبغى | ولا عرف المسام ما تريد |
| <u>دع الزعماء إن لهم لَدِينًا</u> | <u>يدين بغيره الشعب الرشيد</u> |
| إذا ذكروا الزعامة فهي دعوى | يكيد بها (الكنانة) من يكيد |
| ولا تبقى البلاد إذا أصيبت | بمن يبغى الزعامة يستفيد |
| <u>لمن تتألب (الأحزاب) شتى</u> | <u>وما هذى الصواعق والرعود؟</u> |
| <u>تداعوا للوغى فهو صريعا</u> | <u>على أيديهم الوطن الشهيد</u> |
| مضت أسلابه تزجى إليهم | فما تمة لدى الأقوام عيد |
| إذا ساد التخاذل في أناس | فأعوّز ما ترى شعبٌ يسود |

إلى أن قال:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| عميد (الغاصبين) نزلت أرضا | يبيد الغاصبون ولا تبيد |
| يذود الواحد القهار عنها | إذا قهرت جنودك من يذود |
| أتذكر إذ لقومك ما أرادوا | وإذ (لكرومر) البطش الشديد |
| تطوف جنوده فتصيد منا | ومن سرب الحمام ما تصيد |
| أتذكر (دنشواى) وكيف كادت | جوانبها بأهلها تميد |
| تضج من العذاب ولا سبيل | إلى غير العذاب ولا تحيد |

إلى أن قال مشيرا إلى طغيان كرومر وكيف أكرهته مصر على الاستقالة من منصبه:

| | |
|-----------------------|---------------------------------------|
| سيوف الجند مظهر كل حق | ورأى (كرومر) رأى السديد |
| أتذكر إذ نعاتبه فيطغى | ويهدر في مقالته الوعيد ^(١) |

(١) يسير إلى خطبته سنة ١٩٠٧ قبيل رحيله عن مصر وقد توعد فيها المصريين ببقاء الاحتلال

أخذناه بقارعة ألحَّتْ
 صدعنا ركنه فانقضَّ هوى
 هوى جبلٍ من العدوان عالٍ
 ونحن القائمون بحق مصر
 ونحن المقبلون على المنايا
 نضن بمصر إن عدت العوادي
 هي الذم المصونة والعود
 عليه فزال واشتفت الكبود
 وذاب الصخر أجمع والحديد
 وزلزل للأذى صرْحُ منسبد
 إذا ما استسلم القوم القعود
 إذا الأبطال كان لهم صدود
 ولكننا بأنفسنا نجود
 فما ينبغي (كرومر) أو (لويذ)

* * *

أخا (السكسون) هل نبئت أنا
 لقد كذبوا عليك فليس فينا
 إذا سعت (الوفود) إليك فاحذر
 فما أجد بمالك أمر مصر
 مضت دنيا القيود وتلك دنيا
 حينما ما حمى الآباء قدما
 بلاد ما تباع وباقيات
 جلاوذة لقومك أو عبيد
 لمن ينبغي الهزيمة مستقيد
 عواقب ما تقول لك (الوفود)
 وما بالشعب جبنٌ أو جمود
 تُذمُّ بها وتُحتقر القيود
 وصان لنا وللتنيل الجدود
 من الآثار معدنها الخلود

يدعو إلى اليقظة السياسية، ويندد بالتراخي في الوطنية

قال سنة ١٩٢٧ من قصيدة في (الشعر السياسي):

تسعى الشعوب ونحن في غفلتنا
 ركبوا متون العاصفات وشأتنا
 نأبى الفعال ونكثر الأقوال
 أن نركب الأوهام والآمالا

* * *

يا باعثِ الموق ليوم معادها
 أعد الحياة لأمة أودت بها
 وأضىء لها سُبُل النجاة ليهتدى
 وتوَلَّها بالصالحات ولقَّها
 تنساب من أجدانها أرسالا
 غفلاتها فثوت سنين طوالا
 من زاغ عن وضح الطريق ومالا
 منك الأمان ووقها الأوجالا

وَأَمْنٌ عَلَيْهَا مِنْ لَدُنْكَ بِقُوَّةٍ تَوْهَى الْقَيْودَ وَتَصْدَعُ الْأَغْلَالَ
 وَاجْمَعْ عَلَى صَدَقِ الْإِخَاءِ فِضَاظَنَا فَلَقَدْ تَفَرَّقَ يَمِينَةٌ وَشِمَالًا
 أَوْدَى بَنَا بَيْنَ الشُّعُوبِ تَبَاغُضُ صَدَعَ الْقُلُوبِ وَمَزَّقَ الْأَوْصَالَ
 تَسْتَفْحِلُ النُّكَبَاتُ بَيْنَ ظَهُورِنَا وَيَزِيدُ مَعْضَلُ دَائِنَا اسْتَفْحَالَ
 اللَّهُ يَحْكُمُ فِي الْمَالِكِ وَحْدَهُ وَيَصْرِفُ الْأَقْدَارَ وَالْأَجَالَ

إلى الشعب

وقال سنة ١٩٢٧ في هذا المعنى موجها الخطاب إلى الشعب:

ادفع بنفسك لا تكن متهيبا ما اعتر في الأقوام من يتهيب
 شرف الحياة وعزها لمغامر يمضي فلا يلوى ولا يتنكب
 أشرع لأمتك الحياة ولا يكن لك في حياتك غير ذلك مأرب

مصر الحياة وحبها الشرف الذى بطرازة الغالى أدل وأعجب
 نفسى وما ملكت يدائ لأمتى وسراة آبائى ومن أنا منجب
 أبني إنك للبلاد وإنها لك بعد والدك التراث الطيب
 شمر إزارك أن نُدبت لنصرها إن الكريم لمثل ذلك يندب
 ما لمرء إلا قومه وبلاده فانظر إلى أى المواطن تنسب
 ليس التعصب للرجال معرة إن الكريم لقومه يتعصب
 للمرء من شرف العشيرة زاجر ومن الخلال الصالحات مؤدب

حكم التاريخ

من أنعم التاريخ أن حسابه حق وأن قضاءه لا يُشجب
 تقف الخلائق تحت راية عدله فيقام ميزان الحقوق ويُصب
 في موقف جلال تجيش جموعه فيداس فيه متوجج ومعصب
 ملك الزمان فما لعصر موئل يحميه منه وما لجيل مهرب

يخاطب النيل

يانيل والموفون فيك قلائل
قُتل الوفاء فما غضبت وإنما
تهب الحياة له وليس لقاتل
مَن لى بشعب فى الكنانة لا القوَى
متألب يبغي الحياة كأنه
أين الرجال العاملون فإنما
ليت الزعاف لمن يخونك مشرب
يحمى الحقيقة من يغار ويغضب
فى غير حكمك من حياة توهب
تنشق منه ولا الهوى يتشعب
جيش على أعدائه يتألب
تبقى المماك بالرجال وتذهب

وطن يعذب فى الجحيم

فلسطين الشهيدة

من قصيدة نظمها سنة ١٩٣٨ عن مأساة فلسطين:

لبيك يا (وطن الجهاد) ومرحبا
لبيك إذ بلغ البلاء وإذ أبى
من ذا يرى دمه أعز مكانة
وطن يعذب فى الجحيم وأمة
بقلوبنا الحرى وفى أحشائنا
وبنا من الألم المبرح ما بها
نتجرع البلوى وندرع الأسى
إننا لنعلم أن آكل لحمهم
جعلوا الكفاح عن العروبة حرثهم
يسقون مازرعوا دما فى مخضب
(البيت) يطرب من أنين جراحهم
ليبك من داع أهاب وتوبا
جد الزمان وصرفه أن نلعبا
من أن يخضب من (فلسطين) الرطب
أعزز علينا أن تصاب وتكبا
ما شب من أشجائها وتلهبا
وأرى الذى نلقى أشد وأصعبا
نرعى لإخوتنا الذمام الأقربا
سيخوض منا فى الدماء ليشربا
وتعهدوه فكان حرثا طيبا
لولا الدم الجارى لأصبح مجدبا
أرأيت فى الدنيا أنينا مطربا؟

وقال يحمل ساسة بريطانيا وأمريكا مسئولية مأساة فلسطين:

إن الذى زعم السلام مُرادُه
إن كان قد غمر الزمان وأهله
جعل الدماء سبيله والمركبا
كذبا فمن عاداته أن يكذبا

أرأيت إذ سكب الدموع غزيرةً
متصّنعٌ باسم الضعيف يُريّقُها
ما كان أصدق نُسكه لو أنه
يَهْدِي بِذكر العدل في صلواته
يا أبي الحياء لمثلها أن يُسكبا
وهو الذي تَرَكَ الضعيف مُعَذِّباً
رحم البريء ولم يُجَابِ المذنباً
أرأيت عدلاً بالدماء مُحَضَّباً؟

وقال يهب بالأُمم العربية أن تهب لنجدة فلسطين:

رُسِّل العروبة هل أُسيتم جُرحها
جُرْحُ تقادم عهده وتفتحت
أنتم أساةُ الجُرح فاتَّخِذُوا له
وصفَ الدواء لكم وخَلَفَ عِلْمه
ما باله استعصى وماذا أعقبا؟
أفواهه تدعو الأساة الغُيبا
مِنْ طِبِّ شَيْخٍ أُسَاتِكُمْ ما جَرِّباً
فيكم فأين يريد منكم من أبي؟

يا قومُ لستم بالضعاف فغامروا
أفما كفاكم قوةً من دينكم
يا (آلَ يَعْرَب) مَنْ يريني (خالدا)
من شاء منكم فَلْيَكُنْهُ ولا يقل
السُّرُّ باقٍ والزمانُ مجدَّدٌ
وخذوا مطالبكم سراعاً وثباً
ماجمَع الإيمان فيه وألباً
يُزْجِي الخُميس ويستحث المِقْنبا
ذهب القديم، فإنه لن يذهب
والسيفُ ما فقد المضاء ولا ثباً

رُدُّوا المظالم عن محارم أمة
لم يَعْطِ أوطانَ العروبة حقها
رُدَّتْ ظنون ذوى الجهالة خُبياً
من كان يطمع أن تُبَاعَ وتوهبا

يشفق على الفلاح

ومن قصيدة له بعنوان (رحلة عابسة) سنة ١٩٤٠، وقد مر ببعض القرى وتحركت شاعريته
إشفاقاً على الفلاح. قال :

ويُلى على فلاحٍ مَصرَ أمّا كَفَى
يُغنى ألوف المترفين بماله
سبحان من شرع السبيل لخلقهِ
ما ذاق من عنَتٍ ومن إرهاب
ويعيش في فَقْرٍ وفي إملاق
أكذا يكون تفاوت الأرزاق؟

أحمد نسيم

١٨٨٠ - ١٩٣٨



شاعر مبدع، من أعلام الشعر الوطني، يمتاز بجذالة الأسلوب، وتدقق المعاني والأحاسيس الوطنية في قصائده، لا يقل شعره رواء وحسن ديباجة عن شعر شوقي وحافظ وأحمد محرم.

ولد سنة ١٨٨٠، واعتنق منذ صباه مبادئ الوطنية، وتجلت مواهبه الأدبية وهو في سن مبكرة، فامتزجت الوطنية بروحه الشاعرية، وتمشت في قصائده الغر، وأضفت عليها جمالا ورونقا وبهاء، وجعلت لها رنيناً موسيقياً يأخذ بمجامع القلوب.

سمى (شاعر الحزب الوطني)، واعتز هو بهذا اللقب، وسجله في ديباجة ديوانه الذي ظهر في جزئين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٠، وأهداه إلى المرحوم محمد فريد زعيم الحزب الوطني إذ ذاك، قال في كلمة الإهداء:

رئيسي المحبوب

«أما بعد فإنني أتشرف بإهداء الجزء الثاني من ديواني إلى سعادتكم لاحتوائه على القصائد الوطنية التي نظمتمتها ما بين سنتي ١٩٠٩ و ١٩١٠ ميلادية، وقد اعتمدت في نقلها على الصحف التي تفضلت بنشرها مبقياً ديباجتها كما هي حتى لا يغرب عن ذهن القارئ على مدى الأيام وصف الحادث الذي نظمت القصيدة بسببه».

«وإنني إذا أهديت ديواني إلى سعادتكم فكأنني أهديته إلى الأمة المصرية التي يمثلها حزبكم الموقر».

أحمد نسيم

شاعر الحزب الوطني

ويعدّ نسيم ثاني الطبقة الأولى من شعواء الحزب الوطني، وأولهم أحمد محرم، وثالث الثلاثة المعاصرين أحمد الكاشف الذي سنتحدث عنه فيما يلي، وجميعهم تبدأ أَسْمَاؤُهُمْ (بأحمد).

وتبدو مكانة نسيم الممتازة في عالم الشعر من قول إسماعيل صبرى شيخ الشعراء في تقرّظ
الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٨ :

لَكَ فِي الشَّعْرِ يَا (نَسِيمُ) مَعَانٍ بَاهِرَاتٌ تَحَارُ فِيهَا الْعُقُولُ
كُلُّ بَيْتٍ يُطْلَى مِنْهُ عَلَى أَفْهَامِ أَهْلِ النُّهَى مُحْيَاً جَمِيلَ

ولما ظهر الجزء الثانى سنة ١٩١٠ قرّظه صبرى أيضاً ببيتين آخرين رقيقين قال :

أَيُّ غُصْنٍ فِي الرُّوْضِ هَزُّ (نَسِيمُ) نُثِرَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْأَزْهَارُ
حَبِذَا شَعْرُهُ الْجَنَى وَأَهْلًا بَبِيَانٌ تُزْهِى بِهِ الْأَشْعَارُ

يؤيد مصطفى كامل في قطع علاقته بالخديو

قال نسيم مخاطباً مصطفى كامل بمناسبة كتابه إلى الخديو عباس الثانى بقطع علاقته به سنة
١٩٠٤ :

| | |
|--|--|
| خطيب الشرق لا تلوى العنانا | فأنت المرء أوقرهم جنانا |
| وأَمْضَاهُمْ إِذَا كَتَبُوا يِرَاعَا | وأَذْلَقَهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانَا |
| لَقَدْ دَافَعْتَ دَهْرًا عَنْ بِلَادِ | قَدْ افْتَخَرْتَ بِمَدْرِهَآ زَمَانَا |
| وَكَمْ رُمْتَ الْعِلَاءَ لِقَوْمِ مِصْرَ | وَكُنْتَ أَشَدَّ مِنْ فِيهَا جِنَانَا |
| بِقَلْبِ عَافٍ أَرْزَاءَ اللَّيَالِ | كَمَا عَافَ الْمَذَلَّةَ وَالْهَوَانَا |



| | |
|---|--|
| وجانبتَ الأمير وأنت تنوى | فعالا لا يكون بها مُدَانَا |
| وَكَمْ مِنْ فُرْقَةٍ صَعِبَتْ فَهَانَتْ | وَكَمْ مِنْ طَارِئٍ أَخْنَى فَهَانَا |
| فَرَدْنَا مُصْطَفَى وَازْدَدَ ثَبَاتَا | يَزِدُّكَ الْقَوْمُ شُكْرًا وَامْتِنَانَا |
| مَدَحْتُكَ لَا لَجَائِزَةٍ وَلَكِنْ | وَجَدْتُكَ خَيْرَ مَنْ يُهْدَى الْبَيَانَا |
| هَدِيَةِ شَاعِرٍ أَظَلَّ يُطْرَى | وَيَمْدَحُ فِيكَ أَخْلَاقًا حَسَانَا |
| فَكُنْ لِلشَّرْقِ سَاعِدَهُ الْمَرْجَى | تَزُرُّكَ قِصَائِدَى أَنَا فَاَنَا |

يهاجم المعتمد البريطاني

ومن قوله سنة ١٩٠٧ مخاطبا اللورد كرومر لمناسبة رحيله عن مصر بعد خطبته التي هاجم فيها المصريين والإسلام:

| | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| يا لورد هل لك في الإسلام من غرضٍ | ترمى إليه بسهم منك مسنون؟ |
| هجوَت قومي وما فارقت أرضهم | حتى تجرأت أن تتحي على الدين |
| رأيت أنك لست المرء تصلحنا | ولست فينا على مصر بأمون |
| غادرتها وهي للتقرير صارخة | إلى الإله بقلب منك مخزون |
| فلا رماك الحيا إلا بداجنة | تهمى عليك بزقوم وغسلين |

يمجد الشرق ويحزن لحالته

قال يمجّد الشرق ومصر ويحزن لحالتها:

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| تداعت رواسى الشرق فانهار جانبه | وما هم حتى أقعدته نوائبه |
| تحاربه الأعداء من كل جانب | ولم يكفهم أن الزمان يحاربه |
| تحدّ على هاماته شفراته | وترهف فوق الناصيات قواضيه |
| وحسبك أن الشرق في كل أمة | مآثره مشهورة ومناقبه |
| تخرّج منه الفاتحون لأرضه | فماجت به بطحاؤه وسباسبه |
| وكم كان للشمس المضيئة مطالعا | أفق معالٍ لا تغيب كواكبه |

إلى أن قال:

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| وما الشرق إلا موطن عيشت به | على غرة أبناؤه وأجانبه |
| أضاعوا حمى يجرى النضار بأرضه | وتهمى عليه باللجين سحائبه |

يهاجم أسرة محمد على

وقال سنة ١٩٠٨ مخاطب مصر ويهاجم أسرة محمد على وهى فى إبان سلطانتها:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------------|
| رثيتك يا أرض الفراعنة الألى | قضوا فى بلوغ المجد ما الحق واجبُه |
| ورثت بفضل العلم عزّا ممنعا | فما بات إلا وابن غيرك غاصبه |

ولا خير في عرشٍ من الغرب رَبِّهِ
أفبقى فما في الجهل إلا مذلة
أنيرى ظلام الشرق بعد انسداله
ولا تقنطى من رحمة الله مرة
وددت بلادى أن تسود بنفسها
ولا خير في مال من الغرب كاسبه
ولا العلم إلا سودد عزَّ صاحبه
فعند طلوع الشمس تجلو غياهبه
إذا شيم من برق انخذالك خاليه
لأكتب فيها خير ما أنا كاتبه!

يدعو الأمة إلى الجهاد

ومن قوله سنة ١٩٠٨ يدعو الأمة إلى الجهاد والذود عن حقوقها واستقلالها:

هَلَمْ ندافع جهدنا عن بلادنا
كذلكم الرئبال تعروه سورة
ومن فقد استقلاله عاش هينا
هلم نخض غمر الصعاب إلى العلا
عسى يسعد الجد الذى مال نجمه
ألم نك كالليونان أهلاً لمجلس
ألم نك كالبلغار والصرى في الحجا
ألم نك أرقى من ممالك لم تقم
أليست بلاد النيل أول أمة
علوم وأخلاق وفضل وهمة

وقال يفند مطاعن كرومر على المصريين:

فحتام ذياك العميد ينوشنا
فطوراً يعاديننا بتقرير كاشح
وياليتة رد الدليل بمثله
إذا عجز المقهور عن قهر خصمه
بناجذ سرحان وظفر عقا
وطوراً يناوينا بنشر كتاب
وخفض من طعن له وضراب
لدى البطش لم يلجأ لغير سباب

يرثى مصطفى كامل

وقال سنة ١٩٠٨ في رثاء مصطفى كامل من قصيدة تزيد على ستين بيتاً:

ما بال دمعك لا هام ولا جارى
هل اكتفيت بما في القلب من نار؟

جفّت دموعك من عينيك واستترت
ضاع الصواب ونفس المرء ساهمة
فيها لواعج أحزان وأكدار
ما بين أقضية تجري وأقدار

* * *

يا طائرَ البين لا قرّبت من سكنٍ
نعيتَ خير فتى كنا نؤمله
ولا هدأت بأفنان وأوكار
فليمرح الذئب ما شاءت مهائنه
يوم الرجاء لأوطان وأوطار
لا أيّد الله أعداء أذلهم
فقد غفّت عنه عينُ الضيغم الضارى
حتى أقاموا بدار الذل والعار

* * *

يا بائع الصبر إن الناس في جزع
ما زال يدأب حتى خانته قدر
فبع لهم كل مثقال بدينار
ألقى عليه عصا دأب وتسيار

وقال يصف الجنّازة واحتشاد الجموع فيها:

أعزّز على حامله فوق أعينهم
كأنما النعش عرشُ زانه ملك
أن يرجعوا بأكف منه أصفار
كأنما الناس حول النعش مائجة
يشى الهوينا بإحلال وإكبار
فلو يعدّون ما أوفى بهم عدد
أمواج مضطرب الآذنى زخار
كأنما لجب الباكين من هلع
كصيّب القطر لا يحصى بمقدار
هزيم رعد أجش الصوت هدار
كأنما الأرض قد سدّت طرائقها
بالناس من ثابت فيها وسيار

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩٠٨ في رثائه:

أملُ نأى عن أرض مصر وزالا
يا نائبًا عنا وكنت محسّدًا
أضْمى القلوب وقطّع الأوصالا
مدّت إليك يد المنون فأنشبت
فينا كما كنت الشريف فعالا
بقلوبنا قضبا لها ونصالا

إلى أن قال:

إننا سنبقى ذكر فضلك خالدا
قد كنت أفضل من يزود لسانه
لنكون في صدق الوفاء مثالا
فليسقى شؤبوبُ الحيا لك موحشا
عنا وأصدّق من يقول مقالا
قد ضم مجدًا بينه وجلالا

يؤيد فريداً في جهاده

قال سنة ١٩٠٨ مخاطباً محمد فريد رئيس الحزب الوطنى مؤيداً له في جهاده:

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| إجهر برأيك إن الحق قد غلبا | هذا يراعُك يحكى السيف ما كتبنا |
| أرى المضلين قد زاغت بصائرهم | ومن يظن الدجى صبحاً فقد كذبا |
| يسرُ في طريقك لا تحفل بذمهم | ولا يهزك مغرور إذا غضبنا |
| لأنك ترجو افتقاراً منهم نشباً | ولا تؤمل من إحسانهم رتباً |
| لازلت بالحق بين القوم تحذلم | حق تراهم وكُلُّ في الوغى هرباً |
| فاهزم كتائبهم وافلل مضاربهم | واسلل يراعك واكتب عنهم العجبا |

يندد بوزارة مصطفى فهمى

وقال في نوفمبر سنة ١٩٠٨ يندد بوزارة مصطفى فهمى على أثر سقوطها، وكانت موالية للاحتلال:

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| ما للوزارة ذات الضعف والفشل | باتت على دارس أعفى من الطلل؟ |
| وزارة بلغت بالوهن غايتها | في كل نائبة أو حادث جلل |
| ترحلت غير مبكى على أحد | وودعت غير مأسوف على رجل |
| إن زال مجد الفتى أو زال منصبه | فذكره بعد في التاريخ لم يزل |
| يا هيئة الصم بيني غير راجعة | إلى جمودك في أيامك الأول |
| وزارة مالها في الخير صالحة | ولا على صولة الأيام من قبل |
| كانت تمائيل بين القوم قائمة | <u>بلا لسان ولا قلب ولا عمل</u> |

يندد بالخدو عباس

وقال في ديسمبر سنة ١٩٠٨ حين تنكر الخديو عباس الثانى للحركة الوطنية، وحيل بين جموع الشعب والأقتراب من موكبهِ لمطالبته بالدستور:

| | |
|----------------------------|----------------------|
| خطوبُ ما لها أبداً نصير | وأمر حل في مصر خطير |
| لئن كُرهت حياة الشعب يوماً | فخير لو تفتحت القبور |

أياربُّ الأريكة قد رضىنا بأنك لا تُزار ولا تزور
وهيْنَا نطلب الدستور جهرا ألا يرضيك ذِيَاك الشعور؟
أغيرك في الملوك وأنت أدرى له شعبٌ على البلوى صبور؟
فهل خدعتك في البهتان ناس أرادوا أن يسوء بنا المصير؟
(أمور يضحك السفهاء منها ويبكى من عواقبها الخبير)

يمجد الوطنية في رأس السنة الهجرية

وقال سنة ١٩٠٩ في الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية (١٣٢٧) الذي أقامته لجنة الحزب الوطني الفرعية ببولاق بمدرسة الشعب يمجّد الوطنية ويخاطب فريداً:

قد مثلونا في التعصب مثلياً قد شاءت الآثام والأوزارُ
كذبٌ قد أبدعوه حتى ما لهم في مصر إلا الكيد والإضرار
بأن الضلال من الهدى وبدا لنا في منهج الحق القديم منار
يا أمة ثبتت على كيد العدى لا تجزعى إن الثبات فخار
سيرى إلى طلب (الجلاء) ولا تنى تمنح من العلياء مانختار
أفريد لا تخذل بلادك بعدما جمعت لديك أولئك الأنصار
هذى الشبيبة قل لها لا تحجمي مافي ثبات المقدمين شنار
لك من يراع الكاتين صوارم ولديك منهم جحفل جرار
ترمي العداة إليك سهم سموها ويسدود عنك الواحد القهار
دعهم كما شاءوا ليوم حسابهم فلهم كما شاء الهوى أطوار
إنا قد اخترناك خير مدافع يرضى به الرحمن والمختار

وفي سنة ١٩١١ ألقى قصيدة أخرى في تحية السنة الهجرية (١٣٢٩) بالاحتفال الذي أقامته الطلبة لهذه المناسبة بدار التمثيل العربي يوم أول يناير سنة ١٩١١، وقد حضره المرحوم محمد فريد، وأشار الشاعر في مطلع قصيدته إلى ما أصاب الحركة الوطنية من اضطهاد في العام السابق. قال:

تَجَلَّى العام فاستجلوا الهللا فلإني شِمتُهُ للسعد فالأ
سأطريه متى عزت بلادى وقد رُزقت كما رُزق الكمالا

وأمدحه متى قمنا بمصر
فأما والبلاد وساكنوها
فلست بناظم فيه قريضا
ولا أنا قائل فيه مقالا
وأرجعنا لها ذاك الجلالا
يزيد الدهر حالتهم نكالا

* * *

إلا نطالب الأعوام خيرا
تمر وتنقضى منها ليال
وتلك ممالك الإسلام كادت
فلست أخصها بالذكر عنا
ولم تنعم لنا الأعوام يالا؟
بأرزاء الزمان غدت حبالا
صروف الدهر تخبلها خبالا
ونحن من البلاء أشد حالا

* * *

أيا عاما تقضى بشس سهم
فقالوا هل صروف العام كانت
هموم لو رَشَقَتْ بها فؤادا
لقد حملتنا للضيم عبئا
وقد أجريت دمع القوم حتى
ولولا ذكر أحمد^(١) كل عام
رمى به الغوائى والرجالا
نزاعا قلت بل كانت نزالا
لكانت في جوانبه نبالا
ثقيلا لا نطبق له احتمالا
كأننا كلنا قوم ثكالى
لما صَغْنَا لك الذكر الحلالا

المضى في الجهاد

أرى فِرَقًا قد افتترقت بمصر
أناس أخلصوا من بعد زيغ
وأقوام قد أرتدوا جهاراً
وقال الناكصون كفى غلوا
خلاتق في الكارم لم يمدوا
أولئك عصبة بالخزى باءوا
ورامت عن أوصلها انفصالا
وثابوا بعد أن ألقوا الضلالا
فساءوا في عواقبهم مآلا
والأ ذقتهم منه السوبالا
يميننا للفعال ولا شمالا
فسموا الخزى والجبن اعتدالا

(١) يقصد الرسول ﷺ.

وقال يخاطب الشباب :

| | |
|---|---|
| غَدُوا لِلنَّشْءِ بَعْدَهُمْ مِثَالاً | أُنَابَتَةُ الْبِلَادِ وَخَيْرَ نَشْءٍ |
| عَرَى الْقُرْبَى فَنَنْخِذْلُوا انْخِذَالاً | عَلَيْكُمْ بِالْإِخَاءِ وَلَا تَقْلُوا |
| إِذَا لَمْ تَحْسِنُوا عَنْهُ النُّضَالاً | سَيَنْدُبُ حَظَّهُ الْوُطْنَ الْمَفْدَى |
| وَلَا تَشْكُوا السَّأْمَةَ وَالْكَلالاً | فَجِدُّوا فِي عُلُومِكُمْ صَفَاراً |
| بَلَا عِلْمٍ فَقَدْ رَامَ الْمَحَالاً | فَمَنْ رَامَ الْكَوَاكِبَ وَالْدَرَارَى |
| فَلَا تَنْسُوا بِرَبِّكُمْ الْقِتَالَ | وَإِنْ صَرْتُمْ رِجَالُ النِّيلِ يَوْمَا |
| حَصِيفَ وَاجْعَلُوا الْحَسَنَى جِدَالاً | وَذُودُوا عَنْهُ مَا اسْطَعْتُمْ بِرَأَى |
| عَلَى رَغَمِ الْخُطُوبِ وَلَنْ يَزَالَا | وَمَا زَالَ الرَّئِيسُ ^(١) لَكُمْ كَفِيلاً |
| تَزِيدُوا عُرْوَةَ الْوُدِّ اتِّصَالَا | وَكُونُوا لِلْأَجَانِبِ خَيْرَ عَوْنٍ |
| مَحَوْتُمْ عَنْكُمْ قِيلاً وَقَالَا | إِذَا عَشْتُمْ وَإِيَاهُمْ بِخَيْرٍ |
| نَسِيمٍ فِي قَصِيدَتِهِ تَغَالَى | لَقَدْ أَوْجِزْتَ خِيفَةً أَنْ يَقُولُوا : |

الجهاد في سبيل الدستور

وقال يستحث الأمة على طلب الدستور وعلى الاتحاد والثبات في ميدان الجهاد :

| | |
|---|---|
| عَنْكُمْ شِفَارُ الظُّبَا مَخْضُوبَةٌ بِدَمٍ | فَلَا تَفْكُوا عَرَى الْقُرْبَى وَلَوْ رَجَعْتَ |
| فَتَقْرَعُوا السِّنَّ مِنْ ذُلٍّ وَمِنْ نَدَمٍ | وَلَا تَضِيعُوا مِنَ الدِّسْتُورِ فُرْصَتَهُ |
| أَوْ تَسْأَمُوا فَاحْتِمَالِ الذِّلِّ فِي السَّأَمِ | إِنْ تَيَاسَوْا فَانْتِهَاءُ الْيَأْسِ مَسْكَنَةٌ |
| قَوْمٌ نِيَامٌ وَشَعْبٌ غَيْرُ مِلْتَنَمٍ | مَا نَالَ قَطُّ الْمَعَانَى وَهِيَ دَانِيَةٌ |
| مَعَ الْهَوَانِ إِذَا كُنْتُمْ ذَوَى شَمَمٍ | خَيْرٌ لَنَا الْمَوْتُ مِنْ عَيْشِ نَكَابِدِهِ |

ذكرى مصطفى كامل

وقال في فبراير سنة ١٩٠٩ في ذكرى مرور العام الأول على وفاة مصطفى كامل، وقد ألقى

(١) يريد الزعيم محمد فريد وكان حاضراً الاحتفال. وكانت النيابة العامة قد استدعته لاستجوابه في تهمة صحفية باطلة، ثم أحالته إلى محكمة الجنايات، وقد حوكم فعلاً وقضت عليه المحكمة ظلاً في ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالحبس ستة أشهر.

هذه القصيدة في دار اللواء بين يدي محمد فريد وأعضاء الحزب الوطني قبل أن يتحرك موكب الذكرى بالمسير:

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| ما بال عينك بالمدامع تسجُم | رَفَقًا بنفسك فالقضاء محتم |
| قد عادت الذكرى فجَدَّدَ عودُها | بين الحشا جرحا يشور فيؤلم |
| يا يوم كامل كنت يومًا قائمًا | كالليل أقبل وهو أسود أقم |
| يا يوم لا كانت طلائعك التي | بالنحس أنذر وجهها المتجهم |

وختمها بقوله مخاطبا محمد فريد:

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| أفريدُ يا ابن الأكرمين تحيةً | من شاعر لعقود مدحك يَنْظُمُ |
| أفريد يقرئك السلامَ معاشرُ | مدُّوا إليك يد الولاء وسلّموا |
| حصّنت بيضتهم وصنّت ذمارهم | بعزيمة قد أصغرت ما استعظموا |
| رَكَبُوا مطايا الحزم نحو رئيسهم | إذ أنت بينهم الأجلّ الأحزم |
| فاضرب برأيك في مواقف جمة | فالرأى في بعض المواقف مخذم |

يهاجم الاحتلال في إبان سلطانه

قال سنة ١٩٠٩ من قصيدة يحمل فيها على الاحتلال ويفضح نكثه بعهوده ويستنهض الهمم للجهاد، وقد بدأها يستصرخ الإنسانية لتمد إلى مصر المكافحة يد العون والتأييد، وهي من عيون الشعر الوطني:

| | |
|-----------------------------------|---|
| يا نَاشِرِينَ لواء العدل في الأمم | الله في أمة أنت من الأُلمِ |
| مُدُّوا إلينا يدا بيضاء تشكرها | عند التحدث شكر الروض للديمِ |
| إنّا مُنينا بأقوام جبابرة | ما بين مغتصب منهم ومحتكم ^(١) |
| لو استطاعوا لساقونا أمامهم | ما بين متهم منا ومجترم |
| جاءوا إلينا وفي أيمانهم سرف | يؤهون به في العهد والقسم |
| قالوا لنا: إننا جئنا بلادكم | نبني لكم ركن مجد غير منهدم |
| حتى تخدرت الأعصاب وانسدلت | على العقول سجوفُ البطل والوهم |
| ولم يزالوا على هذا الدعاء وهم | لا يقصدون سوى الإخاد للهمم |

(١) يريد المحتلين.

حتى إذا انتبهت منا جوارحنا
حَكُّوا القلوب فأذكوها ورُبَّتْها
فلا عهد لهم ترعى ولا ذمم
صَبَّوا على مصر سَوَطا من تعنتهم
هم أخرجونا بهذا الضيم من زمن
وأدرك الحال فهم الحاذق الفهم
أَدَّى إلى النار حَكَّ البارد الشيم
كما استباحوا الدينا النكث في الذمم
وأججوا في حشاها جَمْرَ بَغْيهم
فلن همنا يدفع الضيم لم نلَم

* * *

ياقائمين بأمر النيل حَسْبُكم
ناموا هنيئًا قريرى العين أن لنا
ما أخرج القوم من ظلم ومن غشم
عَيْنًا من الشعب لم تغفل ولم تنم

وقال فيها يدعو الشعب إلى الاعتماد على نفسه:

أنت يا شعب وادى النيل كن حَكْمًا
كم أمة حكمت في مصر وارتحلت
سَلْ أمة الروم هل أبقت لنا أثرًا
مضوا ولم يتركوا في مصر ماثرة
هذى عجائب هذا القطر من زمن
فليس غيرك من مستنصف حكم
عنها حليفة جد بعد لم يقم
يبقى على الدهر أو سَلْ أمة العجم
ينبيك عنها لسان النيل والهزم
وتلك حالات وادى النيل من قدم

يحى جريدة العلم

قام في سنة ١٩١٠ خلاف على ملكية (اللواء) بين بعض ورثة المرحوم مصطفى كامل، طرح أمره أمام القضاء، وعين حارس قضائى على اللواء، وكانت صحيفة الحزب الوطنى، وأراد الحارس أن يتدخل فى تحريره وتوجيه سياسته، فرفض المرحوم محمد فريد هذا التدخل، وأنشأ جريدة (العلم) وجعلها لسان حال الحزب الوطنى، وابتدأ ظهورها يوم ٧ مارس سنة ١٩١٠، فحيها نسيم بقصيدة بديعة، قال:

ألا فليخفق (العلم) الجديد
أياعلم البلاد عليك منى
أرى الأعلام معلقها بناء
بربك خبر الأقوام عنى
يمينا إن طالعه سعيد
سلام الله ما خفقت بنود
ومعك الجوانح والكبود
باتنوى الوزارة والعميد^(١)

(١) وزارة محمد سعيد والعمد إلدون جورست معتمدا برطانيا.

رفعت لنا وبالأبصار شك
فجئنا من لدنك بكل فآل
وإن كنا نرى الأعلام شتى
من الشبهات والأيام سُودُ
تحذاه التيمّن والسعود
فأنت وربك العَلمُ الفريد

أيا(عَلم) البلاد أرى احتلالا
أصرّ على الجفاء ونحن شعب
وكم من جذوة في القلب شبت
فقل لهم أنيسروا كل عسف
مقّ ينأى احتلال النيل عنا
قَصُوا فينا بما شاءوا وصدّوا
لقد فرحوا بما أوتوا فجاروا
ضروب في المكاييد يوم تُحصى
وكم ودّوا الشقاء لأهل مصر
مكاييد يفزع التاريخ منها
كأنا عنده نفرّ عبيد
أضرّ به التعسف والوعيد
فلم يدرك تأججها الخمود
فريحُ العاسفين لها ركود
وتصدق منه هاتيك الوعود؟
كما راموا فهل نفع الصدود؟
وللباغى إذا عقلوا حدود
عليهم ليس يحصيها العديد
كما شقيت بظلمهم (الهنود)
ويصف عن إعادتها المعيد

أقول الحقّ لا أخشى انتقاما
أنّ المضيّم فقال رفقا
إذا مدّوا حبال السوء يوما
يهمّ إليه (طاغية) مريد
تشدّ له السلاسل والقيود؟
فإن الله يومئذ شهيد

أيا(عَلم) البلاد إليك شعرا
ودونك عقد نظمي من جنان
يريد الشامتون بنا نكالا
فكن في الحق مثل الحق يمضى
ولا تتبّع هواهم بعد عِلمٍ
فليس بنافع فيهم رشاد
تردده التهائم والنجود
ومن درر يقال لها قصيد
(وياي الله إلا ما يريد)
يكنّ لك بينهم بأس شديد
يضلوا في الغوالة أو يزيّدوا
ولا من بينهم رجل رشيد

إلى الزعيم محمد فريد في سجنه

في سنة ١٩١١ حوكم الزعيم محمد فريد أمام محكمة الجنايات بتهمة أنه حبّذ الجرائم وأهان الحكومة إذ كتب مقدمة لكتاب (وطنيتي) الذي تضمن قصائد نظمها الأستاذ على الغياقي، ومع أن هذه المقدمة كتبها الزعيم دون أن يطلع على محتويات الكتاب وقبل أن يتم المؤلف وضعه ثم سافر الزعيم إلى أوروبا في مايو ولم يظهر الكتاب إلا في شهر يولييه، وليس في المقدمة ما يقع تحت أى نص من قانون العقوبات. ومع ذلك فقد أقامت عليه النيابة الدعوى العمومية، وكان الغرض من محاكمته إرهابه وتهديد أنصاره واضطهاد الحركة الوطنية، وقد حكم عليه في ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالحبس ستة أشهر في هذه التهمة الباطلة، ونفذ فيه الحكم يوم صدوره.

فنظم أحمد نسيم قصيدة من روائع الشعر الوطني بعنوان (إلى الرئيس في سجنه) حيّاه فيها بأبلغ تحية، وعبر عن الشعور العام بإزائه أصدق تعبير، قال:

| | |
|-------------------------------|---------------------------------------|
| ياليت سجنك لم يكن بمقدّر | فاصبر على المقدور ستة أشهر |
| قد جلّ رزؤ الشعر حتى خلّته | بعض الرثاء وأنت لما تقبر |
| لولا احترام الحاكمين وحكمهم | لجعلته مثل الشواظ الأحمر |
| أقصرت في ما قلت حتى لم تسَلْ | أمقصرا أم كنت غير مقصر ^(١) |
| وتركت أقبالدفاع فلم تعن | بالمدره المشهور أو بالأشهر |
| يكفيك عطف العالمين ووجدهم | من أكبر يطأ الثرى أو أصغر |
| حتى لقد ماد (البقيع) و (يثرب) | وتزلزت أرض (الصفاء) و (المشعر) |
| التاع قلب (محمد) لمحمد | رب المحامد والعلا والمفخر |

* * *

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| إني نظرتك في اتهامك واقفا | فظننت أنك واقف في المنبر |
| لتقول شعبي أو بلادي إنني | لهواكها بين اللظى المتسعر |
| ولقد رأيتك جالسا مستبسلا | خلف الشباك جلوس من لم يُدْعَر |
| فرايت في هذا الشباك معانیا | فهى العرين وأنت أجرا قسور |

(١) يشير إلى إيجاز التقيد في جوابه على أسئلة المحكمة وعدم استعانتة بمحاميين للدفاع عنه إيمانا منه بطلان التهمة وتحديا للمؤامرة التي اتخذت شكل المحاكمة.

تعتز بينهم بقدر أوفر
أم «جواهر» يختال بين العسكر

ولقد لمحتك ماسيا في ثلّة
فسألت هل هذا المسور «خالد»

من شاعر بسوى الأسى لم يشعر
فاردد مكايدهم إليهم وانحر
ما قيمة الإنسان إن لم يُذكر؟
للعبت لعبا بالنضار الأصفر
لشأوت في العلياء نجم المشتري
من مظلّم في ذاته أو نير

أفريدُ يا ابن الأكرمين تحيةً
في مصر قوم ناوأوك بشرهم
ذكروك في حب البلاد وأهلها
لو كنت ممن تاجروا بضميرهم
أو كنت ممن يطلبون مراتبا
وسبقت أجرام السماء وفتها

مستجمعا للطارئ المتنمر
ما فضل مفتول الذراع غضنفر؟
تهدى سبيل الطارق المتنور
وغدا مُناه ورود هذا الكوثر
بك من كريم الأصل زاكى العنصر
جاءت بعيش بالهموم مكندر

أ (محمد) كن في النوائب ضيغاً
إن بت أنت من الفوادح جازعا
أشرق لعلك بين سجنك مشرقا
فالشعب بعدك بات ينتجع العلا
أنعم بسؤددك العظيم ومرحبا
أعزّز علينا يا ابن «أحمد» حالة

ظلمات غيم في السماء كنهور
أو دمة مخبوءة في محجر
وضياع نفحتها إذا لم تستر
حذرا عليه من القذى والعشير
أو بعض مكنون القضاء المضر

فكأنه بذّر يحجب نوره
أو دُرّة مكنونة في زاخر
أو زهرة فيحاء خيف ذبولها
أو ناظر غمضت عليه جفونه
أو أنت سر الكائنات محجب

إلى أن قال:

بالفادحات من الزمان الأكدر

أحمد ما أنت أول مبتلى

إني عهدتك خير من يسدى الورى
فاشهرُ لدى الأهوال عزمًا صادقًا
ما الناس إلا اثنان ذاك ميسرُّر
جلَّ الإله فقد أَرانا علمه
بانت مراحمه بأكمل رونق
لولا الفؤاد وما أصاب دفينه
لولا مراس الداء صغت قصيدة

* * *

عفوًا رئيسَ المخلصين فإننى
قد جئتُ أزجى في القريض خريدة
عطرية فيحاء طورًا عن شذا
فيها معان صاغها لك مبدع
فاخلع عليها من خلالك نفحة
لى فيك ملء الخافقين لآلىء
فعليك منى ما حييت تحية

ما رمت إلا جل عفوك فاغفر
قد بات يحسدى عليها (البحترى)
ورِدٍ وطورا عن أريح العنبر
جم البيان خياله لم يحصر
حتى تضوع بنفح مسك أذفر
زهر تبيع بها الرواة وتشتري
وسلام كسرى فى الملوك وقيصر

يحيى الوحدة الوطنية

قال سنة ١٩١٩ يحيى الوحدة الوطنية والتآخى بين المسلمين والأقباط:

أقباط مصر ومسلموها ضمهم
الناشئون على الطهارة والتقى
والخالدون إلى السكينة كلما
برح الخفاء وبان أننا أمة
إننا لنرجو أن نعيش بقبطة
دين المسيح وشرعة الإسلام
والقائمون بمصر خير قيام
جاء الزمان بشدة وعرام
لم تبغ غير محبة ووئام
توحى السلام وتنتهى بسلام

يرثى فريدا

قال سنة ١٩١٩ من قصيدة فى رثاء محمد فريد:

رمانا الزمان بإحدى الكبر ومنه العظاات ومنه العبرا

رماه القضاء بها والقدر
كسرب النجوم فقدن القمر
ولم تسترح من عناء السفر
وورد الردى ماله من صدر
ولم يحفها عند مس الكبر
ولم يبق إلا اجتناء الثمر
فقال من العيش أقصى الوطر؟

شهيد تصارع في حومة
وخلف من بعده أمة
أنى جثة سافرت للبللى
منى أوردته حياض الردى
تعلقها عند سرخ الصبا
وأينع في روصها غرسه
وأى امرئ عاش أقصى المدى

إلى أن قال:

وطوبى لحي وعى وأذكر
فقد حصدت كفه ما يذر
وأطبقها بعد طول السهر
فأدى الحقوق وأسدى البدر
لكل ضريك إليه افتقر
فهان على نفسه ما ادخر
يرى المال يفتى وتبقى السير
إذا نزل القبر لا ما يذر
بآى فصاح كآى السور
كمن شاع صيب له وانتشر
على صفحات العلى مستطر
وأسلس من فوق جمع نثر
فكم من جواد كبا أو عثر
فيافى الفجائع حتى ضمير
كوارث كاسرة للفقير

هنيئا لميت نعتته العلى
وحسب فريد منى نالها
فتى أغمض الموت أجفانه
أفاض على قومه ماله
طوبل نجاد الجدى عائل
رأى الحرص عارا على نفسه
وكان بصيرا بعقبى الندى
وأخلد ما للفتى ذكره
وكم صامت ناطق فى الثرى
وليس الذى ذكره خامل
وليس بميت أغر اسمه
خطيب المنابر منطيقها
فإن يكب يوما بضماره
وما زال ينهب فى عدوه
وحق دهنه بأعناتها

وختمها بقوله:

وأودى «فريد» حميد الأثر

أرى «كاملا» راح فى شرخه

زعيماً بلاد خلت منها، عزاء العلا عنها أمة
 وشعب سعى نحو آماله وما من ضعيف القوى واهن
 «أبو بكر» مات وولى «عمر» تنادت لتجديد مجد دثر
 بعز توقد حتى استعر تشبث بالحق إلا انتصر

يحيى جريدة الأخبار

قال سنة ١٩٢٠ يحيى المرحوم أمين الرافعي لمناسبة إصداره جريدة الأخبار:
 ياوحى أسعفى ينظم قلادة هذا (أمين الرافعي) ومن له
 يا (رافعي) لأنت أصدق مخلص جرد يراع المخلصين وذد بها
 واحذر على (الأخبار) من آفاتنا اليوم هنأت البلاد بكاتب
 صيغت لألثها من الأشعار خير السجايا الغر والآثار
 للنيل في الإعلان والإسرار بطش القوى وصوله الجبار
 إن (الرواة) لآفة الأخبار ملكت يدها صحيفة الأحرار

يندد بالانقسام ويدعو إلى التآخي

وقال سنة ١٩٢١ حين استند الانقسام بين سعد وعدلى وأنصارهما، يندد بهذا الانقسام ويدعو إلى توحيد الصفوف:

قالوا انقسمنا فقلنا فتنة عمم ولم تكن غير جيش راكب طرفا
 حتى يرف لواء الفوز منعقدا وكيف نُقسَم والتاريخ ينبئنا
 فحاذروا أن تحلوا عقد شملكم ونظموا ما استطعتم من صفوفكم
 ولا أحدثكم عن إرثكم عجبا بها تُفل مواضى العزم والهمم
 شتى المسالك من سهل ومن أكم على الزمان بحق غير مهتضم
 أن الفلاح لشعب غير منقسم فتقرعوا السن من حزن ومن ندم
 فالجيش إن بعره الإخلال ينهزم فمنه كان بزوغ المجد والكرم

والمجد يدرك بالأعمال منجزة لا درك المجد بالألفاظ والكلم

أحمد الكاشف

١٨٧٨ - ١٩٤٨



من الرعيل الأول من شعراء الوطنية، ولد سنة ١٨٧٨ بالقرشية من بلاد مركز السنطة غربية، وهو ابن المرحوم ذو الفقار الكاشف، وجدّه من ضباط الجيش المصرى الذين خاضوا غمار المعارك فى عهد محمد على، تلقى علومه الأولية فى منزل والده بالقرشية، ثم التحق بمدرسة الأقباط الابتدائية بطنطا حتى استوفى دراسته، ثم عاد إلى بلده وأقام فيها، ومالت نفسه منذ صباه إلى الشعر والأدب، وكان الشعر طبيعة له وسليقة، فعكف على المطالعة وأكب على كتب الأدب ودواوين الشعراء المتقدمين يدرسها ويستوعبها، فحاكاهم فى الأسلوب

والبلاغة، واتجهت نفسه إلى نظم الشعر فى المعانى الوطنية، فجادت قريحته بشعر وطنى من الطراز الرفيع، ووقف حياته على هذا اللون من الشعر، وعاش عمره عيوا أبا، معتكفاً فى بلده (القرشية)، وفى ذلك يقول عن نفسه:

ولقد تحاشيتُ المدائن زاهداً وبسدت أطلب وحدةً وسكوناً
لا أرتضى غير الطبيعة مأنساً والذكر كأساً والقريض خديناً
وله قصائد عصاء نظمها فى مختلف المناسبات، وعبر فيها أبلغ تعبير عن أحاسيسه ومشاعره الوطنية، وظل وفياً لمبادئه طول حياته، وتألّق شعره فى سماء الأدب والوطنية، وبلغ الذروة فى هذا المجال.

اتفاقية السودان

قال عن اتفاقية السودان التى أكرهت مصر على إمضاها سنة ١٨٩٩ على أثر انتصار الجيش المصرى فى السودان.

انتصرنا وما الذى قد جنينا ه من النصر بعد طول العناء؟

ماجنينا سوى (الوفاق) جزاء
وإذا شارك الضعيف قويا
إن هذا الوفاق شرّ جزاء
في منال فحظّه كاهلباء

الجندي في المعركة

وطنى أنت الحبيب الدائم
وغرامى بك طبعٌ لازم
لك أسعى دائماً مجتهدا
لأبالي في طريقى أبداً
وطنى أفديك بالروح إذا
وأرى اللّذة في دفع الأذى
دمت يا نيل أبرّ الأنهر
دمت تجرى يا شبيه الكوثر
دمت يا صحراء ميدان الجنود
مظهرا للباس من بيض وسود
لك في قلبى المقام الأشرف
سرّنى أنى به متصف
برجاء ثابت مقتدر
طال ليلى أو نغادى سهري
مسك الدهر يسوء لا يطلق
عنك بالنيران والبيض الرقاق
بنفوس كم رأت منك وفاء
مُهدى الوادى هناء ورخاء
بين قطريك اللذين اتحدا
يضمن النصر لنا والسودا

قصيدته في اللورد كرومر سنة ١٩٠٧

لما رحل اللورد كرومر عن مصر على أثر حادثة دنشواى، شيعه الكاشف بقصيدة ندّد فيها بطغيانه وجبروته، قال:

أعيا عزائمك القضاء الأغلب
أرأيت كيف يُفاجأ السباق في
ولبت تبدو في زخارف مخلص
غافلتهم حيناً فلم يتلفّثوا
وطوى صحيفتك الزمان القلب
غاياته ويقاطع المتوثّب
للقوم تخفى ما اعتزمت وتحجب
إلا ونابك فيهم والمخلب

وذكر حادثة دنشواى وكيف فرح المصريون بإقصائه عن منصبه :

وختمت عهدك بالذى اهتزت له
وتنفس الصعداء شعبٌ حامل
ماذا كسبت وأنت عنا راحل
إلا الجفاء وبش هذا المكسب
أركان (مكة) واستعادت (يثر)
هنا يضيق به الفضاء الأرحب
إلا الجفاء وبش هذا المكسب

ينذر الإنجليز

وقال يخاطب الإنجليز وينذرهم سوء العاقبة:
 قلدتم الرومان في استعمارهم هلاً ذكرتم منتهى الرومان؟
 اليوم سؤددكم وسؤددنا غداً كم أدرك المتنادى المتوانى
 رحماكم فينا لنذكركم إذا دار الزمان وحالت الحالان
 إنا لنرجو من بنينا عُدَّة لا عُدَّة الجيران والضيغان

يندد بوزارة مصطفى فهمى

قال فى أبريل سنة ١٩٠٨ يدعو وزارة مصطفى فهمى إلى الاستقالة، وكانت بغیضة إلى الشعب:

أفى كل يوم يشهد النيل نابغا يعيش ففرجوه ويُقضى ففرزع^(١)
 وليس لكم فى موسم الحى مظهر وليس لكم فى ماتم الميت مفرع
 لقد سئمت تلك الكراسى مكنكم فهلا شعرتم وهى تشكو وتضرع^(٢)
 وهلاً اعتزلتم منصباً لا ينيلكم من الأمر إلا أن تذللوا وتخضعوا؟
 أخاف عليكم أن تموتوا وأنتم أضر من العادى علينا وأشنع
 فإن سئتم أن يعفوَ النيل عنكم ويكبركم أبناء مصر ويرفعوا
 فخلوا وزارات البلاد لأهلها إذا أرعد الجبار لم يتزعزعوا
 إذن لرأيتم ما رأى من كرامة ومرحمة ذاك الشهيد المشيع^(٣)

يمجد الفلاح ويمدحه

وقال يمدح (الفلاح المصرى):

إذا استبقيت فى الدنيا حبباً فخير أجبتى فلاح مصر

(١) يشير إلى مصطفى كامل وقد توفى فى فبراير سنة ١٩٠٨.
 (٢) مكثت وزارة مصطفى فهمى تتولى الحكم ثلاثة عشر عاماً من نوفمبر سنة ١٨٩١ إلى نوفمبر سنة ١٩٠٨، وكان عهدها خضوعاً وتسلياً للاحتلال البريطانى.
 (٣) يشير إلى مصطفى كامل.

كريم يلاً الوادى ثراه ولا يلقى سوى الإجحاف أجرا
 فقيرٌ ما أراه شكا افتقارا ولو يُجْزى على تعب لأثرى
 فمحراثٌ يشقُّ الأرض عندى ويخرج من ثراه الخصب تبرا
 كسيف فى يد الجندى لاقى به جيشا وجِصنا مُشمخراً

صلته بمصطفى كامل

كان الكاشف صديقاً ونصيراً لمصطفى كامل، وكان لدعوة الزعيم وتعاليمه صداها فى قصائده، وكان مصطفى يقدره ويعجب به ويسميه (شاعر الغريبة النابغة)، وكثيراً ما كان هو يردد كلمات مصطفى كامل ومعانيها ويصوغها فى قالب شعرى رفيع.

قال عن صلة الخطابة بالشعر:

ولئن هزرت العالمين فإن من تلك الخطابة هذه الأشعارا
 وقال يردد كلمة مصطفى كامل (لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً):
 لو كنتُ فى الخلد أو فى غيره ملكا وددت لو أننى فى مصر إنساناً!
 وقال فى محاربة اليأس:

وما معنى القنوط وأنت حى وما معنى القنوط مع الحياة؟

وقال فى قيمة الاستقلال:

إن البلاد بلا استقلال صاحبها قفّرٌ لديه وإصبحن جنات

ولما مات الزعيم رثاه الكاشف بمرثية رائعة بلغت نحو مائة بيت، قال فيها:
 لهفى عليك وقد رحلت اليوم لم تدرك لغرسك فى البلاد ثمارا

إلى أن قال يشير إلى الرحلة التى كان يعتزم الزعيم القيام بها فى الشرق:

لهفى وما لاقتك (يثرب) ضيفها وخطيبها المسترسل المكثارا
 لهفى عليك ولم تسر متفقدا فى الهند إخوانا لمصر حيارى
 لهفى ولم تنتقل من اليابان ما يهب البلاد حضارة وعمارا
 قد كنت مزعم هجرة لو قدرت قربت أعوانا لمصر كبارا
 وجمعت بين السابقين وأمة مهضومة تتبع الآثارا

ثم يستنكر على وزراء مصر. وقتئذ تخلفهم عن تشييع جنازة الزعيم خشية إغضاب الإنجليز، قال :

ويل الذين تخلفوا عن مشهد مَشَتْ الملائك حوله إكبارا
هل يعرضون ترفُّعا وتكبرًا أم يسكنون تهيبًا وحذارًا؟

ثم يصف احتشاد الأمة يوم تشييع الجنازة قال :

يا قائد الأبطال هذا جيشك الـ جَرَّار فانظر جيشك الجرار
يوم كيوم الحشر ضُمَّهم وكم رَحَّبَتْ في أرب لهم مضمارا
فلئن بكوا فلقد بكيتهم وهم غرباء في أوطانهم وأسارى
أو يحملوك على رؤوسهم فقد أصعدتهم فوق النجوم فخارا

وختم مرثيته بقوله :

أشهدت مصر على علاك ونيلها وصعيدها والنبت والأحجار
لو لم تسل قطع النفوس لشيدها منها لك التمثال والتذكرا
ما مات من ورثت مناه أمة تجرى على منهاجه استمرارا

يحمل على سياسة الوفاق، ويعاتب الخديو عباس الثانى

فى سنة ١٩٠٩ كانت سياسة الوفاق بين الخديو عباس الثانى وإنجلترا تسيطر على الجو السياسى فى مصر، وكان هدف هذه السياسة محاربة الحركة الوطنية، وبدأت مظاهر هذه السياسة فى تنكر الخديو للكفاح الشعبى ومناصرته للاحتلال وسياسته.

نظم الكاشف هذه القصيدة سنة ١٩٠٩ يحمل فيها على سياسة الوفاق ويخاطب الخديو عباس الثانى ويعاتبه ويحذره مغبة الاستنامة إلى وعود الإنجليز، وهى من أبلغ قصائده وأقواها :

أهلاً وسهلاً بالوفاق ومرحباً لو كان فيه قضاء ما وعدوكا
إن كنتَ مشرطَ (الجللاء) فواجبٌ لك أن نودَّهم كما ودوكا
خير لنا أن يعلنوا البغضاء من أن يعلنوا ذا الموثق المفكوكا
حاسنتهم لتردَّ عنا شبهة كم حاربوك بها وما حربوكا؟
ما كان حبًّا ما ترى لكنه كتَّم المخائل سرَّه المهتوكا
أرأيت كيف وشى بكل مذهب حرِّقَ كان الآفك المأفوكا؟

اليوم يشكونا إليك وما بنا غير الوفاء وفي غد يشكوكا
أعيا على أوهامه ووعيده هذا المراس فقام يستصفيكا

ماذا ترى في غاصبين يسوءهم أنا نحس وأننا نروكا
أتخاف شكوى المخلصين ولم تخف فيما مضى عدوان مضطهديك؟
يأليتهم جعلوا القيود لكل ذى نظر وما انتقموا بأن حجبوكا
هل كان مُسِئُكَ السلامَ مشاغبا أم كان غير مشوق رائيك؟
إننا وإياك ابتليناهم فهل صدقوا الورى يوما وهل صدقوكا؟
أولى بهم وقد اتهمنا نصحهم أن لا تصدقهم إذا نصحوكا

أرهم مراسك قبل أن يستأسدوا إننا لنخشاهم إذا أمنوكا
يا حبذا يوم (الجلاء) ولا نرى جندا يصول ولا دما مسفوكا

يخاطب اللورد كتشنر

في سنة ١٩١١ عين اللورد كتشنر معتمداً لبريطانيا في مصر، وكان معروفاً عنه الصلف والغطرسة، فاستقبله الكاشف بقصيدة رائعة تفيض وطنية وشمًا وإباءً. قال في مطلعها:

مهلاً لتمتحن الطريق خطاك
إن كلفوك لغاية إدراكا
في مصر شعبٌ لا يُضام ومالك^(١)
متفرد لا يقبل الإشرাকা
ما أنت حابس نيلها يوماً ولا
أهرامها مهدومةً بقواكا
الله أكبرُ من جيوشك سطوة
والدهر أبعد من مدى مرماكا

إلى أن قال:

هل يُذنب الجرحى إذا هم حاولوا
دون الضواري صيحةً وحراكا؟
لسنا قطيعاً غابَ راعية كها
كنا ولست الضيغم الفساكا

(١) لعله يقصد المالك الأمة فهي مصدر السلطات ولا تقبل إشراكا في سيادتها.

إن كنت طلق الوجه أو متجهها فالله يعلم منتهى نجواكا
ولعل شأنك في مشييك غير ما أسلفته في عنفوان صباكا
إلين قال:

واذكرُ لوادى النيل نعمته عسى تُعطى بنيه بعض ما أعطاك
فإذا تجاوزت الكنانة فافتتح ما شاء عزمك واصعد الأفلاك
في غير مصر ذرائعُ ومواقع للمستزيد مطامعا وعراك
ولئن غضبت على الأباة فصبرهم أولى وأجمل من رجاء رضاكا
فاعرف لهم عذر الحريص إذا هم لم يسلموا لك ما تنال يداكا

يبشر بالاشتراكية

في أعقاب الحرب العالمية وبعد توقيع معاهدة الصلح في فرساي (مايو سنة ١٩١٩) بين ألمانيا والحلفاء، نظم الكاشف قصيدة عصاء تناول فيها شتى المعاني السياسية والوطنية. فمن قوله يبشر بالاشتراكية:

للاشترائية العُقبى إذا شملت شقَّ الشعوب وجاراها المجارونا
فلا الكثيرون ملكاً للأقليات ولا الأقلون ملكٌ للكثيرينا
ولا نرى واحداً ملأى خزائنه بالمغنيات وآفا يجمعونا
ولا نرى درة في رأس محتكم تهفو إليها قلوب المستظلينا

يندد بغدر الإنجليز وتنكرهم لمصر

وقال في هذه القصيدة يندد بغدر الإنجليز وتنكرهم لمصر بعد أن عاونتهم في تلك الحرب:

يا نائلين من الحرب العوان سوى ما كان منتظراً منها ومظنوننا
نجوتُم من رزاياها ومالكُم لا تذكرون وفاقا غير ناجينا؟
مدُّ الحديد لكم في كل مرحلة وذلُّوا لَكُم أطواها لينا^(١)
ورابطوا لأعاديكم على هدف وألقوا النيل بالأردن ساقينا

(١) يشير إلى تسخير العمال المصريين في مد السكك الحديدية في سيناء إلى العريش أثناء الحرب العالمية الأولى.

وكم عتبخ على قوم لأجلكم
وقلتم لم ينل قومٌ بغير دمٍ
ونال من دمنا في عصر جندكم
فهل غسلتم خطايا الأبرياء به
أتستهينون بالإنسان ماثلكم
هَبُوا حِمَى مصر والسودان مزرعةً
ورثتم خصمكم ميتاً وصاحبكم

* * *

جربتمو مصر في تقييدها زمنا
أمنتُم مصر فيما نال أمتكم
وقلتم: مصر للهند السبيل فإن
أما إلى الهند إلا مصر من سُبُل
يهدد الهندُ أهلوه وجيرته
خافوا سوانا وأعطونا أمانينا
وإن فردا. لذي ملك يبرُّ به
عن أى شىء لمصر تسألون وقد
بالسيف والنار يدعو الناس جندكم
ضَعُوا السلاسل عنا واطلبوا جدلا
وربما قبلت دعواكم دولٌ
كَيْتَ الذى حَرَمَ الألمان غايتهم
وليت من زاد قوما قوةً وغنىً
أتسفكون لمظلوم دماءكم
وهل وفيتم بميثاقٍ لمصر كما

فجربوا مصر في إطلاقها حيناً
فأى شىء على مصر تخافونا؟
ضاع السبيل أضعنا الهند ساهينا
ملأى شواهين أو ملأى سراحينا^(١)
ولا يزال سبيل الهند مأمونا
فما تضرُّكم يوماً أمانينا
خيرٌ له من جماعات يثورون
هزَّت مسائل مصر الهند والصينا^(٢)
وتطلبون من الصرعى مجيبينا
تروا أدلة مصر والبراهينا
وأق مصر أباءً غير راضينا
أخاف قوما سواهم لا يبالونا
يرعى ويحرس أقواماً مساكيننا
وبالكلام على عانٍ تَضُنُونَا؟
رعيتمُ العهد للبلجيك موفينا؟

(١) السراحين: الذئاب.

(٢) يسير إلى تأليف الحكومة البريطانية للجنة المعروفة بلجنة ملنر بدعوى البحث عن أسباب ثورة سنة ١٩١٩ والوسائل للملاحة هذه الأسباب.

كم أعجبتكم من الأحرار عزُّهم كانوا موالين أو كانوا معادين
 فهل ذكرتم وأكبرتم لنا غرضاً كما ذكرتم وأكبرتم (وشنطونا)^(١)
 كم أنجب البطل الأحداثَ عاليةً وأنجب الحدثُ الأبطالَ عاليناً
 كنا أمانة دهر عندكم وأتى وقتُ الأداء فهل أنتم مؤدونا؟
 وقد أقرَّ لمصرٍ كل منتصف بحق مصر فهل أنتم قرونا؟
 قد أصرت على استقلالها فعلى أى المآرب أصبحتم مصرينا؟

يحذر قومه من التحالف مع بريطانيا

وفي هذه القصيدة (التي نظمها في أواخر سنة ١٩١٩) يحذر قومه من فكرة التحالف بين مصر وبريطانيا. قال:

أواهبون لمصرٍ كل ما طلبت أم آخذون بمقدار ومُعطونا؟
 وإن رفعتم عن الوادى حمايتكم فما اسم لاحقها فيما تُسمونا؟
 وإن تروا بدلا منها (مخالفةً) فمن لنا بضمانات المساوينا؟
 إنا لنعجز عن حق الحليف وعن حق الشريك وأنتم تستزيدونا
 وما مجاورة الأقوى وشركته إلا كما جاوز العصفور شاهينا
 ادعوا بنى مصر أندادا لكم ودعوا ولاية مصر ملوكا أو سلاطينا
 وغادروها لأكفاء تجارهم تُغنيهم عن تكاليف المشيرينا
 يفدون مصرَ وإن شأكت منابتها وإن جرى نيلها مهلا وغسلينا
 وإن تدفق في الببءاء منصرفا وإن أقام وراء السدِّ مخزوننا
 أحرار مصر تبارهم حرائرها ففاديات كما نرجو وفاديننا

يندد بالاستعمار والطغيان

وفي هذه القصيدة يندد بالاستعمار والطغيان ويحملها مسؤولية الحرب الطاحنة التي أكتوت الشعوب بنارها. قال:

أمضى على الصلح قومٌ يعيشون به وقد نأى عنه قومٌ غير مُضميننا

(١) جورج واشنطن محرر أمريكا، وكان على رأس الجيش الوطنى الأمريكى الذى حارب الإنجليز وقد اعترفت بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة سنة ١٧٨٣ بعد أن انتهت الحرب بظفر الأمريكان.

تنفس الصعداء اليوم بعضهم
هل يعرف الدهر حربا كالتى شهدت
صناعة هي يعتز الملوك بها
أم كانت المرض الموروث في دول
ما كان أكبر آثام الأنام وما
أين الأسرة والتيجان أسألهما
الرافعين على الأشلاء دورهم
جنت على ملكهم أسلاب غيرهم

ولم يزل بعضهم أسوان محزوننا
تلك الثمانى يتلوها ثمانونا
على العباد الأذلاء المطيعينا
أعيت طبائعها السؤ المداونا
أذكى وأعلى الضحايا والقراينا
عن الملوك الطغاة المستبدينا
المالئين دما تلك المياديننا
فهل تذكر هذا المستغلونا؟

إلى أن قال:

دانت لعسكر (ولسون) جبابرة
أغرى البرية باستقلالهم ونأى
وآين ما صنعت آراء ولسوننا^(١)
عنهم وهم بالذى أغرى يهيمونا

القوة سناد الحق

والحق في كل عصر فاقد سندا
فدو السلاح هو المهروب جانبه
إن لم يجد طلبا بالبأس مقرونا
إذا انتنى الأعزل المغلوب مغبونا

أمل مصر في بنيتها

وختم هذه القصيدة الرائعة بقوله:

من لم ير اليوم في العمران موضعه
ونحن أولى بأن نرعى مواطننا
لم يلق في غده دنيا ولا ديننا
نوفى المكاييل فيها والموازيننا

مؤتمر لوزان

الحق للقوة

في سنة ١٩٢٣ ترامت الأنباء عن مؤتمر لوزان بأنه يخذل مطالب الشعوب الشرقية فقال
الكانسف يدعوها إلى القوة والتعاون في مكافحة الاستعمار:

(١) ولسون الرئيس الأسبق لجمهورية الولايات المتحدة الأمريكية. يشير الشاعر في هذا البيع والأبيات التالية إلى مبادئ
ولس الى أعلنها حين دخول أمريكا الحرب إلى جانب بريطانيا وحلفائها وكيف تنكر لها بعد انتصار الحلفاء.

فد يفعل البأس ما لا تفعل الخطبُ
والحق منقلب في الغرب مغترب
ودونه في سوى لوزان مضطرب
ودون ما يبتغيه الهول والنوب

عودوا إلى البأس بعد اللين فهو لكم
لا حق للشرق إلا في معاقله
هل يملك الحكم في (لوزان) خصمكم
ما كان (كرزون) بالموفي لأمته
إلى أن قال:

يقضى الحديد عليها فيه واللهب
فالشرق أسوان والإسلام ينتحب
والبيت منتهب و (القدس) مغتصب
من الدم الحرّ لا الدمع الذي سكبوا
بذل النفوس له بعض الذي يجب
فالأرض تحمله حرا أو الشهب

إني لأشفق من يوم على دولٍ
ممالك الشرق والإسلام تذكرة
أين الأمانة والميناق بينكم
مجد الرجال على مقدار ما بذلوا
ذودوا عن الوطن الغالي وعن شرف
ومن أراد حياة العز طيبة

في الغرب ينتظر العقبى ويرتقب
ما خطه في فروق الفتية النجب
في سائر الأمر جدّ القوم أولعبوا
وأنه أمل الأبرار والأرب
وليس يعلم ما يأتي به رجب

يا وافت الشرق جواها بلا سند
مصير كل قبيل بعد جولته
فصل الخطاب لهم بعد القضاء غدا
أين السلام وأين العاملون له؟
كل يمد وراء الغيب غايته

يتندر على عيد ١٥ مارس سنة ١٩٢٢

قال من قصيدة له في مارس سنة ١٩٢٣ يتندر على عيد الاستقلال الذي جعلوا تاريخه يوم
١٥ مارس سنة ١٩٢٢ حيث أعلن الملك فؤاد استقلال مصر على أثر صدور تصريح ٢٨ فبراير
سنة ١٩٢٢:

ت له خيال أم حقيقه؟
خطوه في تلك الوثيقه
ظمأى وتحفل الغريقه؟

يا عيد الاستقلال أن
لعتيق أم للرق ما
أبهرجان تحنفي الـ

وتنال مصر مرامها من بعد ماسدوا طريقه^(١)
يتكلفون^(٢) الصالح ات لها وتأبأها السليقة
إن أطلقوا أسس البلا د فمهم ليست طليقة
وحديقة أضحت ولد كن للغريب جنى الحديقة
وإن استبدَّ بنيلها قتل الشقيقة بالشقيقه^(٣)

* * *

وأحرَّ أكبادٍ إلى حرية الوادى مشوقه
هذا زكى دمي لها أجد الرضا في أن أريقه

* * *

أنخذلُ زعماء مصر ر أمام هاوية عميقة؟
أى العقاب أحق بالـ رجل الذى يؤذى رفيقه؟
عاد الغريم لمصر يع بس بعد خدعته الدقيقه
فإن افترقتم عنده كنتم جميعكم فريقه

يحذر من نوايا الإنجليز ويدعو النواب إلى أداء واجباتهم

وقال من قصيدة له يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ وهو اليوم الذى اجتمع فيه البرلمان الأول وكان سعد زغلول يتولى رئاسة وزارة الأغلبية.

سلاما على حصنكم والعلم ورعياً لندوتكم فى الأمم
سلاما على ذلك الملتقى سلاما على ذلك المزدحم

إلى أن قال:

أمانة مستوثق معلن لكم من سرائره ما كنتم
وهذا غريمكم^(٤) الملتوى تجمل بعد الأذى واحتشم

(١) يشير إلى الإنجليز الذين وضعوا العقبات أمام مصر فى جهادها لتحقيق أهدافها.

(٢) الإشارة هنا أيضاً إلى الانجليز.

(٣) مصر والسودان.

(٤) يقصد الاحتلال.

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| وعاودها فاتنا فابتسم | تولّى بغاياته عابساً |
| مراميه يلزمكم ما التزم | إلى أجل أم إلى منتهى |
| بعاصفة بعد هذا النَّسم | وهل ينجلي الأفق أم يرتقى |
| ع في الحق من زمن لا نحسم | ولو كان يعرف عُقبى النزا |

وقال يدعو إلى التآخي وصفاء القلوب بين المواطنين:

| | |
|-------------------------|--|
| وليس يقال فريق هفا | وليس يقال فريق ظلم |
| يضيع على مصر هذا النعيم | سم إن لم يكن كل بيت أجم |
| وما أنا بالآمن المطمئن | إلى المستعد الذي لم ينم ^(١) |
| أعد المرباط في المسلكين | ومن ملك المسلكين اقتحم |
| وهل يترك الذئب عاداته | وإن لبس الذئب ثوب الغنم؟ |

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| وداهية مرجف بالذى | تعدى به غيره فانهزم |
| وليس الذى قاله حجة | فقد ألف الناس هذا النغم |
| وهل يستطيع اغتصاب الرقا | ب من يمراس النفوس اصطدم |
| وما صنعت بالمغير القلا | ع صنّع إبائكم والشمم |
| وحسبكم شملكم عُدّة | وحسبكم صبركم معتصم |
| وما أحسن العفو من قادر | إذا ما انتهى حاقد وانتقم |
| سيجلو عن الأرض جبارها | ويلبث فيها كريم الشيم |
| ولا دولة لسوى المصلحين | ولأملك لأهل الهمم |

عيوب الحزبية

وقال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له حين اشتد التناحر بين الأحزاب، يدعو إلى نبذ الخصام:

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| وقفت وما أدرى أعُدّ حوادثنا | تدور أمامى أم أعُدّ ذنوبنا |
| تحملت عن قومي نصيباً من الأسى | ولم أرج من أجر الجهاد نصيباً |

(١) يريد الانجليز.

أرى فرجاً للأمتين قريباً
إذا لم يكن خلق الرجال خصيباً

وأمعنت في غيب المقادير علني
وليس بمن أمة خصب أرضها

فلم أر إلا سالباً وسليباً
توالت صنوفاً بينهم وضروباً؟
أرى بين أبناء البلاد حروباً
فصال شمالاً واستطال جنوباً
إذا لم يطيعوا نافذاً وحسيباً
رفاقاً كما يلقي العليل طبيباً

تنازع قومي اليوم جنداً وقادة
مبادئ أحزاب أرى أم منافعاً
تقضت حروب العالمين ولم أزل
بقومي على قومي استعان غريبهم
فمن لهم بالنفذ الأمر حازماً
يردهم بعد القطيعة والنوى

قريتي

قصيدة نظمها بهذا العنوان سنة ١٩٣٦، يصور فيها حياته في بلدته (القرشية) ويؤثرها على حياة المدن، قال:

وملتقى الآل حولي كلُّ آمالي
ولست للقوم غير العمّ والخال
منهم على أمم شتى وأجيال

جمعت في العيد حولي سائر الآل
أبنا دعوئي ومالي فيهم ولد
كأنني وهم في الدار مطلع
إلى أن قال في إيثاره الإقامة في الريف:

من الرجال ولا لاهٍ وخشال
فيها ملكت وماء فيه سلسال
بكل ناحية همي وأشغالي
لم ألقاها من رجال غير جهال

أقمت في الريف لا أشقى بطاغية
وعشت بالرطب من بقل وفاكهة
أطلت فيها اعتزال العالمين ولي
لقيت في عشرة الجهال عاطفة

يحذر قومه من مفاوضات سنة ١٩٣٦

وعرج في هذه القصيدة بالمفاوضات التي كانت جارية وقتئذ بين مصر وبريطانيا وأسفرت عن معاهدة سنة ١٩٣٦، فحذر قومه من مغبة هذه المفاوضات، قال:

ولم أزل بينهم للخصم متّقياً دخائلاً هي في ذهني وفي بالي

أخشى على رسلهم نياته وهم منه أمام جلاميد وأدغال
وما تزال كما كانت سياسته يدور فيها بأشكال وألوان
وموضع الند أرجو عنده لهم لا موضع الصيد من أنياب رئبال
وقد يكون لهم من ضيقهم فرجٌ كما تُدافع أهوالُ بأهوال

وظل الكاشف في قريته وعزلته، وفياً لشعره ومبادئه، إلى أن أدركته الوفاة في ٢٩ مايو سنة

١٩٤٨.

محمد عبد المطلب

١٨٧٠ - ١٩٣١



هو الشاعر البدوي البليغ، والمجاهد الوطني الصميم، محمد عبد المطلب، ولد سنة ١٨٧٠ ببلدة (باصونه) من قرى مديرية جرجا لأبوين عربيين مصريين من سلالة قبيلة جهينة إحدى قبائل جزيرة العرب، وكان والده رجلاً صالحاً متفقهاً، فأرسل ابنه إلى الأزهر وتلقى فيه العلم نحو سبع سنين، ثم انتقل إلى (دار العلوم) ومكث بها أربع سنوات، وتخرج منها عالماً أديباً، وتولى التدريس في مدارس الحكومة، واختير مدرساً بمدرسة (القضاء الشرعي)، ثم مدرساً في (دار العلوم)، ونضج علمه، واكتمل شعره وأدبه، فصار من فطاحل الشعراء الذين

يتسار إليهم بالبنان، ولما شبت ثورة سنة ١٩١٩ ساهم فيها بشعره وأدبه وجهاده، وخُلد حواشيها بقصائده الغر، وكان حجة في الأدب واللغة، وشعره يجمع بين البلاغة والجزالة وروعة الأسلوب، وبلغ في مكانته الشعرية منزلة فطاحل الشعراء المتقدمين، وكانت الروح الوطنية الدفاعة تتجلى في معظم أشعاره وقصائده؛ وله في هذه الناحية إنتاج ضخم يصلح في ذاته أن يكون ديواناً مجتمعا من الشعر الوطني؛ وقد ظل على إنتاجه الشعري إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٩٣١.

روحه الوطنية

إن أحسن وصف لروحه الوطنية ومساهمته في الجهاد وخاصة في ثورة سنة ١٩١٩ ما قاله في رثائه صديقه وزميله الشاعر محمد الهراوي إذ يقول عن (جهاده الوطني):

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| فإنك للجلى وللحادث الجدّ | فذاك وإن جدّت خطوبٌ وأجلبت |
| وقضى وصوت (الموزيّات) كالرعد | تخاطر والجند المدجج محقق |
| وتعدو على العادى عليه وتستعدى | فتبكي وتستبكي العيون على الحمى |
| وقد حميت أناف قومك من وقْد | وتخطب حتى تستثير وتننى |

وما هالك الجنْدُ الذى كان محمداً
نزلت عن النفس الكريمة فديةً
ونفسك من فرط الحمية في جُنْد
إلى الوطن العاني، كذلك مَنْ يفدى

مصر أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨

قال من قصيدة له يصف ما عانته مصر أثناء الحرب العالمية الأولى، وينعى على الإنجليز
بغيتهم وعدوانهم وإعلانهم الحماية في ديسمبر سنة ١٩١٤، ويندد بفظائع السلطة العسكرية
البريطانية في سنى الحرب:

وعادت رياض النيل ناراً جحيماً
فكم سيدٌ بين الغيايات حتفه
ترى أدمع النعمى بناعم جسمه
يقضى الليالى بين ظلم وظلمة
وقمى نَجَى الحزن جارةً بيته
وفي حجرها لو أبصروا ذواتهم
إذا فرغت في الخدر من هول ما ترى
ودارة عزٍّ أوحشت من أنيسها
تحمل أهلوها على غير موعد
ينادى لسان الحال من شرفاتها
ولم يُنسها التوديع موقف شامت
وما ملَّهم فيها ثواءٌ وإنما
يناديه فينا قائد الجيش^(١) قومه
تعسف بالأحكام غير موفق
فكم ساقٍ من مصر إلى الموت فتيةً
جموعٌ كآجال النعام تلفها

يُسَبِّ لغير الخائن المتملق
وأخر بالأصفاد والسوط مرهق^(٢)
نَجِيع دم من جلده المتمزق
طريد الكرى فيجوف أغبر مطبق
سواد الدجى بالمدمع المترقق
يكلمها بالعين من غير منطق
فلا راحماً تلقى ولا عطف مشفق
وما كان فيها من جلال ورونق
وبانوا على حكم الزمان المفرق
«قفوا ودعونا قبل وشك التفرق»
يقلب في الغادين أجفان مُحَنَق
نَجَحُوا بالنوى من ظلم أرعن أحق
وما قادهم إلا إلى شر مأزق
وما ظالم في حكمه بموفق
زهاها الصبا في عنفوان وريق^(٣)
يدُ القمر لآجال من كل منعق^(٤)

(١) يريد بالغيابات السجون والمنفى.

(٢) يريد قائد جيش الاحتلال.

(٣) الريق: أول الشياب.

(٤) آجال أى القطيع والمنعق من نعق الراعى غنمة إذا زجرها.

له عُصَبٌ فِي غُورِهَا وَصَعِيدُهَا
فَفِي كُلِّ إِقْلِيمٍ حُجُولٌ مُقَيَّدٌ
وَفِي كُلِّ وَادٍ مِنْهُمْ سَوْطٌ مُعْجَلٌ
وَمَنْ لَمْ يَسْقُهُ السَّوْطُ وَالسَّيْفُ سَاقَهُ

تَخَيَّرُ أَبْنَاءَ الشَّبَابِ وَتَنْتَقِي^(١)
لِغَيْرِ عَصِيٍّ أَوْ حِبَالٍ مُرَبَّتٍ^(٢)
يَهْدِدُ بِالتَّنْكِيلِ كُلَّ مَعْوُوقٍ
إِلَى حَيْثُ شَاءُوا جَهْدُ عَيْشٍ مَرْمُوقٍ^(٣)

يوم إعلان الحماية

وقال عن إعلان الحماية في ديسمبر سنة ١٩١٤:

بِلَاءٌ عَلَى الْقَطْرِينَ أَغْطَشَ لَيْلَهُ
دَجَتْ يَوْمَ إِعْلَانِ (الْحَمَايَةِ) شَمْسُهُ
بِهِ لَقِحتْ سُودَ اللَّيَالِي فَلَيْتَهُ
قَضَيْنَا بِهِ يَوْمَ الْمَدْلَةِ بِالْأَسَى
عَشِيَّةً يَدْعُو «مَكْسُوِيلَ»^(٧) سَرَاتِهَا
يُبَوِّئُ عَرْشَ النَّيْلِ مِنْ شَاءَ جَانِفًا^(٨)
«رَوَيْدِكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي
فَمِنْ دُونَ عَرْشِ النَّيْلِ كُلِّ مَدْرَبٍ
بَصِيرٍ بِأَسْبَابِ الرَّدَى غَرْبُ سَيْفِهِ
تَوَتْ نَفْسُهُ مِنْ بَأْسِهِ فِي مَجْنَّةٍ»^(٩)

ضَحَى يَوْمَ نَحَسَ بِالْخُطُوبِ مَوْوَقٍ^(٤)
فِيَاكَ مِنْ يَوْمٍ عَلَى مِصْرٍ أَوْرَقٍ^(٥)
قَضَى فِي بَطُونِ الْغَيْبِ لَمْ يَتَخَلَّقْ
وَبَتْنَا عَلَى لَيْلِ السَّلِيمِ الْمَوْرَقِ^(٦)
لِعَبِيدِينَ يَوْمَ الْجَمْعِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ
فَنَنْشُدُهُ وَالْخُطْبَ بِالْخُطْبِ يَلْتَقِي
غِيَابَةَ هَذَا الْعَارِضِ الْمُتَأَلِّقِ
كَمْ مَتَى يُرْعِدُ لَهُ الْهَوْلُ يُبْرِقُ
لِبُوسِ الْمَنَايَا بَيْنَ هَامٍ وَمَفْرَقِ
مَتَى يَذْنُ مِنْهَا طَائِفُ الْمَوْتِ يُصَعِّقُ

نقض العهود والمواثيق

وقال يهاجم الإنجليز وينعى عليهم نقضهم للعهود والمواثيق:

فَسَائِلُ بَنَّا أَعْلَاجَ «لَنْدُن» هَلْ وَقَوْا
بِعَهْدٍ لَنَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَمَوْثِقِ

(١) يريد بالفور الوجه البحرى وتخير أى تختير.

(٢) الحجول القيود، وريق أى شد.

(٣) المرمق من يشبع جوعاً ويمسك رمقاً.

(٤) أغطش ليله أظلمه ومووق اسم مفعول فعله أوق. يقال أوقه أى حمله المشقة.

(٥) الأورق الذى لونه إلى الرماد. يريد أنه مغير بالخطوب.

(٦) المدله: الداهل.

(٧) الجنرال مكسويل قائد القوات البريطانية حين إعلان الحماية.

(٨) جانفا أى ظالماً.

(٩) المجنة: الترس.

حمة حام أو تقيّة متقى
ولا بلداً بناؤها لم يحرق
سوى صلف المستكبر المتعزّق^(١)
ولا طيب مخضّر من العيش غيدق^(٢)
وهول زمان بالحوادث متأقّ^(٣)
تفئ إلى عام من البؤس أبلق
سفاهة غار في المكاييد مغرق
مق ما نذكره القوانين يحرق
لغير الهوى في حكمه لم يوفق
وتدبير أعمى في الحكومة أحق
لأعلم منه بالنكايه أحذق
ويُسعد أشقاها ويشقى به التقى
على التهج لم يعدل ولم يترفق

لدى فتنة لم يغن عن مصر عندها
جرت عمّا لم تبق أرضاً أمانة
ثلاثين عاماً لا ترى مصر منهم
ثلاثين عاماً لم تشم برق راحة
ثلاثين عاماً بين يأس وحسرة
إذا ودعت (عاماً) من الجور أبقعا
ثلاثين عاماً بالهوان تسومها
يرى نفسه فوق القوانين بيننا
يبيح غداً ما حرم اليوم بالهوى
إلاهة جبار وإمرة خاطل
إذا ما شكوناهم عميداً فأمرنا
يقرب خوأننا ويرفع جاهلاً
إذا ماضى هذا أتى ذاك بعده

إفساد التعليم

وقال يذكر إفساد التعليم والدور المشثوم الذى قام به دنلوب في هذا الصدد:

وبالعلم سلّ «دنلوبهم»^(٤) لم لم يدع
هو الجهل فينا حشدته لحكمة
رمتنا به حمى أصابت بلاده
فحلّ بنا فيمن تمزّق منهم
ولو وزنوا في غير مصر مقامه
فأصبح داءً في المعارف قاتلاً

(١) المتعزّق: العسر الخلق.

(٢) الغيدق: الرخص الناعم.

(٣) متأقّ أى مملوء.

(٤) المستر دنلوب وكان سكرتيراً عاماً ثم مستشاراً لوزارة المعارف والمسئول الأول عن انحطاط التعليم في عهد الاحتلال.

(٥) المدوق: المهزول.

(٦) القدم: الأحمق، والهبلى: الصغير القصير.

فواها على تلك العقول التي ثَوَّتْ
ثلاثين عاماً يسْكُبُ النيلُ حَسْرَةً
وما وردوا من عذبه غير لامع
ولولاه كانت مصر بالعلم روضة
أ «دنلوب» ما تلك المباني رفيعة
وما العلم أن يعلو رتاجُ وقبة
أ «دنلوب» هل أرضيتَ قومك غايةً
بكفيه في لحدٍ من الجهل ضيق
على العلم دمَعُ الواله المتشوق
من الآل في يبدائها مُتَرِّق
تلاً بالأنوار للمتأنق
مق ما تسامق هأمها النجم تسق
على فدن بالأرجوان مزوق
أم العير^(١) إن يبعد به السوط ينفق

ثورة سنة ١٩١٩

وله قصائد غراء في ثورة سنة ١٩١٩ أرخ فيها جهاد المصريين والمصريات وفظائع الإنجليز في قمع الثورة.

حضارة مصر ومجدها

قال من قصيدة له أنشدها سنة ١٩١٩ في الاحتفال بعيد النيروز يشيد بحضارة مصر ومجدها وفضلها على العالم:

فلا. يا ابنة البيت الذي عند بابيه
رويدك إننا في العلا يوم ننتمي
لنا ذروة المجيد الذي تحت ظله
لنا آية الأهرام يتلو قديمها
ملأنا بها لوح الوجود متاقباً
وللعلم من آثارنا في جبالنا
وللملك منا كلُّ أروع نظمت
ومنا الذي ساق الأساطيل شرعاً
إذا جهلوا «ميناً» و«خوفو» و«كفرعا»
وإن أنكروا مُلْك «ابن يعقوب» بيننا
تخرّ ملوك العالمين إذا مروا
كلانا أبوه النيلُ أو أمه مصر
تناسلت الأحقاب واعتمل الدهر
حديث الليالي فهي في فمها ذكرُ
إذا ما خلا عصرُ تلاه بها عصر
على الدقر آياتُ بها ينطق الصخر
على تاجه الأفلاك والأنجم الزهر
على البحر يستحيي لصولتها البحر
فليس «برميسس» على ملكه نُكر
«فموسى» على ما أنكروا شاهدُ برّ

(١) العير: الحمار وينفق: يهلك ويموت.

لنا كل ما في الأرض من مدنية بها تعمر الأمصار والبلد القفر

جزى الله مصرًا ما جزى أهل نعمة
فكم كشفت من ظلمة «عين شمسها»
لنا في الورى حق المعلم لورعوا
فهل ينكر اليونان أنا هدايتهم
وهل نسي الرومان للنيل أنعمًا
فنحن الأولى قد أورثوا كل أمة
إذا اعتز قوم بالجديد سمت بنا

على الناس يغيّ دونها العُد والحصر
فما تم سهل لا يضئ ولا وعر
لنا ذمة والدهر شيمته الغدر
إلى حكمة في العالمين بها بزوا
بما ورثوا منها سبها لهم الفخر
من الفضل ما يغنى به الحمد والشكر
مكارم في طي الزمان لها نشر

الوحدة بين العنصرين

وقال يشيد بالوحدة بين عنصرى الأمة:

بنينا على آداب عيسى وأحمد
فنحن على الإنجيل والذكر أمة
لنا كل ما في مصر والحق قائم
فلن يستطيع الدهر تفريق بيننا
كلانا على دين به هو مؤمن
إذا مادعت مصر ابنها نهض ابنها
ترى ذكر مصر في الهياكل قربة
فلا يحسن للناس أنا تزلزلت
ألم ترنا في كل عيد وموسم
إذا كان عيد الفطر فالكل مفطر
وإن جاء بالنيروز يوم تزامت
فيا عيد أهل النيل عد أهلك المنى
وصافح بشعبك السعادة مقبلًا
تلاقت أمانينا على خير غاية

منازل عزّ دونها يقع النسر
يؤيدها الأنجيل بالحق والذكر
تؤيده الآيات والحجج الغر
وان جرّ قوم بالسعاية ماجرّوا
ولكن خذلان البلاد هو الكفر
لنجدتها سيان مرقس أو عمرو
وفي صلوات المسلمين لها ذكر
بنا قدم أو مس وحدتنا الضر
حليفى ولأى لاجفاء ولا هجر
يهلّ بالبشرى ويزهو به البشر
عليهم به الأفراح وانتعش القطر
تجلّى منار الحق وانبلج الفجر
بصر على الأفراح وليقل الشعر:
وسارت بنا الآمال يقدمها النصر

ثورة الأمة سنة ١٩١٩

ومن قصيدة أخرى أنشدها في حفلة لعقائل السيدات في مسرح برنتانيا سنة ١٩١٩:

| | |
|-----------------------------|---------------------------------------|
| مصرُ أمي، فداء أمي حياقي | سلمتُ أمنا من العاديات ^(١) |
| يارياح الحياة في مصر هُبي | روحينا بطيب ربا الحياة |
| ياساء الحياة في مصر جودي | أنفسا فوق نيلها صاديات ^(٢) |
| مالأم الأمصار حملها الده | ر صنوف الآلام والموجعات؟ |
| مارعى ذمة لها يوم كانت | زينة في عصوره الخاليات |
| إن تناست قديم مصر ليالي | أنكرت صالحاتها الباقيات |
| فاسألوهن عن حديث حديث | لبنيتها عذوه في المعجزات |
| دهش الناس يوم قيل صحت مصر | رُ وكانت في غفلة وسبات |
| إذ لقينا الخطوب وهي شداد | فتولت جموعها مُدبرات |
| وركبنا متن الزمان ذلولا | فمضينا لغاية الغايات |
| بين شرايب بالحزم تحذو شبابا | صادقي العزم ثاقبي النظرات |

دور المرأة في الثورة

وقال يشيد بدور المرأة في الثورة:

| | |
|-------------------------|---------------------------------------|
| وغوان سمعن دأعى مصر | بين تلك القصور والغرفات |
| أفزعتهن حادثات الليالي | في بنيهن بالردى راميات |
| فترامين من وراء خدور | كن فيها البدور مختدرات ^(٣) |
| سافرات ولسن أهل سفور | حاسرات من شدة الحسرات |
| وكتبن الوفاء للنيل عهدا | في قلوب بحبه داميات |
| وتواصين لا يضيعن ديننا | أو يعطلن سنة المؤمنات |
| إيه. لله سعيكن جيلا | يابنات الأنجاب والمنجيات |

(١) العاديات: الأحداث والنواب،

(٢) صاديات: عطشى.

(٣) مختدرات: مستترات في خدورهن.

سيل جهلا في زُمرة الجاهلات
سلم ونور العرفان محتجبات
ل وراء الآفاق والظلمات
ساطع في بدورها النيرات
من وراء الأستار والحجرات
كيف يقفو أباء في المكرمات
فتولتته بالتقى والأناة
عن كرام الآباء والأمهات
خالد في آثاره الخالدات

ظلموا النيل يوم عدّوا بنات النـ
زعموهن بالحجاب عن العـ
بنت مصر كالشمس يحجبها اللـ
وهى في أفقها ضياء ونور
أو هي المسك ينفذ العرف عنه
عرفت كيف يكبر المرء طفلا
أبصرت منبت المحامد فيه
وغذته المجد الذي ورثته
يا ابنة النيل أنت للنيل ذخـ

وثبة مصر

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٠ يصف وثبة مصر:

وأملّى على الأيام فليكتب الشعرا
وحسب الليالي أن يُقال صحت مصر^(١)
ويا ربما أزرى بصاحبه الصبر
ولكن صمت الليث يعقبه الزأر
ولا زهدت فينا مناقبنا الغر
لنا علم بين الدهور ولا ذكر
وهم في بطون الغيب عرفانهم نكر
مقدسة والنيل في لوحها سطر
ونحن الجبال الشم والزهر النضر
بحاضرنا تلو المحامد والفخر
مضاربه وانشق عن ليله الفجر
وذو الذل أولى ما يكون به القبرا

تكلم وادى النيل فليسمع الدهر
فحسب العوادي نهمة النيل زاجرا
صحت بعدما أزرى بها الصبر والأني^(٢)
لعمرك ما صبر الأبي مهانة
فلا تحسبوا أنا وتينا عن العلا
ولا أنكرتنا شمس جيل ولا انطوى
وفي الناس من شابت قرون «وأعصر»
وهل مصر إلا آية أزلية
تفلقت الأجيال حول وجودنا
لئن كان ماضينا فخارا فائما
وقفنا لريب الدهر حتى تغللت
حرام علينا أن نعيش أذلة

* * *

(٢) الأني: الأناة.

(١) النمة: الصوت.

فظائع الإنجليز في قمع الثورة

وقال حين اشتد عدوان الإنجليز في قمع الثورة سنة ١٩١٩ وفتكوا في طريقهم ببعض القرى كالعزيزية والبدرشين:

لو أن مفجوعاً يردّ سؤالاً
وعدا عليهم بالخطوبِ وصَلاً
للّسلم في أرجاء مصر مجالاً؟
سارت رسائلكم بها أرسالاً؟
أنا بمصر نكابد الأهوالاً؟
شعبٌ يريد بأرضه استقلالاً؟
عن مصر صوتاً بالشكّاة تعالى؟
طار الزمان لوقعها إجحالاً؟
يتفيتون من السلام ظلالاً
صفوا وشرب رحيقه سلسالاً
شرّع^(١) المنايا مُسرّعين عجالاً
تمدوا عليه وخادعوا الآمالاً
في أرض مصر نكايةً ونكالا
هتك الستور ومزّق الأوصالاً
نصب الخداع حبالاً وحبالاً
لبس المسوح مُرائياً محتالاً
ويعلموا من أهله الجهالاً
ساموا بنيه الضيّم والإذلالاً
خُلقت لهم ثمراتها أنفالاً

يا مصرُ ما بال الأسى لك حالا
ظلم الزمانُ بنى في أحداثه
يا ناشري عَلم السلام، ألم تروا
ما العدل؟ ما حرية الأمم التي
ما عهد (ولسن)^(١) أين ولسن هل درى
أمن العدالة عنده أن يُبتلى
سفراء (ولسن) هل لكم أن تبلغوا
صرخات أهل النيل من أحلافكم
أضحت شعوب الأرض في بُجوحة
وهم أحق العالمين بورده
لكنهم سيموا الردى فتواردوا
تعبسوا بحكم الإنجليز وطالما اعد
ما بال أبناء الحضارة أوغلوا
وثبوا على القطرين وثبة قاهر
نزلوا بأرض النيل منزل غادر
حلفوا لأهل الأرض جلفة فاجر
أن يبسطوا ظل الحضارة فوقه
حتى إذا ملكوا أزيمة أمره
واستنزفوا ثمرات مصر كأتما

(١) ويلسن: الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية. ويريد بعهد مبادئه المشهورة التي أعلنها عند دخول أمريكا الحرب العالمية الأولى وأساسها احترام حرية الشعوب واستقلالها.

(٢) شرع، جمع شرعة وهي المورد.

فإذا بدا وجه الخداع وأشرقت
نغضوا^(١) رؤوسهم لغيلة أمة
شمس العدالة في المورى تتلالا
خُلقت تعاف الغادر المغتالا

شجاعة المصريات في الثورة

وقال في هذه القصيدة يصف شجاعة النساء المصريات في مقاومة الإنجليز:

تلك العقائل يرقين مع الظبا
تغضى عيون بنى البلاد مهابة
وأرى ابن لندن نحوهن مصوباً
يابن اللكيسة^(٢) إنهن عقائل
يابن اللكيسة إنهن عقائل
يابن اللكيسة ماحلن صوارما
أبناؤهن إذا الأصول تقارعت
يا بن اللكيسة تلك سُبَّتِكَ التي
وارحمته لقريّة مفجوعة
محزونة خبأ القضاء لأهلها
من غادة غال البغاة عفافها
ومصونة في الخدير طار يلها
ماذا أرى؟ جن أحاط بمضجى
ما هذه الجلبات؟ لا أدري لها
أنا لست نائمة؟ وهذي جنة^(١)
ويلاه! ما لأبى على نائماً؟
أعلى ناد أباك، لا، أنا خائف
هذي جنود الإنجليز رأيتها
صاحوا بضحن البيت صيحة فاتك
فإذا متاع البيت يُنهب بينهم
ولرب دار بالقنابل أصبحت

مستقبلات للردى استقبالا
من حولهن وتنحنى إجلالا
بيض الظبا متوثباً مجتالا
يفدين من فتكاتك الأنجالا
يسألن حقاً لا يرذن قتالا
لبنى أبيك ولا دعون نزالاً
كانوا الكرام وكنتم الأنذالا
صدع المقطم خزنها فأمالا
والليل يُرخى فوقها أسدالا
تحت الظلام وقيعاً ونكالا
فبكى الحجاب عفافها المغتالا
صيحات كلب في الحظيرة جالا
أم تلك أحلام تمر خيالاً؟
معنى ولست أعى هُنّ مقالا
تدنو كأعجاز النخيل طوالا
والبيت من وقع الحوافر زالا
يا أم لا تتكلمى؟ لا لا لا
(بالبرشين) تقتل الأطفالا
عات يرى النفس الحرام حلالا
وقد استحلوا نهبه استحلالا
قبراً تضمّن نسوة وعيالا

(٣) جنة: جن.

(١) نفضوا رؤوسهم: حركوها وهزوها.

(٢) اللكيسة: اللثيمة.

وَأَبْ تَحِيْطُ بِهِ هُنَالِكَ صَبِيَّةٌ
ظُلُمًا تَشُولُ بِهِ الْقَنَابِلُ فَهُوَ فِي
يَا رَبِّ، إِنَّ الْإِنْجِلِيزَ تَعَمَّدُوا
يَا رَبِّ، مَصْرٌ بِكَ اسْتَجَارَ ضَعِيفُهَا
فَأَذِقْ عَدُوَّكَ سُوءَ مَا مَكُرُوا بِهِ
تَبْكِي عَلَيْهِ وَتُكْثِرُ الْإِعْوَالَا
جَوَّ السَّمَاءِ مَعَ الْقَنَسَاعِمِ شَالَا^(١)
إِرْهَاقٌ بِمِصْرَ سَفَاهَةً وَضَلَالَا
فِي عِبْرَةٍ تُذَرِّي الدِّمُوعَ سِجَالَا
وَاجْعَلْ عَوَاقِبَهُ عَلَيْهِ وَبَالَا

يخاطب مؤتمر الصلح بباريس سنة ١٩١٩

ومن قصيدة له أنشأها حين اعتقل سعد زغلول لأول مرة في أوائل سنة ١٩١٩، يذكر الثورة ويعاتب مؤتمر الصلح في إهماله مطالب مصر :

يادماء الشباب تجرى على الأر
ما لباريس لاترى أهل مصر
كل شعب له بمؤتمر الصلح
ليت شعري فهل أتاه كتاب
أو درى أننا نراد اختلاسا
سفراء الملوك، ضجة مصر
كم رفعنا إليكم في شكاة
وسألناكم البلاغ فلم نسمة
إنّ للنيل ذمة وعهودا
لو حقنتم تلك الدماء اللواق
كان سهلا عليكم أن تصونوا
ض جسادا^(٢) به ترى مصر يطلى
بين أهل السلام للعدل أهلا؟
ح نصير من البعوث ومولى
أو تلقى من جانب النيل رُسلا؟
في بياض النهار والشمس تجلى
حولكم من زمازم^(٣) الرعد أعلى
حجة كالصباح أو هي أجلى
مع جوابا يرد في الغمد نصلا
هي دين عليكم ليس يبلى
أهرقتها بنادق القوم سيلا
أنفسا وردّها الردى كان سهلا

يندد بفظائع الإنجليز في إخماد الثورة

وقال في هذه القصيدة موجهها حديثه إلى المارشال أَللْنِبي الذي عهدت إليه بريطانيا قمع الثورة :

(١) تشول. تملو، والقشاعم: النسور.

(٢) الجساد (بالكسر): الزعفران.

(٣) الزمازم، جمع زمزمة، وهي الصوت البعيد المدوى.

قَاتَلَ اللهُ مَنْ عَلَيْنَا أَدْلًا
 كَانَ هَذَا بِأَرْضِ (بلجيك) ^(١) أُولَى
 فَلِذَا جَدَّ جِدَّهَا عَادَ هَزَلَا
 لَمْ تَكُنْ لِلْحُرُوبِ وَالسِّيفِ قَبْلَا
 وَهِيَ زَيْنُ السِّيفِ هَزَا وَحَمَلَا
 تَرَكْتَهُمْ حَوَادِثَ الدَّهْرِ عُزْلَا؟
 فَبَدَارَ الْأَمَانَ ^(٢) سَيِّمًا وَسَلَا
 بِرِ بِلَادٍ وَلَمْ يُجَرِّ لِلْحَرْبِ خَيْلَا
 أَشْرَفَ الْمَوْتُ فَوْقَهُ أَوْ أَطْلَا
 رَ لَدَيْكُمْ وَبِالِدَنْيَةِ تُبْلَى
 مِنْ حِيَاضِ الْمَنُونِ عَلَا وَنَهَلَا
 جُبْتُمُ الْوَعَرَ مِنْ فِلَسْطِينَ سَهَلَا
 فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ لِلْفَوْزِ حَبَلَا
 لَمْ عَلَيْكُمْ، لَا تَنْكَرُ الْعُجْمُ فَضْلَا
حَرَّمَ الْأَرْضَ غَيْرَةً أَنْ تُغْلَا
 مِيزَ) عَنْهُ وَنَاءَ بِالْعَبَاءِ حَمَلَا
 تَفْضُخُ الْجَارِيَاتِ وَزْنَا وَكِيلَا ^(٦)
 كَمْ بِهَا الْقَطْنُ كُلُّ عَامٍ أَهْلًا
 مَا وَفَيْتُمْ مِنْهَا الْقَلِيلَ الْأَقْلَا
 إِنْ تَقُولُوا قَدْ يُنْكَرُ الْفَضْلُ جَهْلَا
 مِنْ هِبَاتٍ مَا جَاوَزَتْ بَعْدَ حَوْلَا
 تُبْهِمُ فِي الْوَعَى وَبَاءَ وَقَتْلَا

أَيُّهَا الْقَائِدُ الْمُدِلُّ عَلَيْنَا
 صَلَفٌ بَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ وَعُجْبٌ
 صَلَفٌ جَدٌّ فِي مَوَاطِنِ هَزَلٍ
 عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ مِصْرَ بِلَادٌ
 مَنَعَتْهَا الْأَيَّامُ حَمَلَ الْمَوَاضِي ^(٢)
 فَلِمَ الْكِبَرِيَاءُ بَيْنَ أَنْاسٍ
 أَيُّهَا الْقَائِدُ الَّذِي حَيَّرَ السَّيِّدَ
 عَلَّمَ الْخَيْلَ كَيْفَ تَحْتَالُ فِي غِيْدٍ
 إِنَّمَا يَحْمَدُ الْخَيْلَةَ ^(٤) يَوْمٌ
 مَا لِمِصْرٍ تُجْزَى جِزَاءُ سِنْمَا
 وَأَرَاكُم لَوْلَا بَنُوها سُقِيتُمْ
 سَآئِلُوا الشَّامَ هَلْ بَغِيرَ بَنِينَا
 أَوْ مَدَدْتُمْ بَغِيرَ أَبْنَاءِ مِصْرٍ
 إِبْلُ مِصْرٍ وَأَتْنَهَا ^(٥) تَعْرِفُ الْفَضْ
لُو دَرَى النَّبْلِ مَا سِيلَقِي بَنُوهُ
 كَمْ ظَفَرْتُمْ مِنْهُ بِمَا عَجَزَ (التَّالِيَا)
 كُلُّ عَامٍ تَجِبِي إِلَيْكُمْ حَبُوبٌ
 وَقَنَاطِيرٌ مِنْ نِضَارِ يَوْافِيْدٍ
 نَعَمْ لَوْ أَرْدَقْتُمُوهُنَّ شُكْرًا
 مَا جَهَلْتُمْ لِمِصْرَ فِيهَا صَنِيعًا
 أَنْسَيْتُمْ لِمِصْرَ مَا مَنَحْتَكُمْ
 أَمْ نَسَيْتُمْ أَبْنَاءَهَا يَفْتَكُ الْمَوْتُ

(١) يشير إلى هزيمة الحلفاء أمام الزحف الألماني في بلجيكا إبان الحرب العالمية الأولى.

(٢) المواضي: السيوف.

(٣) الشيم: اغماد السيوف.

(٤) الخيلة: الكبر.

(٥) الأتني: الحمير؛ والعجم: البهائم...

(٦) الجاريات: السفن؛ وتفَضَخها: تسكرها. لتفلها وكثرتها.

وختمها بقوله:

معشرَ الإنجليز مصر لأهليها ومن ظن غير ذلك ضلًّا
معشرَ الإنجليز مصر استقلت وجديرٌ بالنيل أن يستقلا

يخاطب مؤتمر الصلح أيضًا وينادى بالاستمرار في الكفاح

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩١٩ يخاطب مؤتمر الصلح بباريس، وينذر بالاستمرار في الكفاح إذا لم تحب مطالب مصر:

| | |
|---|---|
| <p>أباريسُ إن كانت لضيْفِ كرامة أباريسُ إن تُدنى العدالةُ وافدًا أباريسُ كم للنيل عندك من يد ومن شكرها أن تعرفوا حق أهله حرامٌ عليكم أن يراق له دم فيا أمراء الغرب دعوة مُسمع سلوا جلفكم عما جرى في ديارنا وما هذه الغارات يعلو صريخها وما هذه الأجسادُ في كل بلدة إذا طفح الحُزْنُ من دم أهله نرى الحرب فيما بينكم جفَّ عودها على غير ما ذنبُ جنينا فما لنا فيا عجبًا شعب يساق بأرضه</p> | <p>لديك فضيف النيل أبلغ من يُثني عليك فأهل النيل أكرم من تدنى تناقلها التاريخُ قرْنَا إلى قرن وَألا تَسُومُوا (وَقَدَهُ) صفقة الغبن حرامٌ وأنتم قادرون على الحقن يُصرِّح في رفع الشكاية ولا يكنى وما جرحوا مما يشين وما يرضى مُوجبةً، هذى ترُوعُ وذى تُفنى مُصرَّعةً فوق التراب بلا دَفن فَنَمَّ دَمٌ في الثغر يُربى على الحُزْن فما بالها في مصرَ ناضرة الغصن؟ نُسامُ الدنيا لم نحارب ولم نَجِن أسيرًا إلى دار المذلة والسجن</p> |
|---|---|

| | |
|---|--|
| <p>ولو مَزَّقُونَا بالثقفة اللدن^(١) ولو طحنوه بالمقذفة الدُّكن^(٢)</p> | <p>ملوكَ الوَرَى، لن يتركَ النيل حقه ملوكَ الوَرَى، لن يتركَ النيل حقه</p> |
|---|--|

(١) يريد بالثقفة اللدن الرماح المقيمة.

(٢) يريد بالمقذفة الرصاص والقنابل. والدكن: ما تضرب إلى السواد.

ظننا بهم خيرًا من الدهر حِقْبَة فكانت قصارانا بهم خيبةُ الظن
صبرنا وأشهدنا الأنام عليهم إلى أن رَمَوْنَا بالمهانة والجبن
ثلاثين عامًا بعدها سبعة خلت طوال الليالي السود حالكة الدجن
عواصفُ بأسٍ ينشدها النيل تحتها نَقَمْتُ الرضا حتى على ضاحك المزن
سَقَوْنَا بها مُرًّا من العيش آجنا وياليتهم لم يرهقوا الناس بالَمَن
فإن تُتصفوا أبناء مصر فَمِنَّةٌ لكم أبدًا نُثْقَى عليها بما نثَى
وإلا رددناها عليهم كريمة وللدهر شأن لا يُقاس على شأن

رثاؤه لمحمد فريد

ولما جاء نعي الزعيم محمد فريد في منفاه (نوفمبر سنة ١٩١٩) - وكانت مصر في إبان الثورة - رثاه بقصيدة مؤثرة تفيض وطنية وبلاغة قال:

سَلُّوا جَفْنَ عَيْنِي مَا لَهُ بَاتَ يَنْزِفُ وعهدى به إن سُمْتُه الدمعَ يَأْنِفُ
وَيَا رَبِّ هَمْ يَمْلِكُ النَّفْسَ بِالْأَسَى ويعدو على العين الجمود فتزِفُ
وَمَا أَنَا مَا دَعَى! وَفِي مِصْرٍ أَنَّهُ بها الطير نوح والغمام كُفُ^(١)
بَكِينَ غَرِيبًا طَوَّحَ الْبَيْنُ دَارَهُ فلا العودُ مأمول ولا الدارُ تعرفُ

وَمَا أَنْكَرْتُ مِصْرُ ابْنَهَا فَتَبَتْ بِهِ ولكنه دهرٌ على الحرِّ مُجْنِفُ^(٢)
ثَوَى غَرْبَةً، بَعْدَ الْمَعَادِ قَرَارُهَا فيا طول ما يستشرف المُتَشَوِّفُ
وَكُنَّا حَسْبَنَا شُقَّةَ الْبَيْنِ تَنْطَوِي فيأوى إلى مِزْبَاعِهِ الْمُتَصَيِّفُ^(٣)
وَأَطْمَعْنَا فِي الْمُلْتَقَى لِمُعْ بَارِقٍ من السُّلَمِ فِي لَيْلِ الْحَوَادِثِ يَخْطِفُ
فَلَمْ نَرِ سَلَامًا يَنْتَهَى النَّأْيُ عِنْدَهَا بناءً ولا حتمَ الردى يتخلفُ

بَعَيْنِي مِنْ نَادَى مَنَادِيهِ لِلنَّوَى فَوَدَّعَ لَا يَأْنِي وَلَا يَتَبَوَّقُ

(١) وكف: مرسلات بمانها.

(٢) أجنف: جَار وعدا.

(٣) المربع: المكان ينبت في الربيع؛ والمتصيف: المصطاف.

لها حُرْقٌ تُدمى القلوب فتنتطف
يكاد لها من تحته البحر ينشف
يكفكفها كبراً فلاتتكفكف
قساً أهله جهلاً عليه وأجنف
يُعنَى عليها جارم أو يُعنّف
إذ الدهر ألقى والحوادث تعصف
تؤيدنا يوم العتاب وتُنصف
بذى حَدَبٍ يُقسى عليه فيرأف
هو الدهر في أحكامه يتعسف

يُدافع آلاماً تياسرن قلبه
ففى قلبه مما دهم النيل زفرة
وفى عينه من لوعة البين عبرة
وفى نفسه عُتْبَى على البلد الذى
برمت بنا يا مصر لا عن جناية
وكيف تناست مصر حسن بلاتنا
مواقفنا يا أم فيك شهودها
رويدك نفساً أنكرت فعل قومها
على رغم قومى ما لقيت وإنما

وللنيل ما ألقى وما أتكلف
فيجمعنا يومٌ بمصر وموقف
ومالى من أسبابها أتخوف
بأن المطايا بي إلى الموت تزحف
بلادى تحبو فى الإِسار وترسف
أليّة^(١) من لا يمتري حين يحلف
فإما الردى أو يُنصف النيل مُنصف
وحجبه سترٌ من الغيب مُسجف^(٢)
وبين ديارينا جبال وصفف^(٣)

سلامٌ على قومى، وداعاً بنى أبى
ويا موقف التوديع هل تُسعد المنى
أخاف المنايا أن يكنّ رواداً
تحدثنى طيرٌ جرّين بوارحاً
ويحزننى ورد المنايا ولم تزل
حرامٌ علينا أرضها وسماؤها
ويا فلكٌ باسم الله مجراك ألقى
فما كان إلا ن طوى البحر والثرى
فدون تلاقينا ليالٍ وأشهر

على همة من همها الدهر يكلف
عوادٍ إذا صبّت على «الألب» تحرف
جدير بها الليث المصور المقذف

هنالك ألقى فى بنى الغرب رحله
بعيد المرامى لا تهد صفاته
تقدّفه فى زاخر اليأس همة

(١) الصفص: الفلاة.

(٤) جبال الألب المشهورة.

(١) الأليّة: القسم.

(٢) أسجف الستر: أرسله.

سوى الحق أو يعنو لبأس فيضعف
وفي الغرب للعاني مراد ومألف
وأنيابها من شدة البأس تصرف
على القر أسمال به يتلقف
تجلد لا يشكو ولا يتأقف
وفي مصر يبكيه البناء المطنف
بهم نعتلى هام الفخار ونشرف
على البأس ماض ذو غرارين مرهف
بذكرهم تلهو القيان وتعزف
نمتهم لعلياها معد وخندف^(١)
مناقبهم ورق من الفخر هتف

مئى قومه والحر للحر ينصف
من الغرب ناع قام باسمك يهتف
رسائلهم بالموجعات وأرجفوا
على فرش البلوى ببرلين مدنف
وقاموا بأكتاف السرير وطوفوا
وتبكي له منهم قلوب وترجف
من الموت مضى داؤه يتجوف
كؤوسا بالاستسقاء للنفس تحطف
عليك بنها، والردى ليس يصرف
بنو مصر غالوا فى الفداء وأسرفوا
بما جمعوا من تاليد أو تطرفوا
براها الأسى من بعده والتلهف

وهيهات أن يخشى أخو الحق قوة
ثوى فى بلاد الغرب بالنيل عاتيا
يصرف أحداث الليالى غواشيا
فطورا تراه فى «جنيف» لباسه
إذا صفرت من ذات دنياه كفه
وياوى إلى بيت وطىء عماده
ويكنفه من فتية النيل أنجم
إذا احتدمت للبأس نار فعلهم^(١)
وإن ذكر المجد القديم فإنما
إذا ما انتمى قوم لدنيا جدوهم
وإن ذكروا أبناء فرعون رجعت

فيا مسمع الأحرار من كل أمة
لقد فجع «الفسطاط» فيك وأهله
لقد فجعوننا فيك يوم تتابعت
فيا ويح يوم قال فيه غريبها
بروحى إذ جاء الأطباء خشعا
يعلله بالقول منهم مبشر
تجوفه الداء العضال وهل نجا
قضى الله أن يسقى «فريد» بأرضنا
يعز على «برلين» أن يغلب الردى
أطباءه؛ لو يستطيع فداءه
فليل عليه لو يفديه قومه
فليت الليالى سالت فيه أمة

(١) العلام: الضخم العظيم.

(٢) معد وخندف حيان من العرب؛ يريد أن أصولهم عريقة فى النسب والشرف.

عرفنا له بِرّ الوَفَى بعهدِها إذا خان قومٌ عهدَ مصر فلم يَفُوا
أفاض عليها نفسه بعد ماله ومالَ بهم عنها متاعٌ وزُخرف
ولولا رجال مؤمنون نَجَّوْا بها لراحت بها ريح من الغدر زَفَرْف^(١)

يندد بالفرقة والانقسام، ويدعو إلى الوحدة

وحين حدث الانشقاق في الوفد سنة ١٩٢١ وقام الخلاف بين سعد وعدلى وانقسمت الأمة تبعاً لذلك، نظم قصيدة يندد فيها بالفرقة والانقسام، ويدعو إلى توحيد الصفوف قال فيها:

كنا أشقاء الإخاء فما لنا صرنا بنى العَلَّات والأخِيف^(٢)؟
بالأمس كان إخواننا مثلاً وكنا زينة الخلطاء والآلاف
كنا إمام المشرقين، سبيلنا قَصْدٌ ومُشرعنا نَمِيرٌ صافي
يترسمون على الحياة طريقنا للحق في الإيضاع والإيجاف
فإذا بنا جارت هَوَادى رَكبنا عن منهج الآباء والأسلاف
عَبَثَ بوحدتنا الخطوبُ وأعلت في غَرْس أيدينا يدُ الإِتلاف
والخصم يحجل بيننا للشر في ثوبين ثوب مُوافق ومنافى
مُتَمَرِّ يُغرى العداوة بيننا بالكيد والتفريق والإرجاف
أو ليس فيما قد مضى من عِبرة لبنى أبى، والأمرُ ليس بخافى؟
أو لم يَرَوْا أو يسمِعوا نَذْرَ الردى تَطْوَى إلينا لُجَّةُ الرَّجَّاف^(٣)
هذى تُلَوِّح بالوعيد وتلك تر مينا به في لهجة الأَجَلَف^(٤)
جعلوا صحافتهم مظاهرَ كيدهم فتزاورت جنفاً عن الإنصاف
صحف يضيع الحق في ألوانها صوراً يزد بها على الآلاف
الحق فيها كل ما شاء الهوى حُكْمٌ تؤيده بلا استئناف
فليعتبر قومي كفى ما قد جرى من ذات خلف بيننا وتنافى
لا تُوجِعوا تلك القلوبَ فحسبها جام أصاب من الزمان الجافى

(١) زغزف: شديدة الهبوب في دوام.

(٢) العلات: جمع علة، وهى الضرة. والأخيف: الذين أهمهم واحدة وآباؤهم شق.

(٣) الرجاف: البحر؛ سمي به لاضطرابه.

(٤) الأجلاف: جمع جلف؛ وهو الرجل الجافى.

عشر كواملُ في الخلاف فهل بها
 شربت من الأيام كل مرتق
 أبني أبي، ردوا القلوب إلى الهدى
 الوفد منا والحكومة بعضنا
 والنسر غايته البوار ومن أبي
 من ذلك الداء المبرح شافي
 من كل مر بالخطوب زُعاف
 وتنبهوا فالدهر ليس بغافي
 هذا أخو هذا بغير خلاف
 فالله للشعب المروّع كافي

أحمد زكى أبوشادى

ولد سنة ١٨٩٢



هو الشاعر المجدد، والأديب الحر الم فکر، الدكتور أحمد زكى أبو شادى.

ولد سنة ١٨٩٢ بالقاهرة، من أسرة عريقة فى الوطنية، وأبوه المرحوم محمد أبو شادى أحد كبار المحامين الذين نالوا المكانة الرفيعة فى عالم المحاماة ومن جاهدوا فى الحركة الوطنية، ووالدته السيدة أمينة نجيب من السيدات الأديبات الشاعرات، وكان أخوها المرحوم مصطفى نجيب^(١) أديباً وطنياً وصديقاً ونصيراً للمرحوم مصطفى كامل.

أتم دراسته الابتدائية ثم الثانوية فى المدارس المصرية، وظهرت مواهبه الشعرية والأدبية فى هذه المرحلة من الدراسة، وكان من تلاميذ مصطفى كامل فى الوطنية، ودخل كلية الطب بالقاهرة، ولم تصرفه الدراسات الطبية والعلمية عن الاستمرار فى دراساته الأدبية، فأحب الشعر وتذوقه، وأقبل على نظمه وهو فى هذه السن المبكرة، وشعره رقيق ممتع، يمجّد الوطنية وينزع إلى الحرية والتجديد والخروج على الأساليب القديمة، واحتفظ بهذا الطابع على تعاقب السنين، وأكمل دراسته الطبية فى إنجلترا، وتعمق فى الآداب الإنجليزية إلى جانب دراسته من قبل للآداب العربية، وازداد تعلقاً بالتجديد فى الأدب والشعر، ولما عاد إلى مصر تنقل فى مناصب الحكومة وصار أستاذاً للبكتريولوجيا بكلية الطب بجامعة الإسكندرية ومديراً للمعمل البكتريولوجى بالمستشفى الحكومى بها.

كان ولا يزال يصدر فى شعره عن إلهامه وعقيدته وإيمانه، وفى ذلك يقول عن نفسه: وهل كان شعرى غير إيمان مهجى وعشقى وإحساسى ولحنى المرء وكون مدرسة أدبية تزعمها ترمى إلى الثورة على القديم والدعوة إلى الحرية فى الفكر

(١) والد الأديب الأستاذ سليمان نجيب.

والأدب والفن، وكان لهذه المدرسة مجلة أدبية تسمى مجلة (أبولو) الشعرية الأدبية، أصدرها أبو شادي في القاهرة سنة ١٩٣٢ وكانت ندوة لأنصار الجديد من الشعراء والأدباء، وتكاد تكون المجلة الشعرية الوحيدة التي ظهرت في العالم العربي، وقد استمرت نحو ثلاث سنوات ثم احتجبت.

وقد صادف أبو شادي في حياته الحكومية والأدبية عننا وأذى من رؤسائه وأنداده، واستهدف من أجل نزعة الحرية لشقي ضروب المناوأة، فاعتزم الهجرة من مصر، وهاجر فعلاً إلى نيويورك في سنة ١٩٤٦، وهناك رحبت به الدوائر الأدبية والعلمية ترحيباً عظيماً، وأخذ ينشر في الصحف والمجلات العربية والأجنبية في أمريكا ثمار أدبه وشعره، ونفحات آرائه وأفكاره، كما أخذ يذيع من «صوت أمريكا» مرتين في الأسبوع، وأسس في نيويورك (رابطة مينرفا) الشعرية الأدبية على غرار (جمعية أبولو) وقدرته الحكومة الأمريكية والجامعات والمعاهد والمؤسسات الثقافية في العالم الجديد، وانتخب أستاذاً للأدب العربي بمعهد آسيا بنيويورك، وهو يتولاه إلى اليوم^(١) بجدارة تفخر بها مصر، ويعد أبو شادي رائداً من رواد النهضة الأدبية والفكرية الحديثة، وهو رغم هجرته إلى العالم الجديد دائم الصلة بوطنه بواسطة الصحافة في أمريكا وفي مصر، وبواسطة مريديه وتلاميذه الممتازين الذين اقتبسوا من روحه التقدمية وتعلقه بالحرية وإيمانه بما يقول ويكتب.

وهو في أحاديثه ومحاضراته لا يفتأ يذكر مصر ويناضل عنها ويحن إليها ويشيد بها ويعلمانها وأدبائها وكتابها وتاريخها، وهو في غربته خير سفير أدبي لمصر في العالم الجديد. وله عدة دواوين من الشعر نحي فيها منحي التجديد والابتكار. وحلّق في سماء الفن والخيال والسمو الفكري.

نذكر منها ديوان «أنداء الفجر» وهو أول دواوينه ومختارات من نظمه سنة ١٩١٠. و «أنين ورنين» وهو صور من شعر الشباب. و «الشفق الباكي» وقد ظهر سنة ١٩٢٤. و «الينبوع». و «أشعة وظلال» وقد نشر سنة ١٩٣١. و «أطياف الربيع». و «فوق العباب» وقد طبع سنة ١٩٣٥. و «عودة الراعي» وقد ظهر سنة ١٩٤٢.

ومن آخر دواوينه «من السماء» وقد ظهر في نيويورك سنة ١٩٤٩ ويضم معظم شعره من سنة ١٩٤١ إلى سنة ١٩٤٩.

هذا ماعدا ما أخرجه من الكتب والمؤلفات والقصص والمسرحيات.

(١) وقت ظهور الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٥٤.

رثاؤه لمصطفى كامل

قال من قصيدة له في فبراير سنة ١٩٠٨، وكان ما يزال طالبًا بالمدرسة الثانوية يرني مصطفى كامل:

يا مصر حَلِّقْ طَيْرُ اليأس في أفق
مات الرئيس فمات بعده هم
داج بأحزان شعب كان ساليها
قد كان نبراس فكر منه يجليها
إلى أن قال:

سارت به أمة أحيا مداركها
ودّت لو أن صروف الدهر تأتيها
وتلكم النفس هذا الشعب يفديها
والكلّ يلبس ثوبا للحداد أسي
على الفقيد ومامن ثمت يهديها
أبصارها نكست من فوقها كتبت
عبارة كان صدق الحس يليها
يامصر الفتاة مرور العمر تذكره
لروحه لم تزل تعدو أمانيها

مفخرة رشيد

وله في سنة ١٩٢٥ قصيدة وطنية من نيف وستين بيتا، نظمها تقييدًا لذكرى معركة رشيد التي وقعت يوم ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ بين المصريين والإنجليز وفاز فيها أبطال رشيد على الجيش البريطاني الذي زحف على مدينتهم يريد احتلالها، فصدوا له وقابلوه في الشوارع واستبسلاوا في الدفاع عن مدينتهم حتى صدوه عنها وهزموه وارتد عن المدينة بعد أن فقد في المعركة ١٧٠ قتيلًا و ٢٥٠ جريحًا و ١٢٠ أسيرًا^(١)، وكانت هذه المعركة حقًا مفخرة لرشيد وأشاد أبو شادي أيضًا في قصيدته بالمعركة الثانية التي وقعت في (الحمام) وانتهت كذلك بهزيمة الجيش البريطاني.

قال:

رَوَّحِينَا بِأَحَادِيثِ الْجَلالِ
وَأَسْمَجِي (يا مصر) أَنْ نُزَجِّي لَهُمْ
مُتْنَتِي فَخَرِ رِجَالِ بِرِجَالِ
سِيرَةً مِنْهُمْ تُغْذِينَا بِحَالِ
وَبِأَمَالِ لَاتٍ غَالِبِ
إِنْ آتَى الْمَجْدُ مِنْ مَاضِي الْخِيَالِ

(١) راجع في تفصيل معركة رشيد كتابنا (تاريخ الحركة القومية الجزء الثالث - عصر محمد علي).

خاطئي مَنْ ظَنَّ ماضيه بلا
مأثما شعبٌ بلا جهْدٍ مضى
هى أحلامٌ وأعمالٌ بَنَتْ
هو مهْدٌ وَلِدَتْ فيه العُلَى
لم تجيء طُفْرَةٌ جيلٍ لاعِبٍ
كابرٌ عن كابرٍ قد صانها
مُرْشِدٌ يَهْدِي إلى غالى المآلِ
وَتَبَقَّى فيه تَذْكَارُ الفِعالِ
فى سَنَيْنِ وسَنَيْنِ كُلٌّ غالٍ
بأناءٍ وكِفاحٍ ونِوالِ
إنما جاءت على طُولِ اللَّيالى
بمِراعاةٍ وأخلاقِ المعالى

إلى أن قال محييا ذكرى أبطال رشيد الذين صدوا جيش الغزاة المستعمرين :

رَوَّحِينَا (مصر) مِنْ ذَكَرَاهُمُو
بَلَّغِينَا كَيْفَ أَوْدَى عَزْمُهُمْ
كَيْفَ هَزُّوا قُوَّةً أَكْبَرَهَا
كَيْفَ ضَحَّوْا لِلرِّمَالِ دَمَهُمْ
كَيْفَ أَفْنَوْا مِنْ جُنُودٍ صَوَّبَتْ
كَيْفَ كَيْفَ اسْتَبَسَلُوا فى وَاجِبِ
تلكَ ذَكَرَى عَنْ بُلُوغِ لِمَحَالِ !
بِصَعَابٍ قُمْنَ أَقْسَى مِنْ جِبَالِ !
عَالَمُ الْقُوَّةِ وَالْحَرْبِ الضَّلَالِ !
فى دِفَاعِ الْعِزِّ عَنْ تلكَ الرِّمَالِ !
نَحْوَهُمْ أَقْوَى مُعَدَّاتِ الْقِتَالِ !
وَأَقَامُوا الْمُلْكَ وَضَاءَ الْخِلَالِ !

يا (رشيد) الذِّكْرُ حَتَّى خَالِدُ
أَنْتَ تَغَرُّ نَاطِقٌ فى رَسْمِهِ
لعظيم الجُهدِ معدوم المِثالِ
حُرْمَةُ المَاضِي (لِلنَّيْلِ) الزَّلَالِ

إلى أن قال :

مِثْلَ مَا أَذْكَى لَهَا شَبَابُهَا
كَالْجَرَادِ نَشْرُهُمْ فَيْكَ عَلَى
فَإِذَا الْعَادُونَ جَاءُوا مَا بِهِمْ
وَأَنْتَ فَرَقْتَهُمْ فى نَشْوَةٍ
بَيْنَ قَتْلَى وَحِيَارَى هَرَبُوا
ثُمَّ جَاءُوا فى جَمِيسٍ لِحَبِ
فَتَحَدُّوا خَصْمَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ
رَبَّوَاتٍ يَرْقُبُونَ وَتَلَالِ
ثِقَةً إِلَّا وَضَاعَتْ فى مَلَالِ
عَنْكَ فَارْتَدَّتْ خِيَالاً فى خِيَالِ (١)
وَضَحَايَا لِإِسَارٍ وَعُقَالِ
وَعَوَادٍ لَمْ يَكُنْ جَالَتْ بِبَالِ (٢)

(١) يقصد معركة رشيد.

(٢) يقصد معركة (الحماد) التى تقع جنوبى رشيد بين النيل وادكو؛ وقد وقعت فيها المعركة الثانية بين الإنجليز والمصريين يوم ٢١ إبريل سنة ١٨٠٧؛ وكانت أشد وأقوى من معركة رشيد، وهزم فيها الجيش البريطانى أيضا هزيمة ساحقة، انتهت بفشل الحملة البريطانية وجلاء الإنجليز عن الديار المصرية فى سبتمبر سنة ١٨٠٧.

مِنْ مَتَارِسٍ كَفَتْ رُؤَيْتَهَا
وعديدي بين باغي مدفع
وَأَبَوْا إِلَّا حَصَارًا هَائِلًا
وَعَنِمْتَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُمْ
رحلوا رحلة جانٍ ضائع
لحسابٍ وَعَقَابٍ وَنِكَالٍ
أَسْوَدَ الْوَجْهِ وَإِمْدَادٍ مُوَالٍ
فَدَفَعْتَ الْحَصْرَ دَفْعًا بِالْعَوَالِ
من شُمُوخٍ وَإِبَاءٍ قَبْلَ مَالٍ
بِئْسَ يَوْمُ الْخُسْرِ مِنْ يَوْمِ ارْتِحَالٍ

* * *

هكذا بالبأس تحيا أمة
هكذا بالوحدّة الحسنة لا
إِنَّ شَعْبًا يَتَحَدَّى (انجلترا)
وَبَنِينَ يَنْشُدُونَ مِثْلَ مَا
إِنَّمَا الْأُمَّةُ مِنْ أَفْرَادِهَا
لا بخوفٍ أو غلورٍ أو خبالٍ
يَعْدَمُ الإصباحُ أَبْنَاءَ الْهَلالِ
في مجالِ الْحَقِّ شَعْبٌ لَا يُنَالِ
أَحْسَنَ الْآبَاءِ أَوْلَى بِاِكْتِمَالِ
في ثباتٍ ووفاءٍ ونزالِ

إلى أن قال :

إِيهِ قَوْمِي قُمْتُ فَيْكُمْ ذَاكِرًا
وَأَنَا الْيَوْمَ طَرُوبٌ ذَاكِر
فلنا كلتاها عنوان ما
أَيُّ مَصْرِيٍّ دَرَى مَا لَقِّنَا
أَيُّ جَمْعٍ مِنْ خِصَالٍ خَرَّةٍ
أَيُّ شَعْبٍ فِي جَلالٍ وَسَيِّئٍ
كُلُّنَا فَرْدٌ لَهُ أُمْتُهُ
لَا سُبَاتٌ - هَانَ أَمْ طَالَ بِنَا -
في طَلابِ الْمَجْدِ - أَنْ تَمْضَى بِنَا
خَابَ مَنْ ظَنَّ الرِّقَادَ مِيتَةً
(نافرين) الْأَمْسَ فِي مُشْحَى الْمَقَالِ
دُرَّةُ التَّارِيخِ شَعَتْ كَاللَّيْلِ
يَحْفَظُ التَّارِيخُ مِنْ غَالٍ وَحَالٍ
مِنْ عِظَاتٍ ثُمَّ أَضْحَى وَهُوَ سَالٍ ؟
لَمْ تَكْرَمْ جَمْعَ هَاتِيكَ الْخِصَالِ ؟
يَدْعَى أَنَا عَبِيدٌ وَمَوَالٍ ؟
حَظُّهُ بَلْ قَصْدُهُ فِي كُلِّ حَالٍ
مَا يُؤَدِّي بِعَلَانَا لِانْحِلَالٍ
فَتْرَةٌ لِلَّهِ أَوْ دَوْرٌ لانتِقَالٍ
كَمْ أَسْوَدَ رَقِدَتْ تَحْتَ الظَّلَالِ !

* * *

أَنْ رَجَعُ الْجَهْدُ قَوْمِي فَاَنْفَضُوا
بِسِلَاحِ الْعِلْمِ قَبْلَ السَّيْفِ قَدْ
سِنَّةَ اللَّهِ وَهِيَا لِلْمَجَالِ !
صَارَتْ الْحَرْبُ أَعْجِيبَ اشْتِفَالِ

رَبُّ خَيْطٍ مِنْ نَسِيجِ الْقَطَنِ لَا يَبْلُغُ الْمَدْفَعُ مِنْهُ كِفْعَالُ
عَالَمٍ فِيهِ الْفَنُونُ قُوَّةُ وَالصَّنَاعَاتُ، وَلَيْسَتْ لِلْجِدَالِ
عَمَلٌ مُسْتَتَبِعٌ لَا يَنْقُضِي لَا قِتَادَ وَانْتِفَاعٍ وَاشْتِمَالِ

* * *

أُمْتُ ! أَحْلَى دُعَائِي دَعْوَةٌ لَكَ مِنْ قَلْبِي بِهَا أَسْمَى ابْتِهَالِي ؟

رثاؤه لفريد

قال سنة ١٩١٩ من قصيدة له في رثاء محمد فريد :

سلوا (برلين) عمن حل فيها يفتت كبده المرض العنيد
مضى يستوهب الأيام عمرا تتم به المساعي والجهود
قلم يذهب بعلته طبيب ولم يكتب له عمر جديد
وخرَّ على السرير وحب مصر على تبريح علته يزيد
فيا لهفى عليك وأنت كهل غريب عن أحبته بعيد
تموت فلا ترى مثواك أم ولا أخت ولا زوج ودود
ولا يروى ثراك أخ شقيق بدمعته ولا طفل وليد

الحياة كفاح

قال سنة ١٩٢٣ من قصيدة له عن (المجاهد الجريح) يصف الحياة وأنها كفاح وجهاد :

شهدتُ من الدنيا المعارك والمُنَى تسوق الفتى نحو المعارك والخطب
فصرتُ كجندىٍ جريحٍ مضمدٍ يئن ولكن كم يحنُّ إلى الحرب
ويهرب من حكم الحجا في وثوبه إلى ساحة الهيجاء والموقف الصعب
توالت جراحاتي وأوذيتُ دائما وهيئاتُ القبي من سلاحي ومن دأبي

يدعو الشعب إلى مجاهدة الفساد

وقال من قصيدة له في ديوانه (عودة الراعى) سنة ١٩٤٢ :

يا شعبُ قُمْ وانشد حقو فك فالخنوع هو المات

تشكو الغريب وعلة الشد كوى الزعامات الموت

قد عمت الفوضى وقد دب الفساد بكل شئ
فإذا سكنت فلن تُعد دُ ولن يفى لك أى حى

ما دمت تقبل أن تك ون من الضحايا كالعبيد
سيُسومك القُوم والأس ياد ألوان القيود

يا شعبُ كيف تطالب الغد رباء بالبر السخى
وتطبق مُلكك فى محامى باة وفى نهب وغى

هيهات يُعطى الحق من ألف التهاون فى الحقوق
هذا هو العدل الصحيح وغيره عَيْن المروق

انهض وحاكم بائعيك إلى الهوى وإلى الفساد
أو مت ذليلاً لا يُقا س بذله حتى الجماد

يودع مصر

وقال يودع مصر ويذكر أسباب هجرته فى قصيدة له عنوانها (لم أرتحلت؟):

سألونى لم أرتحلت؟ كأنى لم أجهم بسيرقى نصف قرن
شادياً بالطلاق من شعرى الباكي أغنى لمجدهم ما أغنى
وحياتى لعزهم فى كفاح ككفاح الشعاع فى وسط دجن
مُثل لن نخذ نوعاً وعدا كنجوم السماء فى كل فن
وتبلغت بالعذاب وبالبؤس مرارا وكل حظى التجنى.

وكأنى وحدى المسىء بإحسا
ما كفاهم أنى أعانى وجودى
ما كفاهم أنى أوصل ليلى
ما كفاهم أنى أضحى بروحى
ما كفاهم أنى تناسيت نفسى
ما كفاهم أنى لهم ذلك الرا
ما كفاهم أنى ارتضيت شقائى
ما كفاهم هذا وهذا فنادوا
ثم حالوا بين المثالية العد
فترحلت حيث تحترم الأحرار
وأظل الوفى رغم اغترابى
فى لعصرى أو أنه لم يسعنى
فى وجود بقاؤه محض غبن
بنهارى لأجلهم وسط من
حينما عز من يضحى ويفنى
فوق نسيانهم حقوقى وأمنى
ند يشقى كالراح فى أسردن
لى جزاء ويهدمون وأبنى
بعقوقى وما راعوا حق سنى
ييا لفكرى وبين شعبى وبينى
وحيث الهواء طلق لذهنى
لبلادى ما غيبت قط عنى

القلب الباكى

ومن قصيدة نظمها فى عيد ميلاده عام ١٩٤٨ يتاجى فيها الوطن قائلا:

يامصر لولاك ما فارتقت فى حرقى
أهواك فى غربتى أضعاف ما سمحت
ما العيد عندى فى مباهاجه
على سلام وفى حرية شملت
الثلج حولى أحنى فى تحرره
والنفى أسعد أيامى إذا فرضوا
ياربّ مقترب فى حكم مغترب
أزكى الجنان، ولا عوقبت، لولاك
به المقادير فى قربى، وأهواك
أنا الغريب فعيدى يوم ألقاك
لا أن أعبود لأغلال وأشراك
على فؤادى من ضيم بدنياك
ذل الجباه لمألنون وأفاك
وضاحك كل ما فى قلبه باك

الحنين إلى الوطن

قال يصف حنينه إلى الوطن وتعلقه به فى غربته:

نفّيان: نفى مغرّب عن أمتى
وحيالى الأفراح شتى مالها
قالوا فررت وما فررت وإنما
عان، ونفى معذب فى وحدتى
حدّ، فلا ألقى التعميم بنعمتى
كافحت فى وطنٍ به حريقى

وضربت بالحمرمان أمثال الهدى
لم أعن بالأشكال قدر عنايتي
حرق البخور لمن أذلّ بلاده
وجعلت ما عانيت قربانا لها
وطنى! رضيتك منصفًا في قدره

للعاملين وكم شقيت لأمتي
بتمسكي بمبادئ في ثورتي
وحرقت في إعزازها من مهجتي
وأظلل في سقمتي وفي شيخوختي
جهدى وإخلاصى وغاية غيرتى

يتشوق إلى مصر

ومن قصيدة له في حفلة أقيمت لتكريمه في نيويورك سنة ١٩٥٠ :

تركت مصر وقلبي لوعة ولظي
فدى لها - لو أباحت - كل ما ملكت
تركتها وبودي غير ما حكمت
وقلت على بعيد أشارفها
اثنتان خلدت الدنيا لأجلها

لجنة ضيعت في نوم جنان
نفسى وما وهبت في حبها الجاني
به المقادير في أشجان لهفان
وأنفخ الصور إن فاتته نيرانى
الحب والتيل مذكانا بإنسان

الوطن بأبنائه

قال في اعتراف المواطنين بأقدار الرجال وأنه من مظاهر الوطنية السليمة:

إذا عرف الرجال حقوق بعض
فنتنظم البلاد بهم وتسمو

لبعض نزهوا عن كل ضعف
ويغدو الفرد معدودا بألف

تأملات

ومن قوله في قصيدة له بعنوان (أقصى الظنون):

ما الخلق، ما هذه الدنيا ومنشؤها؟
مسائل هي للأحقاب باقية
أجل فرض لها وهم وأيسره

ما الفكر ما الجوهر الباقي وما العدم؟
كما سيبقى الردى والشك والألم
وهم وقد يستوى الدهماء والعلم

الوطنية والعروبة

ومن قصيدة له يعبر فيها عن وطنيته وعرويته:

إن العروبة والكنانة ملق
فلموطني روحى وكل جوارحى
دين يوحد العابد
ولكم حنيني والشعور الماجد
فجميعنا صيد رماه الصائد
يكفى لنا النسب العتيد مجمعا

نداء الحرية

ومن قصيدة له سنة ١٩٥١ يناجى الشعب ويجد جهاده ضد الاحتلال في معركة القتال :

بوركت يا شعب الكنانة ثائراً
أزجى إليك تحيتى من خاطر
حرّاً وياوطن البطولة قاهراً
دام ومن قلب يذوب مشاعراً
جعل الحياة نفائساً وذخائراً
ولرب مهجور يُظن الهاجراً
لك أين كنت مكافحاً ومناصر
شر الأداة، مواليا لك ذاكر
خلق الإباء بنا السلاح الباتراً
إن كان يُعوزنا السلاح فربما

* * *

وحشٌ للاستعمار يمعن شره
وكأئماً حسب العقول نفاية
باسم الحضارة والتقدم ساخر
للناس، أو بعض الهواجس دائراً
هل يصلح المذيع من آثامه
حين الفظائع قد خَطَبَنَ بالسن
حين الأساطير التى يدلى بها
حين الخرائب صارخات حوله
سبت بصائر للورى وسرائراً؟
مثل اليتامى لا تمثل عامراً؟

* * *

إن كان حسن الظن ذنباً أولاً
هو غاية الإجرام للوطن الذى
فيه، فكيف يعد ذنباً آخر؟
عانى وعانى من أذاه خسائراً
لفق يخادع أو يخادع صابراً
هل كان الاستعمار إلا جائراً؟
لن ينجح الوطن المفدى صفحة
ويرى بالاستعمار بعض خلاصه

قرن من التغير عَلمُ نشأنا
 حذرًا بنى وطني! فذاك عدوكم
 لا تمنحوه سوى القطيعة وحدها
 أو ما يكون به الخلاص ليومكم
 حذرًا بنى وطني وكونوا وحدة
 ليست سلامتكم مجالا هيئنا
 لا تأسفوا - مهما حزنتم - للآلئ
 حمل الأديم من النجيع وصية
 خلّوا التغني بالجدود وفضلهم
 فهو الغنى بذاته عن ذكره
 وخذوا بأسباب لئنة حاضر
 كونوا من الشهداء في إعجازكم
 لا عُثر بعد اليوم عند تهاون

أن يحذروه مفاوضا ومشاورا
 مهما تقلب في المظاهر ما كرا
 فمن القطيعة ما يكون الزاجرا
 وعد تؤمل فيه بعثا باهرا!
 فعالة، لا ضجة وحناجرا!
 إن السلامة قد تكون مخاطرا
 ذهبوا الضحايا في (القناة) حرائرا
 تبقى لأحقاب تدوم ذواكرا
 مهما تلالأ روعة ومفاخرها
 إلا ليلهم غافيا أو شاعرا
 إن الحقيقة ما تمثل حاضرا
 بثباتكم، لا تجعلوه العابرا
 إن التفوق لا يطيق معاذرا!

يهاجم فاروقاً قبل خلعه

ومن قصيدة له نشرها في مجلة (الشهداء) التي تصدر في حلب - عدد ابريل سنة ١٩٥١، يهاجم فيها فاروقاً قبل خلعه بعام، ويشبهه بالكركدن، وهي من بليغ شعره الوطني، قال:

مِنْ دَمَةِ الشَّعْبِ وَمِنْ كَدِّهِ
 مَمْلُوكُ الْحَدِّ عَلَى صَفْوِهَا
 كَمْ يَجْعَلُ الدِّينَ حَبَالَاتِهِ
 قَدْ عَضَّهَا النَّحْسُ، وَمَا عَضَهُ
 يَمْرِغُ الْأُمَّةَ فِي رَجْسِهِ
 عَانَتْ بِهِ وَبِأَوْشَابِهِ
 مَتَفَخَّخًا، يَمْرِحُ مَسْتَفْرِقًا
 كَالْكَرْكَدَنِ الَّذِي يَزْدَهِي
 لَمْ تَعْطِهِ غَانِيَةً قَبْلَهُ
 أَوْ بَادَلْتَهُ نَكْتَةً حُلُوةً

وَمِنْ دَمِ الْأُمَّةِ فِي نَرْدِهِ
 يَالَيْتَهَا تَمْلِكُ مِنْ حَدِّهِ
 لِيَحْنُقَ الْمَصْلَحَ فِي مَهْدِهِ
 إِلَّا فَمَ يَرْشَفُ فِي وَجْدِهِ
 وَيَسْرِقُ الْأُمَّةَ فِي رَنْدِهِ
 فِي قُرْبِهِ الْجَانِي وَفِي بَعْدِهِ
 فِي، اللَّهُوَ كَالصَّائِدِ فِي صَيْدِهِ
 فِي قَبْحه يَسْخَرُ مِنْ قَدِّهِ
 إِلَّا كَمَنْ تَهْزَأُ مِنْ رَشْدِهِ
 إِلَّا وَمَغْزَاهَا مَدَى نَقْدِهِ

حتام يا قوم ضلالتكم
 كنا نرجيّه مثال الهدى
 كنا نغنيه أغاني العلى
 كنا نفديه بأرواجنا
 ما باله أضحي فتى ماجنا
 حتام يستهزئ من مجدكم؟
 حتام يسترسل في غيّه؟
 حتام أعلاكم له صاغر؟
 أعقلكم دون دفين الثرى

تمكّن الفاجر من قصده؟
 فأصبح الغاشم في حقه
 فأصبح المبدل من حمده
 في روحه العالى وفي زهده
 الشارد الخادع في وعده؟
 حتام؟ والخسة من مجده
 حتام؟ والسوقة من جنده
 حتام؟ بل أهون من عبده
 لو يعقل الميت في لحده

يحيى ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢

وقال سنة ١٩٥٢ من قصيدة له يحيى ثورة ٢٣ يولييه سنة ١٩٥٢:

بوركت يا وطنى العزيز محرراً
 لو أستطيع كتبت شعري من دمي
 لو أستطيع سألت كل خيلة
 لو أستطيع زفت ما أنا عاشق
 لو أستطيع بعثت من ضحك الضحى
 لو أستطيع وهيت كل مكافح
 لو أستطيع أعدت أعواماً مضت
 لو أستطيع بذلت أضعاف الذى
 لو أستطيع غسلت ساحة دوركم
 لو أستطيع هربت من شيخوختى

سمّحاً، وفي كل القلوب حبيبا
 حتى أزيد بشعري الترحيبا
 وبعثت بالشعر المنور طيبا
 ليكون قربانا أعز قريبا
 كنزاً، ومن لف الغروب نسيبا
 عمراً تكرر في الخلود عجيبا
 لتقص أحلاماً رأت ووجيبا
 حملت في إشارى التعذيبا
 بدماعى، ورشتها تطيبا
 ورجعت أرفل في الشباب قشيبا

ينادى بإلغاء الملكية

من قصيدة له في أكتوبر سنة ١٩٥٢ يدعو إلى إلغاء الملكية:

اقطعوها وانيدوا من دعاها
 قد خدعنا فى الذى قالوا لنا

نعمه، إنا شعبنا من أذاها
 عن جناها، بئس ما يجنى جناها

أُثِرَ أحياء قروننا سلفت
 قلتُ «أحياء» ليته الحُلم الذى
 إنما أحياء شرورا سلفت
 خدعوننا حقبةً واستسهلوا
 كم تغتنينا بحب صادق
 سلطة الشعب هى الأمُّ التى
 وأمات العصر^(١) فى بغي تناهى
 كان أحياء الأمس إصلاحا وجاها
 زوّقوها كى يعدّوه إلها
 أن يضلّوا الشعب فى الذل فتاها^(٢)
 فرأينا من هوى فيمن تناهى
 أنمت الأحرار، لا دعوى سواها

يحيى الجمهورية المصرية

وقال من قصيدة له فى ١٩ يونيه سنة ١٩٥٣ يحيى الجمهورية المصرية بعد إعلانها^(٣) :
 إذا الحكمُ للجمهور أصبح رائداً
 فيه أمة (النيل) المبارك حاذرى
 ولا تقبلِ التفريق فى أى مظهر
 أبى الحق أن يلقى به العارَ والظُلماً
 - وقد نلتِ ما تهوين - أن تخلقى الضياء
 فمن يقبل التفريق يستأهل الرّجاء

أعيذك من وهمٍ يصير عقيدةً
 أعيذك (جمالاً)^(٤) والزعيم (محمد)^(٥)
 قد انتزعا من قيل حظك عنوةً
 تجبر واستعلى فرداه صاغرا
 وها أنتِ بالعهد الجديد طليقة
 ففى كل شبر من ثراك خيلة
 وفى كل ركن من ربوعك ملجأ
 فكم أمة هانت بإعزازها الوهما
 يجذّقهما من حدّ مطلبك الأسمى
 وما برحا والذهر كالطائش الأعمى
 وقد كان كالمحموم سكران بالحمى
 ومُنْجبةً أعلام نهضتك الشُّمّا
 وقد كانت الويلات تغتاله قُضّا
 تلوذُ به خير المواهب أو تُحمى

(١) أى العصر الحاضر.

(٢) فتاة، أى فضل.

(٣) أعلنت الجمهورية فى مصر يوم ١٨ يونيه سنة ١٩٥٣.

(٤) جمال عبد الناصر

(٥) محمد نجيب.

على ما كسبت اليومَ واغتنى اليوما
تبرُّ بإعجازها كلَّ ما تمَّا
وفنا تهزُّ الغافلين أو الصُّمَّ
أزلت بهذا النصر من دَمِكَ اليُتَمَّا
وها هو قد أضحي لكل الورى غنما
وما خصَّ شعبا يستفيق ولا قوما

فيا (مصر) عَضَى بالنواجذ حُرَّةً
وهيَّا أعدى للغد المرتجى عُبلً
إخاء وتنظيها وعلمها وهمة
ولا تشتكى من لاعج اليُتَم بعدما
ألا في سبيل المجد ما قد غنمته
فإنك للأقوام أمثولة الهدى

* * *

تعافُ ذليلَ العيش واليأس والنُّوما
منائرُك الزهراء تستقبل السُّلما
وحسبى - على رغى - مفارقتى الأما
فمن قلب محروم تهلل إذ يُدَمى
تعيشُ على الأضداد مهما تكن غرما

تبارك ربِّي حين يُنصف أمةً
عزيزٌ على مثلى البعادُ وقد زهتْ
عزيزٌ وفي قلبي حنان مؤرق
إذا جئت هذا اليوم أزجى تهانئ
ولكنَّ نفس الحر نفسٌ عجيبَةٌ

يذكر مصر ويحن إليها

وقال من قصيدة أخرى يذكر مصر ويحن إليها:

دَمَعى الذى تأبون بعض مودعها
وأظلُّ أحيًا فى صميم ربوعها
ونوافح الغدران حول ربيعها
والذكريات وهو بها كمنوعها

لاتنهرُوا روحى لفرط ولوعها
ألقتْ بى الأحداثُ دون ربوعها
تنب الرُّؤى حولى بأنفاس الربى
وتهزنى الذكرى فأشرق بالأسى

* * *

معنى السلوَّ وحرقتى لجموعها
كبكائه لسمائها وزروعها
بحنانها، وتراقصت بولوعها
شتان بين عبادتى وخضوعها

كم واهم أنى سلوت وما درى
إن الفتى الوافى بكى حصباءها
دنيا الصباحة والجمال تلالأت
أجد الخضوع لها أحبَّ عبادة

* * *

غير الندى والشمس غب طلوعها

لو أستطيع طردت عن أزهارها

وجعلت أضلاعى أبرّ دروعها
فى عزمها كالشمس بعد هجوعها
سيان بين وضيعها ورفيعها

وحيتها مما أغار تجنيًا
وبعثتها من نومها، وجعلتها
وأثرتها لعظائم ومفاخر

منها الخيار، فخيرها بجميعها
بحياتها وتصورت بصنيعها
فلقد أفاء على حلم بديعها
فلقد جنت عيني طيوف نزوعها
والنفس حيرتها أشد صدوعها
وتبتلت في حبها وركوعها
والدمع والتقييل يوم رجوعها!
دمعى الذى تأبون بعض دموعها

مصر الحبيبة جنة لا أشتهى
أهوى لها الإعزاز كيف تمثلت
إن كان عاقبتى الزمان بغربى
أو لم تتل عيني شعاع سنائها
وتركننى فى حيرة لا تنتهى
ركعت بحراب الجمال بوهيها
وأذابت الأحلام فى ألحائها
لا تنهروا روحى لفرط ولوعها

ذكرى الشهداء

وقال فى (ذكرى الشهداء):

ألق الشموس لها من الأنفواف
عمر البطولة بآل كل شغاف
من يجمعون إلى الخلود الصافى
واليوم نقرؤها الحنان الوافى
عبقت بحر شعورها الرفاف
شهم، وليس على الأبن بخاف

ذكرى يرددها الزمان الوافى
شعت على مرّ السنين، وعمرها
متغلغلا بنهى الفوارس، دافعا
اليوم يوم صلاتنا لجلالها
وعلى الثرى نجثو، تقبل تربة
ما كان بالخافى على مستلهم

ونشيمها فى النور والأطيفاف
وبكل نبع للحقيقة صاف
سمحا على رغم الردى المتلاف

إنا بنى الأحرار نعرف قدرها
وبكل معنى للعظائم شامخ
لأجمد غير الحق يبقى ناصعا

هذى مقابرهم وتلك دماؤهم
هيهات يدركها الطغاة وربما
سيجيء يوم للحساب، قضاتهم
مثل النجوم ونورها الشفاف
سجدوا لها رغبا عن الأناف
تلك العظام، بغضبة الانصاف!

* * *

يا أمة الأحرار دومي حرة
وبحسبك الشهداء ضمخ ذكرهم
يوم كهذا اليوم تهتف عنده
وتعزه الدنيا التي حلت به
والتضحيات لك الجلال الكافي
هذا الأثير، وشاع في الألفاف
مهج الشعوب العانيات هتافي
حلمي، وتزأر وثبة الآلاف!

يهاجم الاستعمار وينادى بالثورة عليه

ومن قصيدة له يهاجم فيها الاستعمار وينادى بالثورة عليه، نظمها سنة ١٩٥٢ لمناسبة الصراع بين الحرية والاستعمار في تونس، قال في مطلعها:

نوروا على الظلم العتق جهارا
النار لم تخلق لغير مجاهد
لا بد من صهر اليقين بشعلة
خلو الرصاص مدويا من حولكم
هذى البداية للنهاية، لم يدم
مُراکش ثارت عليه، وفي غد
لا ترهبوه وإن يكن جبارا!
طلب العظام حين خاض النارا
حتى يخلص رائعا قهارا
لا بد أن يهوى وأن يتواري
حكم أسف به الدخيل فبارا
سنرى الجزائر تصفع الجبارا

* * *

أمم العروبة نخوة وأرومة
خسئوا وضلوا، والخسيس بطبعه
ياويلهم، ومن الضحايا حولهم
وثقافة، أتقدس استعمارا؟
يلقى الكرامة والمكارم عارا
لُسُنُ تحدث في البصوت مرارا

* * *

«فرحات»^(١) ليس بأول أو آخر.
لجرائم روعننا تكرارا

(١) الزعيم العمال التونسي الذي اختاله الفرنسيون.

ما كان الاستعمار إلا سُبَّة
يلهو به المستعمرون كأن نسوا
قالوا: «هو النعم الجزيلة فيضه»
فتضاحكت منهم، وفاضت عبرة

إلى أن قال:

إن قدر المستعمرون خضوعها
ومن الشعوب الساكنات ثوائر
لن يستطع الذلُّ من تجرى بهم

ولو أنها لبست حلى ووقارا
عقبى الذين يلاعبون النارا
واستنطقوا الأدهار والآثارا
ودماء وآلاما حوت، وشرارا

أبدا فقد فقدوا لهم أعمارا
في حين يسمع غيرها هدارا
تلك الدماء وتخلق الأحرارا

عبد الحكيم المصري

١٨٨٧ - ١٩٢٢



من الشعراء الضباط. ولد في مايو سنة ١٨٨٧، وبعد أن أتم دراسته الابتدائية دخل المدرسة الحربية وتخرج منها سنة ١٩٠٦ في التاسعة عشرة من عمره، وألحق ضابطاً بالأورطة السادسة عشرة من المشاة في كسلا.

تعشق الشعر والحرية منذ صباه، فغاد بقصائد رقيقة في التغني بالوطنية والحرية.

وظل يغرد بالشعر ويتغنى به إلى أن وفي في يولييه سنة ١٩٢٢، وكان حين وفاته في ريعان الشباب، فكان لوفاة وقع أليم في النفوس.

كانت له في الشعر مكانة ممتازة، عبر عنها حافظ إبراهيم بقوله في رثائه:

لَكَ اللهُ قَدْ أَسْرَعَتْ فِي السَّيْرِ قَبْلُنَا وَأَثَرَتْ يَا «مَصْرِيٌّ» سَكْنَى الْمَقَابِرِ
وَقَدْ كُنْتَ فِينَا يَا فَتَى الشَّعْرِ زَهْرَةً تَفْتَحُ لِلأَذْهَانِ قَبْلَ النَّوَاطِرِ
فَلَهْفَى عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ فِي الْبَلَى فَكَمْ نَسَجَتْ قَبْلَ الْبَلَى مِنْ مَفَاخِرِ
وَيَا وَبِحَ لِلْأَشْعَارِ قَبْلَ نَجِيئِهَا وَوَيْحَ الْقَوَافِي سَاقَهَا غَيْرُ شَاعِرِ
تَزُوْدَتْ مِنْ دُنْيَاكَ ذِكْرًا مَحْلُودًا وَذَاكَ لِعَمْرِي نِعَمَ زَادَ الْمَسَافِرِ
وَلِلْمَصْرِيِّ دِيْوَانُ شَعْرٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءِ.

فجر الأمل

من قصيدة له نظمها سنة ١٩٠٩:

تَرَعْرَعُ عَهْدُ الْيَمَنِ وَاخْضَلُ جَانِبُهُ وَرَدَّ عَلَيْنَا اللَّهُ مَا الدَّهْرُ سَالِبُهُ
مَضَى زَمَنٌ كُنَّا فَرِيْسَةَ حَرْبِهِ وَجَاءَ زَمَانٌ مَا نَزَالُ نَحَارِبُهُ

من الشرق إلا قام ألفٌ يغالبه
فعدُّ لها بالله ما أنت طالبه
وإما تمشت لل قضاء تطالبه
وإما محونا اليوم ما أنت كاتبه
ورواك من ماء المجرة ساكبه
على فوزها أبدى لها الفوز حاجبه

فلم يغلب الدهر العصي مجاهدا
فيا شرقٌ قد جاشت بنفسك أنفس
فإما أصابت من منها طليبة
تقول له إما احتسبت جزاءنا
جزاك عن الله يا خير أنفس
إذا ما النفوس الطاهرات تضامنت

إلى أن قال مخاطبا الزعيم محمد فريد:

عن البأس حتى أن ترن نواديه
عن الجحد حتى نظم الدر ثاقبه
فقالوا أبو حفص بدا وكتائبه
وأكتب ما يلى الرسول وكتائبه
وضارب به من لا نطيق نضاربه
وفرت من الجفن الحريص سواربه

(محمد) لا يلو الكرى لك عزمة
نهزت بأنباء البلاد ولم تمل
طلعت بهم في باسم الصبح عابسا
كأنى وأنت اليوم تدعو إلى الهدى
فجرد شبا تلك اليراعة صارما
لقد روعت منا الهموم جوانحا

ثم قال مخاطبا الكتابة:

أطل على واد تمتك جوانبه
بلابله تشدو وتصفو مشاربه
ترامى نواحيه وينهال كاتبه
فألفى رجالا كالأسود تجاوبه
إلى رغبة إلا وتمت رغائبه

فيا عادة في الشرق قد غار نجمها
لقد كان روضا وارفا الظل في العلى
فأصبح تذروه الرياح عواصفا
إلى أن دعا داعي الصلاح حياله
دعوت أناسا ليس يدعوه هو امرؤ

يصف قصر أنس الوجود ويشيد بعظمة مصر

عيني إليك وقلبي للأولى رحلوا
وفي الطلول البوالى ترسل المقل
عيوننا أين كانت دورنا الأول
أدناهم الشوق أو أقصانى الأجل
غير البكاء فقد ضاقت به الحيل

وقف عليك دموعى أيها الطلل
أرسلت بالعين في سقياك هامية
لولا بقية أطلال لما عرفت
ليت الأحبة حين البعد طاح بهم
يا عالما بالهوى أرشد فتاك إلى

أن أبكها وكلانا خطبه جلال
هوّن عليك كلانا بعد هم طلال
والييم مضطرب والموج مقتبل
وأنت كالركن فيه تحمد القبل
في وجهك الطلق لا يبدو بها ملل
شتان ما بين من قالوا ومن عملوا

تبكى على دورهم مثلى وتعذلى
يا أيها الطلل المزورّ جانبه
وقفت بالييم رسماً لا حراك به
رَيَّاك من جنة الفردوس سارية
الدهر ملّ وآى الدهر كامنة
قرأت فيهن سر العالمين فيا

وختمها بقوله :

فمن يجاريك فيما شدت يا (أنس) المرء مرتحل والذكر مقتبل

يكرم الشيخ عبد العزيز جاويز بعد خروجه من السجن

ومن قصيدة له سنة ١٩٠٩ في حفلة تكريم الشيخ عبد العزيز جاويز لمناسبة خروجه من السجن بعد استيفائه مدة الحبس (ثلاثة أشهر) التي حكم بها عليه في أغسطس سنة ١٩٠٩ عن مقالة له في (ذكرى دنشواي):

| | |
|----------------------|-----------------------|
| تصف السجون وما بها | من جائر للمستجير |
| أيام كنت تحال نفس | ك بين سكان القبور |
| متقلبا فوق الفرا | ش تقلّب العاني الأسير |
| وتود رؤية زائر | يحنو على ذاك المزور |
| ما خفت من سجن الخيا | ل وخفت من سجن الضمير |
| في جانب الوطن العزيز | ز تهون هائلة الأمور |

أسود النيل

من قصيدة قالها سنة ١٩٠٩ في الاحتفال برأس السنة الهجرية سنة ١٣٢٧:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| مالي أرى السودان طعمة آكل | هل أطمعتهم مصر في السودان؟ |
| أنسوا أسود النيل يوم تضرجوا | بدم العدى حين التقى الجيشان |
| متسابقين إلى الحصون كأنها | أوكارهم شيدت على الأفنان |
| متقاسمين العاديات كأنهم | في الحرب مشتركان مختصمان |

صوت الشعب

من قصيدة له يخاطب الخديو عباس الثاني ويطلبه بالدستور:

رُدِّ الوديعَة لا مالا ولا شانا لم نرجُ في جانب الدستور إحسانا
لولا ولاؤك لم نسط إليك يدا من الرجاء ولم نسألك غفرانا

يناجي الحرية

من قصيدة له في مناجاة الحرية سنة ١٩١٠:

حَلَّاهَا البينُ فانجابت عن المقل ولم تودع قبيل السير من رجل
كأنما لم يصفها القوم في بلد ولم يؤهل بها في منزل حفل
إلى أن قال.

عودى أطلى علينا إننا نفر إن جَلَّتْ عنا فإننا عنك لم نحل
الدهر غيّرنا حتى إذا بصرت بنا الديار غدت منا على دخل
رُدِّي علينا عهداً منك ناضرة ياربُّ عهد تولى ثم لم يؤل
كنا وكنت وكان الدهر، فانقرضت أيا منّا وتولينّا على عجل
أصبحت في غير وادى النيل ثاويةً والتمس في الحوت غير الشمس في الحمل
أيسجنون يراعا لم يُثر فتنا ويعقلون لسانا غير منعقل^(١)

وختمها بقوله مخاطباً المواطنين:

أقَى زمان نهوضٍ وانقضى زمنُ كان البكاء يُرى فيه من الحيل
فراقبوا الله يوماً في كنائنه إن الكنانة أضحت مطمح الدول

(١) يشير إلى تقييد حرية الصحافة.

عزیز فہمی

شاعر الحرية والشباب

١٩٥٢ - ١٩٠٩



هو الدكتور عزیز فہمی، من أعلام الحرية والأدب، وأبطال الوطنية والجہاد.

ولد سنة ١٩٠٩ بطنطا، وهو نجل الأستاذ عبد السلام فہمی جمعه رئیس مجلس النواب السابق ومن المجاہدين في الحركة الوطنية.

تلقى علومه الابتدائية والثانوية في المدرسة الإبتدائية ثم في المدرسة الثانوية بطنطا، ثم انتقل إلى مدرسة الجيزة الثانوية حيث نال منها شهادة البكالوريا.

وبدت عليه منذ أن كان يتلقى التعليم الثانوى ميوله نحو الحرية والأدب والشعر وأنشأ وهو في مدرسة الجيزة الثانوية مجلة أدبية كان ينشر فيها آراءه وأشعاره.

وانتقل إلى التعليم العالی بالقاهرة، وجمع بين دراسة الحقوق في كلية الحقوق ودراسة الأدب بالانتساب إلى كلية الآداب، فنال ليسانس الآداب سنة ١٩٣٢، والحقوق في سنة ١٩٣٣، وكانت رسالته التي قدمها إلى كلية الآداب في المقارنة في الشعر العربى بين العصر الأموى والعصر العباسى.

وكان طموحًا إلى الاستزادة من العلوم والآداب، فسافر إلى باريس سنة ١٩٣٣، والتحق بجامعة وحصل منها سنة ١٩٣٨ على الدكتوراه في القانون وكان موضوع رسالته (الامتيازات الأجنبية في مصر ومعاهدة مونترو)، وكانت أول رسالة من مصرى عن هذه المعاهدة، والتحق في الوقت نفسه بالسوربون للحصول على الدكتوراه في الأدب.

وقد شبت الحرب العالمية الثانية وهو في باريس، فعاد إلى مصر سنة ١٩٤٢ مملوءًا وطنية وتضحية، مستكملًا دراساته العلمية والأدبية.

وشغل منصب وكيل نيابة بالمحاكم المختلطة وقتاً قصيراً، ثم ضاق صدره بالقيود الحكومية، فاستقال مؤثراً العمل الحر والجهد الحر، واشتغل بالمحاماة والصحافة، ووقف قلمه ولسانه، وقلبه وجنانه، على الجهاد في سبيل الحرية، ومكافحة الاستعمار والظغيان والفساد.

كان أدبياً شاعراً، وخطيباً مفوهاً، يجمع بين بلاغة العبارة وسلاسة الأسلوب، وقوة التفكير، وغزارة المادة، والشجاعة الأدبية، كان يدافع عن الحرية بقلمه ولسانه على صفحات الجرائد، وبلسانه فوق المنابر، وفي ساحات القضاء، وتحت قبة البرلمان.

وقد اعتقل وحقق معه غير مرة بتهمة العيب في الذات الملكية، أو التحريض على الإخلال بالنظام، وكان في المحاماة يدافع عن الحرية وعن المتهمين في جرائم الرأى، ويهاجم الظغيان والقلم السياسى والإجراءات التعسفية.

دخل البرلمان سنة ١٩٥٠ نائباً عن دائرة الجمالية بالقاهرة فكانت صفحته في دار النيابة أقوى صفحات حياته التي قضاه في الكفاح الوطنى، وعلى أنه انتخب مرشحاً من الوفد، فإنه لم يتقيد بسياسة الحكومة الوفدية، وعارضها فيما يستحق المعارضة من تصرفاتها، وله في ذلك المواقف المشرفة، وظهرت مواهبه البرلمانية كخطيب ومناضل برلمانى من الطراز الرفيع، كان يناضل عن الحرية في كل مناسبة، وله المواقف المشهودة في معارضة نظام الاشتباه السياسى، ومعارضة القانون المعدل لنظام مجلس الدولة وهو القانون الذى قدمته الحكومة الوفدية إلى البرلمان للانتقاص من سلطات المجلس واستقلاله، ودوى صوته مجلجلاً معارضاً مشروعات تقييد حرية الصحافة سنة ١٩٥١، وكان لمعارضته لهذه المشروعات دوى كبير وصدى استحسان عظيم في الرأى العام، وبلغت مكانته الوطنية والبرلمانية ذروتها في معارضته لهذه المشروعات حتى انتهت بسحبها من البرلمان، فكانت هذه النتيجة أعظم انتصار للفقيد في حياته السياسية والوطنية.

ولما شبت معركة القتال بين الفدائيين والإنجليز عقب إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ في أكتوبر سنة ١٩٥١، سافر إلى منطقة القتال، وساهم في حركات المقاومة ضد القوات البريطانية، واستهدف للقتل غير مرة، فكان ذلك منه غاية البذل والتضحية.

وكانت وفاته يوم أول مايو سنة ١٩٥٢ في حادثة فاجعة، بل مأساة أليمة، إذ كان يعتزم السفر إلى الفشن في صبيحة ذلك اليوم ليرافع أمام محكمتها في إحدى القضايا، وكان ينوى السفر بالقطار، ولكن مواعيد السفر كانت قد تغيرت ابتداء من أول مايو لحلول الصيف، وقد فاته أن يعرف الموعد الجديد للسفر، فلم يدرك قطار الصباح، فاستأجر سيارة ركبها قاصداً الفشن، وفيما هى تسير في الطريق الزراعى وقع لها قبل العياط ببضعة كيلو مترات حادث فجائى، قلبها رأساً على عقب وهوى بها في التربة المحاذية للطريق، فمات الفقيد غريقاً،

وكانت وفاته فجيرة للوطن وبنيه، إذ فقدوا يوفاته مجاهدًا صادقًا بين المجاهدين الأحرار. كانت وطنيته فوق حزبيته، وعقيدته أساس شخصيته، كان يرى في الحياة السياسية رسالة يؤديها، لا يبتغي منها لنفسه مغنما ولا نفعًا، ولا يقصد إلا وجه الله والوطن، فلا غرو أن حزنت الأمة لوفاته حزنا عظيمًا.

اسلمى مصر

. قال رحمه الله من قصيدة له سنة ١٩٣١ بعنوان (اسلمى مصر):

اسلمى مصرُ على مرِّ القرونِ . حُسْبِكَ اللَّهُ نصيرًا ومعين
لن تُضامى أنت يا مهد الخلو د وهذا بعض أشبال العرين
من تكن ليلاه مصر لا يهن ساعة البذل ولو ذاق المنون

إلى أن قال:

لا رعاكَ الله يا عهدًا مضى عهد بنى وافتتات وأفون
محنة لا عهد للناس بها جزع الصبر لها، والصابرون
عصفت بالحرث والتسل معا وأعادت عهد كسرى ونرون
ونضت سيفًا بتوكا كلما هب، دُقنا حدية المنون
دولة الحجاج أن قيست بها مثل في الرفق عند المنصفين

وهوى الأوطان للأحرار دين

إلى أن قال في تمجيد التضحية:

في يمين الله ما ضحيتمو لا يُضيع الله أجَرَ المخلصين
في هوى مصر يضحي عن حبًا ورضاء كل مُسْتَبَقِ ضنين
لن يُضيع العرفُ عند الله إن ضيَع الخير أصيل وهجين
هو عند الناس جودٌ ووفاء وهو عند الله إيمان ودين
ولبانات الهوى شتى كنا ر، سلر التاريخ عنها والمنون
فهوى ليلي قيس متعة وهوى الأوطان للأحرار دين

هى ليلانا جميعا فانظروا
هل جمعنا من أفانين المنى
ليتنى أحيا إلى يوم أرى
لا أبالي أعظامى بعده
لا سقاك النيل يا مصر إذا
ونعذ مجداً سليبا غابرا
هل قسطنا ما علينا من ديون؟
ماقتته على مرّ السنين؟
فجر مصر فيه وضاء الجبين
في سهوب^(١) من تراها أم حزون
لم نقرب من أمانيك الشطون
ونعير بِلواك العالمين

لا يخشى الموت

كان رحمه الله يتنبأ بأن لا يطول به العمر وأنه سيموت في ربيع الحياة، فكان يستعد للقاء الموت، ولا يهابه ولا يخشاه، وينشد الخلود.

قال في هذا المعنى من قصيدة له سنة ١٩٣٣ بعنوان (لحن الموت):

أيا العراف هل عند النجوم
كاذب علمك ما لم تُنبئ
جهل السر أناس قبلنا
حملوا العبء وقد ناءت به
ولكم ساءلت نفسى حائراً
ما وجودى؟ ما سبيلى؟ من أنا
سر هذا الكون أو عند المنون؟
حزرت والله ولجت بي الظنون
وجهلنا فوق جهل الأولين
أم من قبل عاد و(أمون)
حيرة السارى بليل ذى دجون:
ما جهادى؟ ما مصيرى بعد حين؟

يا بنى أُمى لقد جدّ نوى
لا تقولوا مات فى شرخ الصبا
ليس منى من يكافى فارغوا
وإذا يجمعنى واد شطون^(٣)
ذلك الحق تجلّى واليقين
لن يردّ الدمع محتوم المنون

(١) السهوب، كالسهول: الأراضى المستوية؛ والحزون: جمع حزن وهى الأرض الصلبة.

(٢) الشطون: البعيد.

(٣) الشطون: البعيد.

لا تقولوا ليته عاش! فقد فارق الأصفاذ عصفور سجين
شاقى الخلد كما شاق القطا سلسيل في عقاب وقرون^(١)

يا قارئ الكف

وقال في هذا المعنى سنة ١٩٤٤ من قصيدة له بعنوان (يا قارئ الكف):

يا قارئ الكف ماذا أضمر القدر؟ ولا عليك إذا لم يصدق الخبر
وما اهتمامك باسمي؟ هبْه عنتره وهبه زيذا.. وجدى عمرو أو عمر
عليك بالكف فاقرأ بين أسطرها ماذا يدل عليه الخط والأثر؟

أطالعُ اليمن أن الخط متصل وآية النحس أن الحد منبتر؟
وما الشيات^(٢) على جنبى ثمانية تبدو كوشم وتخفى حولها غرر؟
خبر عن الفأل لا تجفل فسانحة عندي كبارحة والشر ينتظر
هل أنسأ الله في عمرى إلى أجل يلح فيه على الله والكبر؟
وهل أبلغ آمالي؟ وأبعدها عندي كأقربها ناءٍ ومحتضر
هبنى ظفرت بآمالى على ظمأ إذا ارتويت فماذا يعقب الظفر؟
وهل أوسد حزننا حرّة وحصى في جوف هاوية أغوارها حجر
أم هوجلًا^(٣) قذفاً^(٤) تنبو براكيها لا البيد عبدها يوماً ولا الحضر
قفراء جرداء لم تكلأ حشائشها إلا السواقى ولم يعلق بها مطر
أم تقذح النار من حولى فتطعمنى حيًا وأشوى بها أيان تستعر
أم أن فى مسبح الحيتان منقلبى يوم الرحيل إذا نادانى السفر^(٥)

(١) جمع: صه: طريق في الجبل وعمر، وقرون: جمع قرن: القطعة من الجبل.

(٢) الشيات، جمع شية: العلامة.

(٣) الهوجل: المعازة البعيدة لا علم بها.

(٤) القذف: البعيدة.

(٥) كأنه في هذا البيت كان ينتبأ بموته غرقاً، وقد توفى رحمه الله غريقاً سنة ١٩٥٢.

قل ما بدا لك واهرف غير مبدع
 اللحد كاللحد والأكفان واحدة
 والمال كالعدم لولا أنه أمل
 والسعد حال على الإنسان طارئة
 لولا التشابه في الأقدار ما صدقت
 فالرجم بالغيب - لو تدرى - هو الهذر
 ولا خيار لميت حين يدثر
 إن الغنى إلى الأموال مفتقر
 (وعند صفو الليالي يحدث الكدر)
 عرافة الحي من توفى لها النذر

الشورى

قال من قصيدة له سنة ١٩٤٣:

بنى مصر هذا الحق أبلغ واضح
 إذا شتتم الشورى فذلك حكمها
 تولى زمان الحاكمين بأمرهم
 تولى زمان الفرد لا عاد عهده
 وهذا صراط يستوى عنده القصد
 وإن شتتم الفوضى فليس لها حد
 ولم يبق في الدنيا مسود ولا عبد
 ويدل بالدستور سلطانه الفرد

الضمير

وقال يصف الضمير من قصيدة له سنة ١٩٤٤:

صاحب وسان من طول السهر
 كلما غافلته في سكرة
 فإذا كُفرت عن وزر عفا
 ليس ملموساً فتدرى كنهه
 وتواريه فيغضى ساعة
 ليس عقلا أو شعوراً خالصاً
 فهو عقل باطن أو ملهم
 كم جرعت الصاب من ترياقه
 أنتما الدهر طريد أبى
 أينما وليت أحصى مُرجئاً
 إن تنم ناداك أو تنس أدكر
 من أمانيك تجنى أو عذر
 وإذا عدت إلى إثم ثأر
 وهو ما كتمت يدري ما تسر
 ثم يستيقظ في لمح البصر
 بل تراثاً من شعور وفكر
 وهو إحساس قديم مدخر
 واستسغت الشهد بما قد هصر
 وغريم طارد أو منتصر
 موعداً حتماً فأيان المفرد؟

يتراعى شاحباً أو إمّعا وهو جبارٌ عنيف تارةً
 وهو إعصار وريح صرصر وهو كالبحر إذا البحر طغى
 وهو كالسهم إذا السهم رمى أمرٌ ناهٍ وعاصٍ طيعُ
 لا ينالُ العمر إلاّ ساعة ساعة إن نمت عنها غافلاً
 أيها الساهر نم أو لا تتم إن جنينا فعلينا وزرنا
 فهو كالظل إذا الظل انتشر وهو أحياناً ضعيف يَأْتَمُرُ
 وهو كالسيل إذا السيل انهمر وهو كاللوح إذا الموج انحسر
 وهو كالسيف إذا السيف بتر وهو الأمر وهو المزدجر
 فترقبها وبالغ في الحذر عدت كالمخمور أو كالمحتضر
 وترفّق وتجلد واستبِعِرُ وإذا نحن أثبتنا فاعتزِرْ

ومصر تناديهم وصوتى يردد

وقال في يونيه سنة ١٩٤٦ وهو معتقل في سجن الأجانب:

كفاك عزاء أنك اليوم أوحدهم عذاب: السجن والليل موحش
 وقد يؤسر الليث المتبع عرينه أهبت بقومى أن يذودوا عن الحمى
 أهبت بقومى والخطوب زواحف وأنذرت حتى بح صوتى ولم أزل
 وقد يسكن الغمد الحسام المجرى ويذهب عنك الحزن فيه تجلد
 ويرهب منه الصوت وهو مصفد ومازلت أدعوهم ومازلت أشهد
 تلم بهم طوراً وطوراً تهدد ومصر تناديهم وصوتى يردد

نذرت نفسى قرباناً لفاديتها

ومن قصيدة أخرى نظمها وهو في سجن الأجانب سنة ١٩٤٦:

شكت إلى الله من عدوان أهلها واحرّ قلباه من يأس يصرارها
 فزعت من غدها علماً بحاضرها وقفت قلبى عليها فى شبيبته
 وعاث غاصبها فى أرض راعيها يكاد لولا بقايا الصبر يردّها
 ورضت نفسى على نسيان ماضيها فشاب منها ومن عدوان ساليها

لما أفقت من الماضي بلا أمل نذرت نفسى قربانا لفاديها

ذكرت مصر فهاجتني مواجعها وعزنى الدمع حتى كدت أبكيها
يا لائمي وأنا الجاني على كبدى دع عنك لومى فإن اللوم يغيرها
كلُّ يغنى ليشجى سامرا وهوى وقد يغنى لأوطار يرجيها
وليس لى سامر فيها ولا وطرٌ ولا زعمت. جوادى من مذاكيها
وإنما هى آلامى أكتمها حتى يضيق بها صدرى فأحكيها

نزحت عنها فلم أعدل بها وطنها وبيات قلبى أسيراً فى مغانيها
وصنت شعرى إلا عن مفاتها وهمت فى الأرض مسحوراً بواديها
ورق شعرى كما رقت جداولها وراق وصفى كما راق مجاليها
وما رأيت كناساً فيه جؤذره إلا ذكرت غزالا فى مراعيها

لما رُدِدْتُ إليها رد لى أملى عند اللقاء وأحيانى تدانيها
وقد طويت إليها اليم واقتربت بى السفينة من أولى موانئها
فكاد يظفر قلبى من توثبه وقد تنسم ريحاً من نواحيها
وحال قلبى دموعاً عند ما اتادت فرحت أنثر دمعى. فى ضواحيها
سجدت لله عرفاناً لنعمته لما حللت رفيقاً من روابيها
فكيف حالت حياقي عندها سقراً وكيف أصليت ناراً من سواقيها

جارت عليها صروف الدهر واختلفت أيدى الرماة فأها من أعاديها
راشوا لها السهم مسموماً فشتتها وكاد لولا يد الرحمن يصمىها
واثنوها جراحاً فى مقاتلها يزلل الجريمة من عدوان آسيها

إلى أن قال:

فزعت من شرك يلقى غاصبها قبل الجلاء لعل (الوعد) يغيرها

وما الجلاء إذا شدت^(١) بسلسلة من القيود و(شرط الحلف) يليها
تشعب الرؤى والأحزاب سادرة ومصر صابرة والصبر يضنها
وكيف تنهض من أسر يكبلها والقيود آمرها والقيود ناهيها

بني وطني أهبت بكم زماناً

وقال في نوفمبر سنة ١٩٤٦ يندد بالإنجليز على أثر الاعتداءات الدامية التي وقعت منهم في
القاهرة والإسكندرية، ويدعو المواطنين إلى البذل والتضحية:

| | |
|--|--------------------------|
| سلوا من سامها ^(٢) هذا العذابا | ومن شرع الأسنة والحرابا |
| سلوا جلادها تبّت يدها | بأى شريعة فرض العقابا |
| أما ينهاه عقل أو ضمير | يرد له المحجة والصوابا |
| ضلال أن يعاتب مستبد | و أولى بالمسود أن يعابا |
| وجهل أن يخاطب غير أهل | فلا تحزن عليه إذا تغابا |
| يصعّر خده صلفاً وحقاً | ويوردها على ظمأ سرايا |
| وكم أسدت إليه وكم تحنى | ولم يحسب لعاقبة حسابا |
| بأى جريرة وبأى عدل | تجرع مصر كأس النصر صابا؟ |
| ولولا مصر ماغنموا فلاة | ولو مصر ما غلبوا ذبابا |

| | |
|--|-----------------------------|
| سلوا (دنكر ك) هل نهضوا بعبء | وقد غنموا السلامة والإيابة |
| سلوا (الصحراء) عنهم كيف طاروا | وهل اتخذوا النعام لهم ركابا |
| سلوا (العلمين) هل نبتوا بأرض | وقد سبقوا مع العدو السحابا |
| فكيف تعاضموا بعد انكسار | وكيف تبدلوا أسداً غضابا |
| سلوا (الميثاق) ^(٣) هل وأدوه صبحاً | وهل نسجوا من الكفن الإهابا |
| وكيف جرى على فمهم كذابا | وسال على سواعدهم خضابا |

(١) الإشارة هنا إلى مصر.

(٢) يقصد الإنجليز

(٣) ميثاق الأمم المتحدة.

وكيف استبدلوا شرعاً بشرع
كذلك تلذع الأنفى كريماً
وبين الناس رقط وابن آوى
إلى أن قال:

ويا وطنى فديتك من جراح
وهل يأسو الجريح سوى جريح
وكم من قسور ورد المنايا
إذا كرت عليه الخيل فرّت
روى دمه ثراك ففاح مسكاً
وآخر فى (الجنوب) ثوى شهيداً
لحاً الله الخوارج والمطايا
ولا كان الجلاء إذا أحلوا
وطوبى للأولى ذهبوا فداء
إذا نكأت حملناها عذابا
يشاطره الفجيعة والمصابا
يروع بيطشه السبع السغابا
وإن سام الجياد حمى العربا
وأينع روضة وزكا ترابا
فضج النيل واجتاح الرحابا
ومن أضحت نفوسهم خرابا
مع الحلف المرافق والرقابا
إلى الرضوان واستبقوا الثوابا

بنى وطنى أهبت بكم زمانا
ولو نطق الجماد كما نطقنا
فلما بح صوقى قيل هابا
لأسمعه الصدى عنكم جوابا

على الغايات



من شعراء الوطنية ومن المجاهدين القدامى، اعتنق مبادئ مصطفى كامل منذ أن استمع إلى خطبته الكبرى التي ألقاها بالإسكندرية في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧، وصار من تلاميذه وأنصاره الأوفياء الحافظين لعهد طوال السنين.

انضم إلى أسرة الصحافة منذ صباه. وعمل في صحف الحزب الوطني المتعاقبة. واتجهت نفسه إلى الشعر، فنظم قصائد تفيض وطنية وإخلاصا. وقد جمعها في ديوان أصدره سنة ١٩١٠ بعنوان «وطني» وله مقدمتان، إحداها بقلم محمد فريد، والثانية بقلم عبد العزيز جاويز. وكان لهذا

الديوان قضية أثرت في مجرى حياة الشاعر. فقد أقيمت عليه الدعوى العمومية وحوكم على قصائد من هذا الديوان عدتها الحكومة وقتئذ عيبا في ذات ولي الأمر (الحديو عباس الثاني) وتحريضا على كراهية الحكومة والإزدراء بها، وتحييذا للجرائم (السياسية)، وحكم عليه من محكمة جنايات القاهرة في أغسطس سنة ١٩١٠ بالحبس سنة. وقد صدر الحكم عليه في غيبته، إذ وُكِّن قبل محاكمته قد ارتحل إلى الاستانة، ثم إلى سويسرا حيث أقام في (جنيف)، وأصدر بها سنة ١٩٢٢ جريدة (منبر الشرق) بالفرنسية، وجعلها وقفا على الدفاع عن قضية مصر وقضايا الشرق عامة. وظل في منفاه حتى عاد إلى مصر سنة ١٩٣٧ واستأنف فيها إصدار صحيفته (منبر الشرق) بالعربية حتى اليوم^(١) - مد الله في حياته - وهي صحيفة وطنية شرقية إسلامية أخلاقية، تدافع عن القضية الوطنية وقضايا العروبة، وتتاضل عن الحرية والاستقلال للشعوب الشرقية جمعا.

إلى مصطفى في حياته

من أول شعره الوطني قصيدة نظمها سنة ١٩٠٧ وقدمها إلى مصطفى كامل عقب خطبته بالإسكندرية، قال مخاطبا الفقيه:

(١) أى حتى وقت ظهور الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٥٤.

اصدع بقولك إن أردت مقالا
لم تدر مصر سوى حماك تؤمه
أقبل على الوطن العزيز بصارم
فالقوم جندك إن دعوت رجالا
فترى به آلامها آمالا
لا تدرك الأعداء منه كلالا

وختمها بقوله

فادأب على إنهاض أمتك التي ترجو وراء خطاك الاستقلال

وطن يناجي ربه

قال من قصيدة له بهذا العنوان:

رب. أن البلاد أرهقها الظلم وحاقت بأهلها البأساء
رب إلى الصدور أخرجها الوجد وأودت بحلمها الأرزاء
فتدارك بلطفك النيل حتى لا تجارى حياة مصر دماء

قصائد حوكم من أجلها سنة ١٩١٠

من قصيدة بعنوان (طيف الوطنية):

وعداة ملكوا الأمر ولم
وولاة أقسموا أن يسجدوا
رب ماذا يصنع المصرى إن
طال يوم الظلم في مصر ولم
هل يرى المحتل أنا أمة
أو يرى الظالم فينا أننا
زعموا زورا، فما من أمة
كتب النصر لشعب ناهض

يحفظوا للشعب في حقّ ذماما
كلما رام العدا منهم مراما
جاوز الصبر مدى الصدر فقاما
نذر بعد اليوم للعدل مقاما
مذ عرفنا السلم لاندرى الخصاما
نحمل الخسف ولا نبغى انتقاما
سامها العسف ظلوم ثم داما
في سبيل المجد لا يخشى الحماما

ومن قصيدة له يندد بالخديو عباس الثاني:

أعباس هذا آخر العهد بيننا
أيرضيك فينا أن نكون أذلة
ونياس من آمالنا فيك كلما
وأرضيت أعداء البلاد وأهلها
رويدك يا عباس لا تبلغ المدى

فلاتخش منا بعد ذاك عتابا
ننال إذا رمنا الحياة عقابا
قضيت علينا أن نكون غضابا
وأصليتنا بعد (الوفاق) عذابا
ولا تستمع للظالمين خطابا

فما يبتغى (جورست) إلا مكيدة تحول أقلام السلام حرايا
وها قد رمى حرية القول رمية بسهمك تحيي للبلاد خرايا

يهاجم الوزارة

وقال في هذه القصيدة يهاجم وزارة بطرس غالى التي كانت تتولى الحكم وقتئذ:

ألا أمطر الله الوزارة نقمة ولا بلغت مما تروم مراما
تحاول أن تقضى علينا بإثمها ولكن ستلقى دون ذلك أناما
وزارة خداع أقامته بيننا يد الحاكمين الآثمين فقاما

ومن قصيدة أخرى له يندد بهذه الوزارة على أثر امتناعها عن حضور جلسات مجلس شورى القوانين فرارا من مناقشات الأعضاء:

يا أيها الوزراء ماذا نابكم حتى هجرتم صورة النواب

إلى أن قال:

فتزلزلت أقدامكم من هولها وهرعتمو فزعا إلى الأبواب
ورضيتمو الهرب المعيب لأنه خير من الإفلاس عند حساب
عارٌ عليكم أن يقال وزارة لم تدرك إن شئت بيان جواب

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩١٠:

طال ليل البلاد والشعب سار لا يرى غير هذه الظلمات
ظلمات من المظالم أودت بضياء الحياة بعد الحياة
يشتكى الشعب والقضاة خصوم فلمن يشتكى خصام القضاة

ومن قصيدة له يخاطب الشيخ عبد العزيز جاويز عندما حكم عليه لأول مرة سنة ١٩٠٩ ونشرها في ديوانه (وطنيتي):

يا ساكن السجن الكريم وأنت نعم الأكرم
ما السجن للشرفاء إلا رفعة وتنعم
أنت البريء ومن يخام لك مجرما هو مجرم

هذا ما وعته الذاكرة وما وسعني الجهد في استقصاء الشعر الوطني، ولعلني بإخراج هذا الكتاب أحقق أمنية كانت تجول في خاطري منذ عدة سنوات. ولا زلت أكرر اعتذاري عما عسى أن يكون قد فاتني تدوينه من الشعر الوطني. وإني لمتدارك هذا النقص في المستقبل القريب إن شاء الله^(١).

* * *

راجع هذا الكتاب

الأستاذ حلمي السباعي شاهين

المستشار بإدارة قضايا الحكومة

(١) لم أستطع تدارك هذا النقص كما وعدت القارئ في الطبعة الأولى من هذا الكتاب بسبب ما ألم بي من مرض ما زلت أعانيه، أدعو الله الشفاء.

وفاة المؤلف

وعقب الانتهاء من مراجعتي هذا الكتاب بأيام معدودة كان يوم مصر الحزين، يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٦٦. حيث فقدت مؤرخها الوطنى المحقق. فروع الشرق لوفاته. وخرجت جموع الشعب ظهر ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٦ تودعه إلى مقره الأخير. إلى ضريح زميليه فى الكفاح المرحومين مصطفى كامل ومحمد فريد بميدان القلعة بعد أن أدى الفقيد الكريم رسالاته فى جميع الميادين التى خاضها - محاميا صادقا ونقيبا للمحامين وأبا روحيا لهم، وبرلمانيا جريئا، ووطنيا مخلصا ثابتا على مبادئه. ومؤرخا حرا محققا - جمع لمصر تاريخها القومى فى مؤلفاته العديدة، فى مختلف عصورها، فإليك أيها الفقيد العظيم بكائى، بل دعائى، وما أنت فى حاجة إليه، بل نحن أحوج ما نكون إلى تسجيل تاريخك وكفاحك، ليكون هاديا ونبراسا للجميع، وهو دين فى عنقى لعلنى أوفيه لهذه الأمة العظيمة، أما أنت فمثواك الجنة مع التبيين والصديقين والشهداء والأبرار...!

ابنك الروحى
حلمى السباعى شاهين

١٩٦٦/١٢/٢٥

فهرست الكتاب

| الموضوع | الصفحة |
|----------------------------|--------|
| مقدمة الطبعة الثانية | ٣ |
| مقدمة الطبعة الأولى | ٥ |
| رفاعة رافع الطهطاوى | ٩ |
| عبد الله نديم | ١٥ |
| محمود سامى البارودى | ٢٠ |
| إسماعيل صبرى | ٣١ |
| أحمد شوقى | ٤٢ |
| حافظ إبراهيم | ٩٣ |
| خليل مطران | ١٤٨ |
| أحمد محرم | ١٧٥ |
| أحمد نسيم | ١٩٦ |
| أحمد الكاشف | ٢١٣ |
| محمد عبد المطلب | ٢٢٨ |
| أحمد زكى أبو شادى | ٢٤٦ |
| عبد الحليم المصرى | ٢٦٣ |
| عزيز فهمى | ٢٦٧ |
| على الغاياتى | ٢٧٧ |
| وفاة المؤلف | ٣٨١ |

للمؤلف

حقوق الشعب :

يتضمن شرح المبادئ والنظريات والقواعد الدستورية وحقوق الإنسان . طبع سنة ١٩١٢ .

نقابات التعاون الزراعية :

يتضمن تاريخ التعاون الزراعى ومنشآت فى أوروبا ، ونشأة التعاون فى مصر وتاريخه ونظامه ، وعلاقته بالنهضة الاقتصادية والاجتماعية . طبع سنة ١٩١٤ .

الجمعيات الوطنية :

صحيفة من تاريخ النهضات القومية يتضمن تاريخ الانقلابات السياسية والنهضات القومية فى طائفة من البلدان مع شرح أصول الدساتير ، والنظم البرلمانية فيها والمقارنة بينها . طبع سنة ١٩٢٢ .

تاريخ الحركة القومية (فى جزأين) :

الجزء الأول : يتضمن ظهور الحركة القومية فى تاريخ مصر الحديث وبيان الدور الأول من أدوارها وهو عصر المقاومة الأهلية التى اعترضت الحملة الفرنسية فى مصر . وتاريخ مصر القومى فى هذا العهد (الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩)

الجزء الثانى : من إعادة الديوان فى عهد نابليون إلى عهد ولاية محمد على (الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩) .

عصر محمد على :

يتناول تاريخ مصر القومى فى عهد محمد على (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٠)

عصر إسماعيل (فى جزأين) :

الجزء الأول : يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل عهد إسماعيل (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢)
الجزء الثانى : وفيه ختام الكلام عن عهد إسماعيل (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢) .

الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٧) .

مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال :

تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٢) .

مصطفى كامل : باعث الحركة الوطنية

تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨ (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩) .

محمد فريد : رمز الإخلاص والتفحية

تاريخ مصر القومي من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤١) .

ثورة سنة ١٩١٩ في جزأين :

تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ (في جزأين) الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦ .
الجزء الأول : يشتمل على شرح حالة مصر وحوادثها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وبيان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة . وتطور الحوادث من بعد انتهاء الحرب إلى شيوب الثورة في مارس سنة ١٩١٩ ثم وقائع الثورة في القاهرة والأقاليم .
الجزء الثاني : وفيه الكلام عن مهادنة الثورة واستمرارها ومحاکمات الثورة ولجنة ملز . والحوادث التي لابستها ومفاوضات ملز واستشارة الأمة في مشروع ملز . والتبليغ البريطاني بأن الحماية علاقة غير مرضية . ونتائج الثورة في حياة مصر القومية .

في أعقاب الثورة المصرية (ثورة سنة ١٩١٩) : في ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : تاريخ مصر القومي من أبريل سنة ١٩٢١ إلى وفاة سعد زغلول في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧)
الجزء الثاني : تاريخ مصر القومي من وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧ إلى وفاة الملك فؤاد سنة ١٩٣٦ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ - سنة ١٩٤٩) .
الجزء الثالث : تاريخ مصر القومي من ولاية فاروق عرش مصر في ٦ مايو سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥١ (الطبعة الأولى سنة ١٩٥١) .

مقلعات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ :

(الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢)

الكفاح في القتال سنة ١٩٥١ - حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ .
وزارات الموظفين - أسباب الثورة - فاروق يمهد للثورة .

ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢ - ١٩٥٩ (طبع سنة ١٩٥٩)

تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة :

من فجر التاريخ إلى الفتح العربي (طبع سنة ١٩٦٣)

تاريخ مصر القومي .

من الفتح العربي حتى عصر المقاومة والحملة الفرنسية طبع بعد وفاة المؤلف

مذكراتي (١٨٨٩ - ١٩٥١) :

خواطري ومشاهداتي في الحياة .

شعراء الوطنية في مصر: تراجمهم . وشعرهم الوطني . والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤

أربعة عشر عامًا في البرلمان :

مجموعة أقوال وأعمال في البرلمان :

في مجلس النواب سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥

وفي مجلس الشيوخ من سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٥١ (طبع سنة ١٩٥٥) .

كتب مختصرة

مصطفى كامل :

باعث النهضة الوطنية (طبع سنة ١٩٥٢)

بطل الكفاح . الشهيد محمد فريد : (طبع سنة ١٩٥١)

الزعيم الناصر أحمد عرابي :

(الطبعة الأولى - يناير سنة ١٩٥٢)

جمال الدين الأفغانى : (طبع سنة ١٩٦٦)

بحث وتحليل معاهدة سنة ١٩٣٦ :

استقلال أم حياة (طبع سنة ١٩٣٦)

كتب لطلبة المدارس الثانوية :

(طبع سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩)

مصر المجاهدة في العصر الحديث :

في ست حلقات تشتمل على كفاح الشعب في عهد الحملة الفرنسية ثم كفاحه في العهود التالية إلى بداية

ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ .

(تحت الطبع)

مختارات من دواوين الشعراء في الجاهلية والإسلام .

| | |
|--------------------|----------------|
| ١٩٩٢ / ٩٠٤٢ | رقم الإيداع |
| ISBN 977-02-3873-4 | الترقيم الدولي |

١ / ٩٠ / ٧٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

هذه الأعمال الكاملة

يظهر إلى عبد الرحمن الرافعي على أنه جرتى مصر الحديث .
فقد عكف طوال عمره على كتابة التاريخ المصرى فبدأه بتاريخ
الحركة القومية في عصر المماليك والحملة الفرنسية حتى ثورة
٢٣ يوليو في سبع سنوات . وإلى جانب هذه الحقبة التاريخية
محمده يكتب أيضا مؤلفات أخرى هامة
وكتابات الرافعي تنسم بالصدق والدقة والحياة فهو يبدأ
بذكر أسباب الحادث ثم سرده ثم رايه فيه ومن ثم فإن فكر
الرافعي يسود هذه المؤلفات ويعبر عن كفاح الشعب المصرى في
مواجهته القوى المختلفة والملايسات الى احاطته
ودار المعارف تقدم هذه الأعمال الكاملة للقارئ العرف
حتى يقف على تاريخ وطنه العظم وكفاحه المشرف
ومطالبته الدائمة بالحرية والحق والديمقراطية

